محرري التجويد والموافق • وما الذي رسم في المصاحف

من كل مقطوع وموصول بما • وتاء انثى لم تكن تكتب بها

باب مخارج الحروف

مخارج الحروف سبعة عشر • على الذي يختاره من اختبر

فالف الجوف واختاها وهي • حروف مد للهواء تنتهي

ثم لاقصى الحلق همزها ثم • لوسطه فعين حاء

ادناه غين خاؤها والقاف • اقصى اللسان فوق ثم الكاف

أسفل والوسط خيم الثنين با • والضاد من حافته ادو وليا

لاضراس من ايسر او يمنا هلا • واللام ادناها لمنتهاها

والنون من طرفه تحت اجعلوا • والراء لدنيه لظهر ادخلوا

والطاء والدال وتا منه ومن • عليا الثنايا والصفير مسكن

منه ومن فوق الثنايا السفلى • والطاء والدال وتا للعليا

من طرفيهما ومن بطن الشفه • فالفا مع اطراف الثنايا المشرفه

للشفتين الواو باء ميم • وغنة مخرجها الخيشوم

باب صفات الحروف

صفاتها جهر ورخو مستفل • منفتح مصمتة والضد قل

مهموسها فحثه شخص سكت • شديدها لفظ اجد قط بكت

وبين رخو والشديد عمر نه • وسبع علو خص ضغط قظ حصر

وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه • وفر من لب الحروف المذلقه

صفيرها صاد وزاي وسين • قلقلة قطب جد والتين

واو وياء سكنا وانفتحا • قبلهما والانحراف صحا

في لام والراء وبنكرين جعل والتفشي الشين ضاد المنطل

باب معرفة التجويد

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها

ورد كل واحد لأصله واللفظ في نظيره كمثله

ويقرأ القرآن بالتحقيق مع حسن صوت لحون العرب

حدر وتدوير وكل منهج يرتل فذا بالعرب

الحمد حيثان مشهوران احدهما لغوي والآخر عرفي وكل واحد منهما محتمل هنا اي تقديره اما ان يراد الشيء الفاعل
او الشيء المفعول او الحاصل بالمصدر ويجوز ان يراد ما يطلق عليه لفظ الحمد بتقدير اللام التعريف يحتمل ان يكون
للاستغراق وان يكون للجنس وان يكون للعهد الخارجي اشارة الى القرآن الكامل ولام التعريف يحتمل ان يكون
ان يكون للاختصاص الصفة بالموصوف وان يكون لاختصاص التعلق بالمتعلق فهناك اثنان واربعون احتمالا
حاصلا من ضرب الثلثة في اثنين اولا وضرب الثلثة في سبعة ثانيا وضرب الاثنين في احدى وعشرين ثالثا فلنا مل
الثلاثة الاحتمالات الاربعة وستون حاصلة من ضرب الاربعة في الاثنين اولا ثم ضرب الثمانية فصار اثنين والثلثين
ثم ضرب الاثنين والثلثين في اثنين ثانيا
فصارت اربعة وستين احتمالا قيل مجموع الاحتمالات اثنان وثلثون الوفا وستمائة واربعون احتمالا
لام التعريف في الحمد قيل انها للاستغراق للجنس وقيل للتعريف الماهية وقيل للعهد فالاول يناسب قاعدة السنة وان
الله تعالى خالق افعال العباد وهو المستحق للحامد والثاني يناسب اعتقاد المعتزلة في ايجاد العباد الافعال انفسهم فيستحقون
لكل شيئا من الحامد والثالث قيل اشارة الى الحمد الازلي وكفى ان الله تعالى علم عجز خلقه عن القيام بحق حمده
فقال واذا احمدا يليق بجلاله وصفات كماله فينبغي لمن يقول الحمد لله ان يقصد به ذلك الحمد المعهود وهو الذي يوافق
الاحمد غيره من اكتساب المسح بحق التصرف في شرح التوقي من علم الشفوق تم
الالف واللام [illegible] طريق الكناية [illegible]
على [illegible] لاستغراق وهذا الاختلاف مبني
الا [illegible] على الاستعمال في الاغراق اه
الا [illegible] الحمد وعند المعتزلة لا يكون خالقا فيكون خالق
الاعيان والافعال [illegible] يكون خالق لكل شيء وعند المعتزلة الله خالق
[illegible] حسب فيكون [illegible] الحمد شرح فرائض مع الدرس
وصرف التعريف في الحمد للجنس عندنا وعند المعتزلة للعهد واصل الخلاف ان الافعال التي تصدر من العباد خلقها يضاف
الله تعالى ولا صنع لهم فيها سوى الكسب عندنا فيكون المستحق للحمد هو الله تعالى دون العباد فيكون قوله الحمد لله اي جميع المحامد
التي تتعلق بالاعيان والاعراض لله تعالى وعندهم لما كان مضافا اليهم فيكون لهم المستحقين للحمد فيكون قوله الحمد لله
اي المحامد التي تتعلق بالاعيان دون الاعراض وسيوجد ذلك في قوله [illegible] ودخل المدينة على حين غفلة
اي دخل موسى مدينة مصر لان لم تسبق في اللفظ بل هي مقررة في الذهن والاصل ان يكون للجنس لانه موضوع
لم يدخل في جميع هذا بين الانبياء منهاج شرح فرائض
فيكون الام في الحمد للاستغراق عندنا وللعهد الذهني عند المعتزلة ومرجع الخلاف الى افعال العباد اضافة فيصلها الى
الله تعالى وقال لا صنع للعبد سوى الكسب لا كله من الله تعالى فلذا [illegible] عند المعتزلة فيكون للاستغراق ومن
اضافة الافعال الى انفسهم فكان يستحق العبد بصيغة الحمد فيكون للعهد الذهني خلص الاسرار

الله اسم لذات الواجب الوجود المراد بالاسم ههنا ما يقابل الصفة او اللقب او الكنية فان قلت وضع العلم بازاء
فرع تعقله وحين لم يعلم حقيقته فكيف تصوره وكيف قلت لا نزاع في وقوع تعقله بصفاته الحقيقية والاضافية
والسلبية والفعلية على قدر ما ظهر منها بالعقل الالهي وان امتنع تعقله بكنه حقيقته وذا غير لازم في وضع العلم
كما في الوضع العام للمعنى الخاص على انه تقابع وكذا اذا لم يكن الواضع مطلقا او واضع هذا الاسم هو الخلق جلا و
علا اما اذا كان الواضع غيره فعلم غيره بالالهام او الوحي فلا وذات الشيء قد يقال على حقيقته وقد يقال على هويته
الخارجية وقد يقال على ما بالوصف والمراد ههنا هو الثاني وهو يستعمل استعمال النفس في الثاني وقد يقال على هويته
التكوينية وقد يقال على ما بالوصف والمراد ههنا هو الثاني وهو يستعمل استعمال النفس في الثاني وقد يجوز
لاختصاصه به والاظهار على سائر صفاته لانه معدن الكمال ومبعد عن كل نقصان من جلي

والخارج والمعراج فان شارح الاول بقوله وعلم البيان والثاني بقوله وافضل من اولي الحكمة والثالث بقوله
والصلوة الى والرابع بقوله وفضل الخطاب بن اشرح الحمد على التكرار الجريم الفضائل والفواضل
والشكر يختص بالاخير والاول موجب للعلم بالحديث والثاني ورد بلفظ الاول لموافقة كتابه بكتاب الجيد والثاني ورد
بلفظ التحميد وعلى المدح الاول يتوقف على [illegible] يكون قبل الاحسان وبعده والحمد يختص بالاختياري وقد [illegible]
وجه التسبيح اسم الله لجميع صفات الكمال [illegible]
هو ان الله الشهير بهذه الصفات في ضمن اطلاق
الاسم فيفهم هذه الصفات مشكاة الشهير حاتم
بالجود في ضمن اطلاق هذا الاسم فيفهم هذه الصفة
[illegible] الاستسبحاء استفهام اما ايا [illegible] خط
خارجا والثاني [illegible] سائر الاعلام بالمراد
ان المسبح الشهير ضمن ذكر الاسم بالصفات بالمراد
بالشهرة فالمراد بهذا الاستسبحاء الدلالة او يراد بالاستسبحاء
عليه لها بخلاف سائر الصفات فان صفاتها ذاتية معلولة
بغيره وهو بواسطة ذاتها صلح الدين صلح الدين

تع يصير محمودا
عليه والثالث جميل اخر ليكون محمودا به
الرابع حتى متكلم ليكون حامدا
الخامس فعل ثاني لمخصوص وهو
الحمد نعمه
[illegible]
فذا جمعه جنانة الوجل والمودة والصحبة
يعني جنانة المودة مايل الجنة في الوجل
مايلي الامام وجنانة الصحبة في وسطها
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

فقال النبي صلعم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم والرحم والجوار والجار الذي له حقان الجار المسلم واما الجار الذي له حق واحد فالجار
المشرك فاما ثلثة الحق للمشرك بسبب الجوار وكل على قدر حاله الجوار وقال النبي صلعم ما زال جبرائيل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وقال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره احياء العلوم

حقوق الاقارب والرحم قال النبي صلعم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال الله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما احياء العلوم حقوق المملوك وقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلعم
قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فان اتيتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله تعالى ملككم اياهم
ولو شاء ملكهم اياكم احياء العلوم وقال النبي صلعم عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
في اقصى الدنيا وهو منقطع عنه ما فيه من الايذاء والتهاون بحق الاحد فلا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
اما ثانيا احياء العلوم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان
الغيبة اشد من الزنا وان الرجل يزني ويتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم
من وشى بمؤمن اسرى على قوم
يمشون وجوههم باطنهم
فقلت يا جبرائيل من هؤلاء فقال
هؤلاء الذين يغتابون الناس
ويقعون في اعراضهم احياء العلوم

باب المنة فيقال هلم فيجيء يكبه بوجهه فاذا اتاه
ثم يقول له باب آخر فيقال له هلم فيجيء يكبه بوجهه فاذا اتاه
اغلق دونه فما يزال الله يدعو حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال
هلم فاتيه احياء العلوم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وحقيقته
ان يكره نعمة الله على اخيه فيحب زوالها عنه فان كان فلا
يكره ذلك لاخيه ولا يريد زواله ولكن يريد لنفسه مثله
ذلك فيسمى هذا غبطة قال النبي صلى الله عليه وسلم يغبط
المؤمن يغبط والمنافق يحسد احياء العلوم
قال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه
وانفق الفضل من ماله قال النبي عليه السلام من صحت نحاسه
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها فان الذي تخطب عذاره
قد ترك الناس من الفاقة اذا اغنى الدنيا كيف تكسف
له عن عدو في ثياب صديق وقال باب اقد الليل مسرورا باول ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
اضحى الزمن الذي كانت منعمة كثر الليالي اقبالا وادبارا احياء العلوم

كتاب تفسير القاضي البيضاوي

رحمه الله رحمة واسعة

ذكر صاحب الكتاب تاج القراء ابو القاسم الكرماني روح الله روحه في تفسيره في بيان قوله تعالى ان البقرة تشابه علينا وجهان عربيان وحاصله ان الفعل ذكر حملا على الجنس وقرئ في الشواذ تشابهت بالتشديد وتاء التانيث واجمعوا على حذفها وقال ابن مهران في الشواذ ان العرب قد تريد على افعل وتفاعل في الماضي فتقول تفعل وتفاعل وانشد

تقطعت عنك الاسباب قال صاحب الكتاب وهذا القول منه ليس بمرضي ولا البيت يقبل له عندي وجه غريب وهو ان يجعل التاء من البقرة والفعل تشابهت وكتب في المصحف على اللفظ كقراءة الكسائي الا يسجدوا والقياس الا يا اسجدوا وكقول ابن عبيد ولا تحسبن مالي ... تهى كلامه قلت قد ذكر المولف المفسر العلامة القاضي ناصر الدين عبد الله البيضاوي طيب الله ثراه في آية اخرى من البقرة وهي تشابهت قلوبهم انهم قرؤها بتشديد الشين وقيده به فلا محذور ولا محيص في توجيه صحتها الا ما ذهب اليه ابن مهران رحمه الله كما نقلنا اذ ذلك الاحتمال يمتنع هنا ولعل هذه القراءة الشاذة عند القاضي لم تثبت عند صاحب الكتاب والا لكان ذاهبا الى توجيه الاولى بحيث تعم الثانية او صار فاصلا بينهما الذي توجيه الاولى والجملة الرجوع الى الحق اولى

فلله وبالله تعالى العلم بالصواب

بقره		اعراف		انعام		مائده		نساء		آل عمران	
٦		٢١٨		١٩٣		١٧٠		١٣٥		١٠١	
انفال		يونس		هود		يوسف		رعد		ابراهيم	
٢٤٤		٢٧٧		٢٩٠		٣٠٦		٣٢٢		٣٢٩	
كهف		بني اسرائيل		نحل						حجر	
٣٧٣		٣٥٩		٣٤٣						٣٣٧	

STIFTUNG ORIENTEKA
KM. Sp. 13662

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجدوا له قديرا وأعجم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحر وا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم
حسما عن لهم من مسلكهم ليدبروا آياته وليتذكروا وما يذكر إلا أولوا الألباب تذكيرا فكشف
قناع الإغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب
تأويلا وتفسيرا وأبرزوا من الحقائق والطائف الدقائق ما خفي بهم خفايا الملك والملكوت
فحيا قدس الجبروت لتفكر وا فيها تفكيرا وحدهم قواعد الأحكام وأوضحوا
من نصوص الآيات ما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرد الله به رأسه والطغى
فرأسه يعض دما ويشكو سعيرا فيا واجب الوجود ويا مانح الجود ويا غاية كل مقصود
صل عليه صلاة توازي غناءه وعلى من تابعه وقرر بيانه تقريرا واقض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كرماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم
مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وأساسها وأول
قواعد الشرع وأساسها لا يليق لعاطله والتصدي للكلام فيه إلا من برع في العلوم الدينية
كلها أصولها وفروعها ووفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية أنواعها وطالما الهمة
نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما لمعني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا
ومن قبلي من فاضل المتأخرين وأماثل المحققين وينسب عن القرآت المتواترة إلى الأئمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام
وقصوري عن الاتصاف بهذا المقام حتى صرح بي بعد الاستخارة ما صرح به عزمي على الشروع

فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أتممه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار
التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق للخير ومعطي
كل سؤل **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله
ومنشأه ولذلك تسمى أساسا لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره
ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية
التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مآب الشقاء ومنازل الأتقياء وسمي
الكنز والوافية والكافية لذلك وسمي الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة
لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها واستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله
عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أنهم
من عد البسملة دون النعمة عليهم ومنهم من عكس وثنيت في الصلاة أو لأنها تثنى
أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي **بسم الله الرحمن الرحيم**
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم
قراء البصرة والمدينة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة
في شيء من كتبه بالبت من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله تعالى لنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال فاتحة
الكتاب سبع آيات أولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقوله أم سلمة قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين آية ومن أجلها اختلف
في أنها آية بأسرها أو بما بعدها والإجماع على أنها ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق
على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والتسمية
محذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقرؤ وكذلك نصب كفاعل ما يجعل

التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابتداء لعدم ما يطابقه ويهم ما يدل عليه واعلى
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجراها وقوله تعالى اياك
نعبد لايهامه ودل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوقع للجحود فان اسمه تعالى مقدم
على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للصحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبركون
باسمه ويحمدونه ويسألونه من فضله وانما كسرت من حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لانه من
قاسم ان يبتدأ بالمتحرك وقطعوا على السكون وتشهد له تصريفه على سماء واسامي وسمي وبنيت
وسمي سمي هذي لهذه قال والله اسماك سمي مباركا آخر الله به اثارك واقلت سكونه
مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل لثقل اعلاله ورد بان حرفه لم يعهد داخلا على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ
فغير المسمى لانه تالف من اصوات مقطعة غير قارة وتختلف باختلاف الامم والاعصار وتعدد
بتعدد اللغات وان اريد به ذات المسمى فهو المسمى لكنه لم يشتهر هذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب
تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه بمعنى الصفة كما في قول
الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره
والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه

او للفرق بين العين والمبنى ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت
الباء عوضا عنها والله اصله اله كحذف الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود الحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على
المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه ايلاه
واستاله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من اله الى فلان اذا
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل به والهه غيره اجاره اذا العائذ يفزع اليه او هو تحير حقيقة او زعمه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذا العابد مولوع بالتضرع اليه في الشدائد او من
وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها واستثقال الضمة في وجوه وقيل اله كاعاء واشاح وبرده الجمع على الهة دون
اوله وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه اذا احتجب وارتفع لانه محجوب
عن ادراك الابصار مرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كلمعة
من برق راتج يسنه لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوص لانه يوصف ولا
يوصف به ولا بد من ان يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لكان قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة
والخوانه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره فصار كالعلم مثل
الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق
احتمال الشركة اليه لا ان ذاته من حيث هو هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر
فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهره قوله تعالى وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاستقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاهاء الشيء

فتحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبلها وانفتح ما بعدها
وقيل مطلقا وحذف الالف من بسم الله لمن يقدر به التبرك ولا يعتقد به صريح اليمين وقد جاء الضرورة
الشعر الا بذكر الله ذهب السهل ادنى الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كغضبان من غضب والعلم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطافه
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما يؤخذ منها
الغايات التي هي افعاله دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن اكثر من الرحيم لان زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكسار وكسار وذلك انما يؤخذ باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام وانما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه
فهو مستعيض لطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او توصل رفعة الجنسية
او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجوبها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل
الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره اولان الرحمن للدلالة على جلائل النعم
واصولها ذكر الرحيم لينا ولينا خرج منها فيكون كالتتمة والردف له او لما فطنه على
رؤس الآي والاظهر انه صفة ولا يجوز اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى و
فعلانة لحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف الى المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي يتولى النعم كلها واجلها جلالا
وحقيرها فيتوجه بنفوسهم الى جنابه القدس ويتشبثون بحبل التوفيق ويشغلون بتذكره ولا

يستمدون به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح
هو الثناء على الجميل مطلقا فقولك حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه
لكن تمدحه وقيل هما الخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهي منهما من وجه واخص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر اشتمل النعمة وادل على مكانها اختفاء الاعتقاد وما في
اذيال الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد
رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر
ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال
مضمرة لا تجاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف به كل فرد
ان الحمد ما هو الا لله استغراقا ذلك الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من حمد الا وهو مولى
بوسط او غير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى قادر
عالما ذلك لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب
العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نحت من زيد يزيد فهو رب كقولك ثم ثم فهو
ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع
الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه
من الجواهر والاعراض لامكانها وافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر
اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع

وقيل يحيى به الناس مرتين فالكل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم فلذلك سوى بين
النظر فيه وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح
او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الكائنات كما هي مفتقرة الى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرر للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله
لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء
من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مبنيا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم
الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
ملك الامور يوم الدين على طريقة وناد اصحاب الجنة اولها الملك في هذا اليوم على وجه
الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده
بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما
عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه المختص بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان من
لم يتصف بالوصف لم يعتد به وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك
الصفات لا يستأهل ان يحمد فضلا عن ان يعبد لتكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول

لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والتعليم والثاني للدلالة على انه متفضل
بذلك مختار فيه ليس بمدبر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه فيسبه لسوابق الاعمال
حتى يستحق به الحمد والتابع لتحقيق الاختصاص من قبله لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامد
والوعيد للمعرض اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر المحقق الحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك ليكون ابلغ من هذا بانه
تحضيك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا انجز الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتأمل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم ترقى
عما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا وينادي
شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم والتكرير كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح وقوله تعالى والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقوله تعالى تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من بيت جاني وخبرنيه عن ابي الاسود وانا
غير منسوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف بدت لبيان الكلام والخطاب
والغيبة محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في اراءتك قال الخليل اياك اضاف
اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها وهو شاذ لا يقاس
عليه وقيل هي الضمائر واياك عماد فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فصل لها
اياها لتستقل به وقيل الضمير مجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهناك بقلبها هاء اتصالا
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها

والكثرة من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى الشهود

والعادة

والضرورية بالاتيان الفعل وفيه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل
بها فيها وعندنا جماعها توصف الرجل الاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية
تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او تفريغ الفاعل الى الفعل
وتحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
كلها اعني اداء العبادات والغرض المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين اذ ربح عبادته في اضعاف عبادتهم
وقضاء حاجته بحاجتهم لعلها تقبل بركتها ويجاب الدعاء ولهذا شرعت الجماعة وقدم
المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا بالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنسوبة اليه ولذلك فصل ما حكى الله عن حبيبه حين قال الا من
ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتخصيص على ان
المستعان لا غيره وقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآي ويعلم منه ان
تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب الكل العبادة الى نفسه
اوهم ذلك تحاميا واعتذارا منه لما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا ينسب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون
حروف المضارعة سوى الياء اذا لم يجتمع ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او فرد لما هو المقصود الاعظم والهداية

دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم
ومنه الهدية وهو ما يهدى الى الحبيب لتقديمها اليه والفعل منه هدى واصله ان يتعدى باللام
او الى مفعول معا ملا اختاره قوله تعالى واختار موسى قومه وهدايته الله تعالى تنوع
انواعا لا تحصى عدد لكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاولى افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اثنان زيادة ما يحصل من الهدى والثبات عليه فاذا قال
القارئ الواصل عني به ارشدنا طريق السير فيك لنجمعنا ظلمات احوالنا ونمط عوالي
ابداننا المستغني بنور قدسك فتراك بنور لك والامر والدعاء هنا كان لفظا ومعنى
وتعاقبا فان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه سبيل تسبله ولذلك سمي لقما لانه يلتقمه والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المستعلية وقرأ ابن كثير ورويس
عن يعقوب بالسين وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط كاكتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد
به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول وبدل الكل
وهو في حكم تكرير العامل من حيث ان المقصود النسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على انه

طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكمل وجه وابلغه لا يحتاج الى تعريف البيان
له فكانه من البين لا خفاء فيه فان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهم الذين
انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان روحي
وكسبي والروحي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما تبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كخلق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة
له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والملكات المستحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني ان تغفر ما فرط منه وترضى عنه وتثيبه فعلا عليين مع الملائكة المقربين
ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وسيلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك
مشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال لموصوفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يتحقق باحدهما او بلفظ يعم الموصول يجري
النكرة اذ لم يقصد به معهود كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم انا لا نمر على
الكريم مثلك فكذا من وجه غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم
عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل
انعمت او باضمار اعني والاستثناء ان فسر النعم بما يعم القسمين والغضب نور ان النفس
ارادة الانتقام فاذا انتفى الى الله تعالى لم يبق الا الشهوة والغاية على ما مر وعليهم محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل على الخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد معنى غير من معنى النفي فكانه قال

لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ
وله عرض طويل والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كبير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى
منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وقد روي مرفوعا ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
الانعام عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وغضب الله
عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالفتح
على لغة من جعلها بمعنى الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم للفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه قال افعل وعن علي رضي الله عنه كان الالتقاء الساكنين
وجاء مده الله وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمين وقال آمين فزاد الله ثابتا بعدا
وليس من القرآن وانما يكتب بين ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من
قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم
رب العالمين يختم به دعاء عبده لقوله الامام ويجهر به في الجهر به لما روي عن وائل بن حجر انه عليه
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يقوله والمشهور
عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن
وافق امينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية ولا الانجيل ولا القرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين

أو بينها لم نؤتها بني قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أعطيته
وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم لبعث الله عليهم العذاب
حتى مقتوا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم
بذلك العذاب أربعين سنة **سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وست وثمانون**

بسم الله الرحمن الرحيم وسائر الألفاظ التي تجري
بها أسماء وسميناها الحروف التي ركبت منها الكلم لمحولها في جدا لا بد واعتوارها تخص به
من التصريف والتكسير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روي
ابن مسعود أنه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح
عليه فإن تخصيصه به عرف محدث بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي بركبه صدرت بها ليكون نادبها المسمى أولا ما يقرع السمع واستعير
الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي بالنظر العوامل موقوفة خالية عن الإعراب لفظا
توجيه ومقتضيه لكنها قابلة إياه مترقبة له إذ لم تناسب مبتني الأصل ولذلك قيل ص
وق نحو غاقبها بين ساكنين ولم تعامل معاملة أين وحيث ومن أن مسمياتها لما كانت
عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها فتحت لتشوف بطائفة منها لفظا لمن تحدث الكلم
وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما يتطون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا
عن آخرهم مع تظاهرهم وفرط فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أولا ما يقرع مسامعهم
نوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص من خط ودرس فاتا من الأمي الذي لم يخالط
الكتاب فيستعمله مستعملا حارف للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد رأى في ذلك ما يعجز
الأديب الأريب الفائق في فنه وهو أنه أورد هذه الفواتح أربعة عشر أسماء تنصف أسامي
حروف المعجم أن لم يعد الألف فيها حرفا بانتهائه تسع وعشرين سورة بعددها إذا عد فيها

الألف مشتملة على أصناف ● بأنواعها فذكر من المهموسة وهي ما ضعف الاعتماد على مخرجه
ويجمعها سكت فحثه شخص سكت فصل الهاء والحاء والصاد والسين والكاف ومن
البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع أمر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في أجدت طبقك
أربعة يجمعها أقط ومن البواقي الرخوة عشر يجمعها حيث على نصره ومن المطبقة
التي هي الصاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة
وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبخ نصفها الأقل لقلتها ومن اللينة
الياء لأنها أقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يصعد الصوت بها إلى الحنك الأعلى وهي سبعة
القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الأكثر ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه واختار ابن جني
ويجمعها المنطوت منها الستة الشائعة المسموعة التي يجمعها أهطلين وقد زاد بعضهم
سبعة أخرى وهي اللام في أمثلة والضاد والراء في مضطر وزراط والقاف في حذف
والعين في أعن والتاء في نزوع الفلو والباء في بالبتك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر
منها تسعة الستة المذكورة واللام والضاد والعين وتشاركهم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والطاء والميم والياء والخاء والعين والضاد
والطاء والسين والزاء والراء والفاء نصفها الأقل وتشاركهم فيها وهي الثلثة عشر الباقية
نصفها الأكثر الذال والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الإدغام
من الخفة والفصاحة ومن الأربعة التي لا يدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء
والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها ذلق اللسان وهي ستة
عشر منها ست مذلقة والحلقية التي مخرجها الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع
في الكلام ذكر لتنبيها ولما كانت أبنية المزيد لا تجاوز عن الثمانية ذكر من الزوائد العشرة
التي يجمعها اليوم تنساه سبعة أحرف منها تعينها على ذلك ولو استقرت الكلم وتراكيبها

وجدت الحروف المتروكة من كل جنس كتنبيه المذكورة ثم انه ذكرها مفردة ومثنية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر تلك معرفات في تلك سورها لانها توجد في الاقسام الثلثة
الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف لا تحذف كبل وفي الفعل عند
كفل وفي الاسم بعيد من كن وبه كلمة في تسع سور وتوقعيه في كل واحد من الاقسام الثلثة
على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن
ويدل على انه من جرها وتلك ثلاثيات في الاقسام الثلثة على ثلث عشرة سورة
فيها على آتي اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال وثنا
عشر وخماسيين تنبيها على ان لكلامنا اصلا كجعفر وسفرجل ومخفا كفردد وجحفل وتنبيها
فرقت على السور ولم تعد اجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من عادة التحدي
وتكريرا التنبيه وايضا لانه فيه والمعجز هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤ
منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها
كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط مثله منهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القرآن باشرف بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مسمياتها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان
يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن
نزل لتفهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز
ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله ضرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الالف الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه

ان الروح من يحيى الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحوه الذي في سائر الفواتح
وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله
بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدة قيامهم واجال حساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فانزل الله تعالى
ايا ما بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استبشارهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن
عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب الحقوا المعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس
او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة
خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يجر جها الى البس في لغة العرب لان التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى ايجاد الاسم والمسمى وتستدعي تاخر الخبر عن الخبر
من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لا يا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف بل تجاوزها من حيث انها فواتح السور ولا تقتضي
ذلك الا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
اما الشعر شاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي
الخطاب وتمثيل باسماء حسنة الا ترى انه عند كل حرف من كلمات متباينة لا تقتضي
هذه المعلل دون غيرها الا تخصص لفظا ومعنى ولا حساب الجمل فيحتوي المعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تشريحا من جهتهم وجعلها مقسما بها وان كان غير مسمى لكنه يحوج الى
اضمار اسماء الادلة عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تستقيم اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
بعلبك فاما اذا ذكرت بتراسمها العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع الثنوين والاسم جزؤها

فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك
اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول يا
كهيعص يا حمعسق ولعله لا يشرحها وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ الخارج واللام
من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها اعلما الى ان الحبة ينبغي ان
يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكرا لله تعالى وقيل انه سر بين الله تعالى بعلمه وقد روي
عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم اراد وا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء مع
او القرآن او السورة كان خبرا من الاعراب اما الرفع على الابتداء والخبر او النصب بتقدير فعل
على طريقة اتقلا تعلق بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويأتي الاعراب لفظا
والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد مع فانها كما قيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيجيء
البيان ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى والتنبيه على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف
كان في محل الرفع بالابتداء والخبر محذوف تاخر وان جعلتها مسماها يكون كل كلمة منها
مسموعا او مجرورا على التعيين في الله لا محالة ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
اسماء السور كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التهجي لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل
المبتدأة والمفردات المعدودة ووقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها
وليس في معناها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالمص موازنها والمص وكهيعص قبله وطسم
وقس وحم آية وحم عسق آيتان والمر في ست آيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك
الكتاب ذلك اشارة الى القرآن او السورة المؤلف من هذه الحروف او فيها السورة او القرآن خاله
لما تكلم به وتعظيما ووصل من الرسول الى المرسل اليه بصارت مساعدة وتكبير متى اريد به السورة

لذكر

لذكر الكتاب فانه خبر او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد
به الكتاب الموعود انزاله نحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وعدا وفي الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول كالخلق او بمعنى المفعول كالنساج من عبر به
عن المنظوم عبارة قيل ان يكتب لانه مما يكتب واصله الجمع ومنه الكتيبة
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح
في كونه وحيا بالغة الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الا انه فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا
في معارضته عن مكوبه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيها
مجال للشبهة ولا مدخل للمرية وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهذي حال من الضمير
المجرور والعامل فيه الظرف او واقع صفة للنفي والريب في الاصل مصدر بمعنى الشك اذا حصل
فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة
وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب
الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهدي الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالشرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى
هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهتدي الا لمن اهتدى ولو اختصاصه بالمتقين لانهم المنتفعون
به والمنتفعون بغيره وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وهذا الاعتبار فالهدى
هدى للناس او لا يمتنع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الكمال ولا
والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه يجلب نفعا
ما لم يكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يفهم ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك
عن بيان تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة

لذيذ

وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن
العذاب المخلد بالبراءة عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية اجتناب كل
ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف اسم التقوى في الشرع والمعنى بقوله
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه
وهو التقوى الحقيقي المطلق بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسروا قوله هدى للمتقين
على الاوجه الثلثة ولانه يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن
او السورة او مقدرة بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في بابه اعني اقصى درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من مصوب محل لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء المركبة معها وفي قراءة ابي السمال مرفوع
لا التي بمعنى ليس وفيه خبر ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص
نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثم اوصفته والمتقين من خبره وهدى نصب على الحال
او الخبر محذوف كما في لحمته ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير فيه لا ريب فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى
انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر
الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة غير اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالجملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يتكون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال تجل على
كماله نفي الريب فيه لانه كمالا على منهاج الحق والبين ثم اكد كونه حقا لا يجوز ان يتطرق اليه الشك
بانه هدى للمتقين وتستتبع كل واحدة منها ما لها استتباع الدليل للمدلول بانه الثالثة

ولا ريب جملة ثالثة تشهد على كماله

اولا

اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استتبع
انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يختلج الريب بالطرايه اذ لا
نقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك لا محالة هدى للمتقين وفي كلا
منها نكتة ذات جزالة في الاولى الحذف والترقي المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة
التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية
وتسمية المتاركين للتقوى متقين تهكما او تحقيقا لانه الذين يؤمنون بالغيب اما
موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مفيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب المعلول على العلة والتصريح على التفصيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس المحاسن من الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية ولما
فيه المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر
اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما منصوب عنه مرفوع الابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق
امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجله صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع تلك امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل

بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل الاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل الاقرار فكافر ومن اخل العمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى
وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ثم لبسوا ايمانهم بظلم ما فرس قلة
التغير لانا قوبل بالاصل وهو معين الارادة في الاثر اذا العدوى الباء هو الصلة
وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد
من اقتران الاقرار به ليتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند الكافر من ذم
الجاهل المقصر ولكن لا يمكن ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الارض والخصبة التي الكلية غيبا او فعل خفف كقيل والمراد به الخفي
الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلت صلة للايمان واو فصلة وقع
المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود
قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من الايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل
المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لكن يقولون بافواههم

ما ليس

ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة قال قامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميصها فانهم اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يشترون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام
بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عن
الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والتخشع والتسبيح
والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الخشوع
من رعاية حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحفوظها الباطنة من الخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر
في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ الجمع وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله
عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون والرزق في اللغة اللفظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بخصص الشيء للحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما اشتهر
من ان الله لا يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس
برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال
المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله

بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واضافتها
جعل الاستفهام للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لمحرم ما لم يحرم واختصاص ما رزقنا
هم الحلال الطيبة وتنكير الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قيس
لقد رزقك الله طيبا فما حرمت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من
حلاله وبابه لو لم يكن رزقا لم يكن المختار به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والفيء الشيء وانفقه اخراجه ولو استعمل
الالفاظ وحدث كل ما فاء وفون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والقاهم
من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسر بالزكوة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه اختصاصه بها لاقترانها بما هو شقيقها وتعديه
المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاي واحتمال من التبعيضية عليه لكف عن
الاسراف والنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي تاهم الله
من النعم الظاهرة والباطنة وتؤيده قوله عليه السلام ان عجلا لا يقال به كثيرا
ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون

والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة
المتقين دخول الخاص تحت العام اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبقولا
مقابلوهم كانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس وعلى المتقين فكانه قال
هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون وبايمانهم
ووسط العاطف كما توسطه في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله بالخف زبانية للهارب القاطع والقائم فالايمان على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما تدركه العقول جملة والايمان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين

الايمان

الايمان بما لا طريق له غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وطائفة منهم وهم
مؤمنو اهل الكتاب وكرر مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم

وبالآخرة هم يوقنون اي بالدار الآخرة وما فيها من الدرجات الحاصلة لها ولعل تقديم الكتب الالهية على الرسل لان تلقف الملك من الله
ثم تلقفها روحانيا ووعيه من اللوح المحفوظ ونزل به فلقنه على الرسول والمراد بما
انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله
تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم تسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا ح وعما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين
وبالاولى دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض وكيف كان الكفاية
لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفسادا المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي
ايقانا زائدا معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره
وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وتنكير الايقان على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتاب وان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك يوصف به
علم الباري تع ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في الجموع وفي
ونظيره مؤقنان الى موسى وجمعه اذا اضافه بما الوقود **اولئك على هدى من ربهم**
الجملة في محل الرفع ان جعل اجلا الموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكانه لما قيل

هدى للمتقين قيل بما بالهم حصول ذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الا
يات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب ال
فالمتصفون بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره حسن الى زيد يحمد بفعله حمد بفعله
القديم حقيقي الاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة
وهو ابلغ من بيان فيستانف باعادة الاسم وصلة لما فيه من بيان المقتضي وتخصيصه
فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال مرتفعة على الشيء وركبه وقد مر جوابه في قولهم تعلى
الجهل والغوى واتقد غار بالهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر ودامة النظر
فيما نصب من الحجج والمواظبة على مجاهدة النفس في العمل وتكرير هذه التعظيم كانه اريد به
صيرت لاتباع الكتاب ولاقتدار قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالحضيض على خالد
لقد وقعت على لحم وتعظيمه بان الله ما نجه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء
تحقيقا وبغنة • واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على مفهوم الجملتين
ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الامرين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسبها العطف وهم فصل يفصل
الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والفلاح بالحاء والجيم الفائز المطلق كانه الذي انفتحت له وجوه
الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلد وفلى يدل على الشق ومنه
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغت انهم المفلحون في الاخرة او
الاشارة الى ما تميز به كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف

نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل الايات الاحد من وجوه شتى بها الكلام
على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرتهم
والترغيب في اقتفاء اثارهم وقد نبهت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذا
وردوا بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح وكرمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم
لا عدم الفلاح له رأسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه
بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضداد هم الغواة المردة من الكفار الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم تعطف قصتهم على قصة المومنين
كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم واتهاكهم في الضلالة
وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الابتداء
واعطاء معانيه والتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي
وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل حمل فيه وقال الكوفيون
الجزء الثاني خبرها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
الاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويستنبئونك
عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين فالمتبادر قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد
الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
اما للعهد والمراد به ناس بعينهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس منتاولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر

لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر وفي كلام العرب كما قرر في الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عدّ لبس
الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها يدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام
لا يجترئ عليه باظهار الالهانة كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ المضي
على حدوثه لا يسند عليه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم خبران وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع سواء
بانه خبران وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستوى عليهم
انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تع
واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع المعيدي خير من ان
تراه وانما عدلوا ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرر معنى الاستواء وتاكيده فانهما خرجتا عن معنى الاستفهام مجرد الاستواء
كما خرجت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
ولا انذار لتخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة
لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع
فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان الهمزة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وتحذف الاستفهامية وتحذف الفاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة

لا يجاله

لا يجاله ما قبلها فتمامه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ثان والجملة
قبلها اعتراض ما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون واخبره بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل بانهم الايمان
بانهم لا يؤمنون فيجمع الضدان والجواب ان التكليف لا يمتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي غرضا سوى الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخبار تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
تعداد العلم بانه لا يمنع الزام الحجة وجاز في الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص عينهم فهي من المعجزات
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له
والتبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في اخراز والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد
بهما ان تحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وآذانهم بحيث لا يتاتى استماعه فتصير كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لا تجلي الآيات المبصرة في الانفس والآفاق كما تجليها اعين
المستبصرين وتصير كانها غطي عليها وجعل بينها وبين الابصار وتنكيرها على الاستعارة ختما
وتغشية او تمثيل قلوبهم ومشاعرهم المؤدية بها الى الايمان بضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها
وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه

عن ذكرنا والاقتداء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهو يحتمل ان المكاب باسرها
مستندة الى الله تعالى فاعلية بقدرته استندت اليه وان يكون الكل مسببة مما
اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرب المفسرون
فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال القوم
بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب ختم الله عليها وقلبه سالبة الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقدار الله تعالى اياه اسنده اليه
اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراضهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يتوقع بقاء لتحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تراخي امرهم في التحي وتباعي انهما
كختم الصلاة والنفي الخامس ان يكون بحاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فكما وسموا بها
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون
عنهم وعلى المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى
سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه والوقاية على الوقف عليه ولانها
لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من
جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة

الخصة

الخصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون على شدة الختم في الموضعين واستقلال الكل
منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصدور
لا يجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية والقلب هو محل العلم وقد يطلق ويراد به
العقل والمعرفة كما في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز اتباعه مع الضاد
لان الراء المكسورة تقلب مستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش وتنوينه للتعظيم على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر فوعة والفتح مرة وعدة منصوبة وغشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناؤه من عذب اذا نحى عن الشيء وتركه
اذا اشتد لانه يمنع العطش ويزيده ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم
فادح وان لم يكن كالا اي عقابا يمنع الجاني عن المعاودة فيمنعهم منها وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه وتحقيق الاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة
ليس مما يتعارفه الناس وهو الغطاء عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم
كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى
بشرح حال الكتاب وسابق بيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين تحصنوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا الى

ولما فرغ من القسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم
ولم تؤمن قلوبهم تجلا للتقسيم وهم اختبثوا الكفر وانغمسوا الى اقلاعهم وقصدوا الكفر
وخلطوا صحيحا فاسدا واستهزأ طولوا في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكمهم بأقوالهم وتحمل
على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وترك لهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس كقولهم انسان
وانس وناس فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الاحبة ناد وهو اسم جمع كرهط اذ لم يثبت
فعالة في بنية الجمع ما خوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة مرادها اناس واحجابه ونظراؤه فانهم من حيث تمرنوا على النفاق دخلوا في عداد القوم
الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر بايقاع خولهم تحت
هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها اغراضها فعلى هذا تكون الآية
تفسيرا للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان وادعاء بانهم اخذوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
ولذلك منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان
القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم
لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا
كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وتكريرا لنداء ادعاء الايمان على

واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى والى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة وما هم بمؤمنين انكارا لما ادعوه ونفيا لما تعلقوا اثباته وكان اصله وما آمنوا
لكنه عدل عنه الى الصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك
اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معناه ليس لهم ايمان في شيء ويحتمل ان يقيد
بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد
لم يكن مؤمنا الا ان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عنها لموافقة او نفاقه لم
يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تتم حجة عليهم يخادعون الله والذين
آمنوا الخدع ان تورهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزيله عنها هو تصدره من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اورهم الحارش اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر واصله الاخفاء ومنه الخدع للدرابة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والخادع
يكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد انما خادعة رسوله على حذف المضاف وعلى ان معاملة الرسول
معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله وانما اتصور ضمهم مع الله من اظهار الايمان و
استبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم واستمالة الرسول والمؤمنين اعز الله في
اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادع
ويحتمل ان يراد يخادعون يخدعون لانه بيان لقوله واستيفاء بذكر ما هو الغرض منه

الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل من غالب
فيه كان الجمع منه اذا شاء لا مقابلة معارض ومثاله سبحانه ذلك وبعضهم قراءة
من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى مناويهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا
انفسهم وما يخادعون قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والبزي ذات الخداع راجعة اليهم
وضررها يحيق بهم او ايهم في ذلك خدعوا انفسهم لما عرضوها لذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم الامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون بمعنى يخدعون
ويخادعون ويخادعون على البناء للمفعول في نصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم
لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها
او يتسبه ذاتا ما مع وتميزا اليه والمراد الا نفس ههنا ذواتهم وعبر عنها بالنفس على ارواحهم
وآرائهم وما يشعرون لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعلهم لعدم الحس والشعور وجوع عن
البهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على فاقدي الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
مشاعر حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض
حقيقته فساد يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز
في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية
والاية تحتملها فان قلوبهم كانت مستعدة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على
المؤمنين من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزادهم الله غيهم بما زاد في اعلاء

امره واشاعة ذكره وما هم كانت مؤدية الى الكفر وسوء الاعتقاد ومعادا في النبي عليه السلام
ونحوها فزادهم الله ذلك ايضا وازداد التكاليف وتكرير الوحي وشاعت النصر وكان
اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله
فزادتهم رجسا اليهم اسنادا وتحتمل ان يراد بالمرض ما جعل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهد
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما
زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم شديد بما كانوا يكذبون
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم ويدل عليه جزاء له وهو قوله آمنا وقراءة الباقين
يكذبون من كذب بالتخفيف لانهم كانوا يكذبون الرسول بقولهم واذا خلوا الى شياطينهم او من
كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموت البهائم او من كذب الحق اذا جرى
مجرى الكذب ووقف لينظر ما وراءه فان الماضي مخبر مترددا والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف
ما هو به وهو حرام كله لانه ظلم به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي
ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شبه
الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او
يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس
الذين كانوا فقط بل وسكون من بعدهم حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعتريان كل نافع
ومضار وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن مخادعة المسلمين و
ملاقاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او
الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جوابا لذلك او رد للنصح على سبيل المبالغة

والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا مخصوصة من
خواص الفساد لان انما يفيد قصرها دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد
وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال
الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا
يشعرون ردا لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصدير بحرف التأكيد الا المنبهة على تحقيق
ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا وتقريرا
لنفيه لك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يلتقي بها القسم
واختها اما التي هي من بلايع القسم وان المقرة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا
قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع
لا يتم وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما يتم وهو المطلوب بقوله آمنوا كما
آمن الناس في حيز الصلة المصدر وما مصدرية وكافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما
يستعمل استعمالا مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى ما لهم لا يؤمنون ونحوه وقد جعلها
الشاعر في قوله اذا الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن
من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متخلصا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان
والا لم يعد التقية قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار
بها الى الناس والجنس باسره وهم متدرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد
رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال وللتجاهل

وعدم

وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فتراء الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه
خفة وسجاية تزاول بصاحبها نقصان العقل والحلم بقابله الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون رد وسماه السفه في مجهلهم فان الجاهل بحقيقة الجهل اعظم ضلالا واشد جهالة من
المتوغل المعترف بجهله فانه ربما يتذكر وينتفع الآيات والنذر وانما عدل الا انهم لا يعلمون
والتي قبلها لا يشعرون لانه اكثر جريا في الذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق
والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر وانما النفاق وما فيه من الغش والفساد فانما يدرك بادنى
فطن وتأمل فيما شاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان
لمخالطتهم مع المؤمنين واظهارهم ما صدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم
فليس بتكرير روي ان ابا بكر واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف رد
هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلعم فتراءت
والتقا المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته
فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه او من خلا اذا مضى اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
وجعل سيبويه نون ثان اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد
له قولهم تشيطن واحرى دلالة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة

ان لانهم قصدوا الاوفى دعوى احداث الايمان وبالغاية تحقيق بانهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع
رواج ادعاء الكفر في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
انما نحن مستهزئون تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدله
منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا لهم انا
قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقة
تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مثلا له في القدر
او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او يسمهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
واذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استوفى به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يجعل
المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا نؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله
لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم انما وبان الاستهزاء يحدث فما لا ونحدث حينا
بعد حين وهكذا كانت كتابات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت الشراج والارض اذا استصلحتها بالتربة والسماد لا من المد في العمر فانه يتعدى

باللام

باللام كما مر ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطاقة التي يتمكن بها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وسد عنهم طرق التوفيق على انفسهم فزادت بسببه قلوبهم رينا وظلمة وتزيد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا او يمكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد
الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة وتصديق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق اللغو وقال واخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمدونهم
لهم تعدى بعلى لهم وغذى اعمارهم كي يتبعوهم ويطيعوهم فيزدادوا الاطغيانا وعمها حذف
اللام وعدى الفعل نفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم
مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالعصيان والغليان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال العجاج
الجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها
به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين يشاهد تعين جهة
الطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصوره بصورة الثمن فبذله
فشراء واحد بالآخر ولذلك عدت الكلمات من الاضداد استعير الاشتراء لمعاطاة ما يعد
عوضا سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت الجهة رأسا زعرا وبالغا بالواضحات
الدرر درا وبالطويل العمر غرا جذرا كما اشترى المسلم دنياه باخرته فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي هي ضدها اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت
تجارتهم ترشيح لمجاز ما استعمل الاشتراء في معاملتهم اي فما ربحت تجارتهم وما
رأيت البيع ابين ذا ربح وعشت في ركبه جاعلا صدري والتجارة طلب الربح بالبيع

والشرى والربح الفضل على راس المال لانه لذلك سمى نفاقا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على
الاتساع لملابستها الفاعل وشبهها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهم قد اضاعوا الطلبين
لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل المرشد فلما اعتقدوا الضلالات بطل استعدادهم
وهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال كمثلهم
سرين ايسين عن الربح فاقدين للاصل حالهم كمثل الذي استوقد نارا لما تحققه
حالهم عقيبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد
لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولاجرم اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في
كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك
حوفظ عليه من التغيير اشعارا بكمال حاله او قصته او صفة لها شان وفيها غرابة مثل
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل جمع الضمير
في نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة به ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
لحقه ان لا يجمع كما لم يجمع الجزء ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه
للجمع بل زيادة زيدت لزيادة المعنى وقد يحذف الياء اذا تاملت القصة التي عليها
التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك يوقف عليه بحذف ياءه ثم تشبيه
اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين اوقصد به جنس المستوقدين والنفخ
الذي استوقد لا يستفاد للنور والتوقد تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا تحرك فيها حركة واضطربا فلما اضاءت ما حوله

اي اشتد نمو المستوقد منها منها سببية والا امكن ان يكون مسندة الى ما والاضاءة لازم
ما حوله اشياءه وانما كان اولى لصحة اسناده وما موصولة في معنى الاماكن نصب على الظرف او
مفعول وحوله ظرف وانما لم يقل حولها للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم
جواب لما والضمير للذي وجمعه لحمله على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بناره
لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول كيف بلغ بهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والتفسير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس
اسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او انه
سماوي كريح او مطر او لما لقة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة ما فيهما من معنى الاستصحاب
والاستمساك بقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه ومما اخذه وامسكه فلا مرسل له ولذلك
عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه
عافي الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف
قرر ذلك وادكره بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور والظلمات
الحلبة وجمعها وتنكيرها وقد مر انها ظلمة خالصة لا يترائى فيها شيء ما وترك الاصل
على طرح وعلى فمفعول واحد فضمن معنى صير جرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات
وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذ من قولهم ما ظلمك ان تفعل
كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط
الله وظلمة العقاب الشرعية او مفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المنزل وكان الفعل
غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه شيء من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد
فبقي محتارا متحيرا او توضيحا لما تضمنه الاية الاولى ويدخل تحت مؤداه حال المنافقين

فآتهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستيطان الكفر واظهار حين خلوا الى شياطينهم
ومن آثروا الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ان تكون بسبب تعود الشر ومن جهة احوال
الارادة فادى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل ايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في الغنائم
والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة وانتهاب ارزاقه وانطفاء نوره باصلاكهم وافناء
حالهم بالبقاء الله تعالى اياها وذهاب نورها ثم يكون على لسانه وما سنهم عن الاهتداء
الى الحق وان يطفوا به السنتهم ويتمتعوا بالآيات باصارهم جعلوا كانما الات مشاعرهم
وانبعث قواهم كقوله ثم انا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذيعوا وكقوله
اصم عما الشيء الذي لا يريد وسمع خلق فيهم من اريد واطلقوا عليهم على طريقة التمثيل الاستعارة
اذ من شرطها ان تبنى على ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول
رجل لابي اسد يا اسد شاك السلاح مقدام لا يبدأ اظفاره كالعظم ومن ثم يرى المحققون انه
يمتنع عن توهم التشبيه صحيحا كما قالوا في قام ويتعمد حتى يظن الجهول بان له حاجة في التشبيه
وانطوى ذكره بحذف المشبه لكنه في حكم المنطوق به وتطرح اسد على في الحروب نعامة فتخاء
تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية نزلت في المنافقين
لسوء قدرتهم على حقيقتها والمجاز انهم لما افقدوا ما اذهب الله بنورهم وتركهم ظلمات
ثلاثة اذهب بنورهم عن اشياء حواسهم وانتقصت قواهم وتلفها وقعت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والتنكير اما للاشارة الى ان الظلمات من الكثرة الاجزاء ومنه قيل جراحة وقناة ضالة وضالة القارورة
شيء به فقد ان نحاسة السمع لان سببه ان يكون بالظن الصحاح مكتنفا الاجنحة فيه تشبيه كل
هواء يسمع الصوت بتوجيه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم
البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي
اشتروها او لا يرجعون لا يذكرون او لا يتعظون او لا يرجعون الى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون
فهم لا يرجعون

والفاء

والفاء للدلالة على ان اضافتهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم وحيرتهم او كصيب
من السماء عطف على الذي استوقد او كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل
للتساوي في الشك ثم اتسع فيها واطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن وابن سيرين
وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب الاحسان
ومن ذلك قولك او كصيب ومعناه ان قصته التي فقدت بها بين القصتين وانهما سواء في حيرة
التشبيه بهما وان تحيرة الفيل بهما او بانهما حيث والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
يقال للمطر وللسحاب كالسماء للغيث وقد يطلق على الغدير وفي الآية يحتملهما وتنكيره
لارادة نوع من المطر الشديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها
فان كل افق منها يسمى سماء كما او كل طبقة منها سماء فالسؤال من تعدد رض جنسا وسماء امتدت
صيب من الصوب لغة من صحة الاصل والسماء والسكر وقيل المراد بالسماء السحاب فالام للعهد
الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق اراد بالصيب المطر فظلماته ظلمة كانه منابع الغيم وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعله كانه الزهد والبرق لانهما في اعلاه وتحدره ملتبسين به السحاب
ظلماته بحسبه وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف وانه
صوت يسمع من السحاب فالمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا صادفها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء برقا وبلقا مصدر في الاصل وقد
لم يجعلوا اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب
مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعود عليه كما عاد حسان في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم برد يصفق الجنوب السبيل حيث ذكر الضمير لان المعنى ما يرد والجملة استئناف فكانه
لما ذكر ما يؤذيهم بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بانهم اطلق الاصابع
موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه
من العيوق والشاعقة فعيلة بمعنى فاعلة من شعق اذا مات علمه من الفعق وهو

شدة الصوت وقد تطلق على الكلام بل مسموع او مشاهد وبالصيحة الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق وشدة الصوت وقرئ من الصواعق وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا
اللغتين في التصرف فيقال صعقه الدهر وخطبت مصقع وصعقه الصاعقة وهي الاصل
اما صفة لصعقة الرعد والتاء لنقل اللغة كالراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل
عرض يضاده كقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدم
والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كالا يفوت المحاط به المحيط لاحتوائهم الجماع والجبل والجلد
اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد بعضها او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجاء فهي خبر محض ولذلك
بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على ان المقصود بالقرب من عين
لوكان القرب بالفعل على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما حمل عليها بالحذف من حيث
لشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بالسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف
على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت الطاء وبخطف بكسر الخاء لالتقاء
الساكنين واتباع الياء الخاء ويخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
تالفه كانه قيل ما يفعلون في تارتي خوفهما البرق وخطفه فاجيب بذلك واضاء اتاه منه
والمفعول محذوف بمعنى كلما اتوا عليهم شيئا اخذوه او لاح بمعنى كلما لمع لهم مشوا في ضوئه
وكلما اظلم فاتهم جاءوا متحيرا مستوقفا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقولك ظلام تمام بهما الظلام اي تحت الحلك ظلا يتهما عن وجه امر واشتبه فانه وان كان
من الحذر بين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقول بمنزلة ما يرويه وانما قال مشوا
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها

ولا كذلك التوقف وبعض فاتوا وهو منه قامت الشوق اذا تركت وقام الماء جمد
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد كثر حذفه في شاء واراد
حتى كاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط
وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني عرفا انتفاء المذكور عند انتفاء لازمه
وفي لاذهب باسماعهم وابصارهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع للذهاب بسمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تأثير
الاسباب مسببا تها مشروط بمشيئته تعالى فان وجودها مرتبطا بمسبباتها واقع بقدرته
وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتعريف والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل
مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وبمعنى شيء تارة وبمعنى المباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله
على كل شيء قدير اي قادر على كل شيء فهما على عمومهما بلا مشوبة والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم تخصيص الممكن في الموضعين بذلك العقل
والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وفعل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي اذا شاء فعل وان شاء
لم يفعل والقدير المبالغ في الشيء على ما يقتضيه ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى ويستفاد
القدرة من التنكير لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله
تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان الشيئين من جملة المقابلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية
متعلقة من مجموع تضامت اجزاؤه ولا صفت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة

حال الحارة جعله بما يحل من اسفار الحكمة والفرض منها تمثيل حال المنافقين من الجبن والشدة
كما كان يدين لطفت ثانيا بعدا بقاده في ظلمة او كحال من اصابه الشتاء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان اخذ
الشتاء فرادى فشبهها باشياء كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقوله اثر النفس كان قلوبنا الطير رطبا وبالجملة ذكرها العتاب
والتخفيف التالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغيرها
باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باطفاء الله نورهم وافشاء سالمهم
وابقاءهم في الخسار الدائم والعذاب الشديد اطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني تشبيههم باصحاب الصيب اي ما هم الحائط الكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذا الصوت عاد نفعه
ضرا وتخافهم حذرا عن كلمات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفر بجعل الاصابع
في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا مرد من قدر الله ولا يخلص منه ما يريد
بهم من الضار ويحيطهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما اضاء لهم من البرق
خطفة انتهزوها فرصة مع جبن ان يخطف ابصارهم فيخطفوا الحق بسببه ثم اذا اخفى وقف
لمكانه بقوا متحيرين لا يحركون اقدامهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان
من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما اشتبك بها
من شبه المجملة واعرضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيه من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يجعل اصابعه في اذنيه فيتأذى عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى
قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما بلغ لهم من رشد بكونه او رفيع الى اصلاح

مثلهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين عرض لهم شبهة او نزل بهم
مصيبة بوقفهم اذا اظلم عليهم وتنبيه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على ان
كمال السمع والابصار بتوسلهما الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها
عن الفوائد الآجلة وبشارة تطلعهم الحالة التي يجعلونها فانه على كل شيء قدير يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد ما للكافرين وذكر خواتمهم ومصائر امورهم اقبل على الخطاب
سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتنبيها لشأنها وجمعا لكلمة
العبادة بلذة المخاطبة واحرى لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي انت ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء حاله
او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة معترضة لانه نائب مناب فعل
واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فانه ادخال ما عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
فانهما كالمثلين وعلى حكاية المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والترم رفعه اشعارا
بانه المقصود ولحقت تاء التأنيث تأكيدا وتعويضا عما استحقه اي من المضاف اليه
وانما اكثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بوجه من التأكيد وكل ما نادى الله عليه
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطن لها ويقبل بقلوبهم عليها واكثرهم عنها
غافلون خليق بان ينادى له بالاكيد الابلغ والجري واسماؤها الخلاة بالام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها على اتحاد الخالق والناس ثم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد
لما تواتر من ندبه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للمعدومين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها
الذين آمنوا فمدني ارجح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا ابرحها العبادة فان المأمور به
هو المشترك بين تلك العبادة والزيادة عليها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها

بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالشرائع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به فكان الحديث لا يجمع وجوب الصلوة فالكفر يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والا
ستقال بها عقيبه ومن المؤمنين ازدياد هم وثباتهم عليها واما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة
هو الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان يخص الخطاب
بالمشركين وارادة الرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها ارباباً والخلق اعادة الشيء على
تقدير واستواء واصله التقدير يقال الخالق للنعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم**
منا ولكل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقررة عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وفيه
من قبلكم على الجام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيداً كالجم جرى قوله بالم ثم عدى
لا بالكم ثم الثاني بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال عن الضمير في اعبدوا
كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تحرزوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى شبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرء من كل شيء سوى الله الى
الله وان العابد ينبغي ان لا يفتر بعبادته ويكون داخوف ورجاء كما قال يدعون ربهم
خوفاً وطمعاً يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على افرادهم تغليباً وقيل تعليل للامر
اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة
مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثواباً فانها لما وجبت عليه
شكراً لما غذى عليه من النعم السابقة فهي كاجر الاجير قبل العمل **الذي جعل لكم الارض**

فراشاً

فراشاً صفة ثانية او بدل منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال
العامة التي تكون بمعنى خلق كالذي اوجد بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوبكم اي مال من
الاكوار من اخذها قربت وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشاً والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول اخرى والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشاً ان جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء مع ما في
طبعه من الاحاطة بها وصيرها مستوية بين الصلابة والليانة حتى صارت مهاداً لان تقعدوا
وتناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا ينافي كونها مستدقة لان كرية شكلها مع عظم جرمها
واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والبناء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع بناية والبناء مصدر سمي به المبنى بناء كان
اوقبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً **وانزل من**
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم عطف على جعل وخرج الثمار بقدرة الله في
وكيف جعل الماء المروج بالتراب سبباً في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان امر عادته بان
صورها وكيفها انها على المادة المتهيئة منها او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة بتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب والمواد وكيف لم يخلقها ميتة خامدة من حال الى حال صنعاً وحكماً تحدى بها الاولى الالباب
عباداً وسكوناً الى عظم قدرته ليستدل بايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علا الشيء سماء والفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير ابخرة الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد
سحاباً ماطراً ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تع واخرجنا به ثمرات وكثيراً ما يذكر المكرر لها
مادة ورزقاً كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات لكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الا ماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار وجعل كل المرزوق ولكن

ورزقا منصوبا بمحذوف يدل عليه انفقت من الذي هو الفاء واما شاع الثمرات والموضع موضع
الكثرة لانه اراد الثمر جاعلا الثمرة الواحدة قوتا اذا ادركت ثم سقاه وتوالت قراءة من الثمرة
على التوحيد ولان الجموع يتجاوز بعضها موضع بعض كقولهم كم ركوا من جنات وقوله تعالى فردوا
او لانها لما كانت محلا بالتلام خرجت عن حد القلة وكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول
ان اريد به المصدر كانه قال رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي
معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له ويدخل على ان نصب فاطلع في قوله
تعالى لعلي ابلغ الاسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء السبعة لاشتراكها في انها غير موجبة
والمعنى ان تنفوا لا تجعلوا له ندا او الذي يجعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول
فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حقكم بهذه
النعم الجسام والآيات العظام بمعنى ان لا تشركوا به والندا المثل المساوي قال سحيم عبد بني الحسحاس
اتيما تجعلون الندا وما يتم الندى حسب نديدي من ندد نددا اذا نفر وادد الرجل بالضم اذا خاصمه حتى يخالف
الحاقا في الذات كاحقى المساوي للماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا
وتنازعهم الانتهاء اليه في ذاته وصفاته ولانها مخالفة في افعاله لانها تركوا عبادته الى عبادتها
وتوهمها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم بأس الله وتحرمهم ما لم يرد الله بهم من خير فيتهكم بهم ويشنع عليهم بان جعلوا انداد لمن يمتنع
ان يكون له ند ولهذا قال السيد الحاصلة زيد بن عمرو بن نفيل ارب واحدا او الف رب ادين
اذا تقسمت الامور ترك اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال
من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون متروك اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر والرأي فلو تأملتم
ادنى تأمل اضطرت عقولكم الى اثبات موجد للمكانات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات وتسوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقصيد الحكم وتنصيص عليه فان العالم

والجاهل

والجاهل المكن من العلم سواء في الكاذب واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي
عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على
صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه في معاشهم من المسكن والمأكل والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم
والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شهدت على
وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل الحواس وازدواج
القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية والفاعلة و
الانفعالية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها
ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي تبين
فصاحة كل منطيق والحامية من طوائف معارضيه من مصاقع الخطباء من العرب العرباء
مع كثرتهم وفرط علمهم في المضاربة والمضارة وتفاكههم على المعارضة والمعارة وعرفهم بما يتعرف به
اعجازه وتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما نجما بحسب
الوقائع على ما يدل عليه اهل الشعر والخطابة مما يؤكد كونه من الله عز وجل وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة
والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تشريفا له بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه
وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث
آيات وسميت سورة لحصولها وهي اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة

من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محوزة على ما تاج من العلم حوالى سور المدينة
على ما فيها ومن السورة التي هي الترسة فالسور الحظيرة في سورة في المجد لتيس غرائبها
بحظارة لان السور كالمنازل والمراتب يرتقي فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل
والشرف وتوابع القراءة وان جعلت واو هاء بدلا من الهمزة فمن السورة التي هي البقية
والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا اما اذا لا تواء ولا لحق الاشكال في تحاب
والنظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والرغبة فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه
كما لما فرغ اعلم انه قطع عملا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا
تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها تعظم ذلك عنده ويتبع به الى غيرها من الفواصل
مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او من للتبعيض او للتبيين وزائدة
عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة
كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولما لم يأت تحدى ولان
الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا يحذف عنه لتنسق الترغيب والنظم ولان مخاطبة
لهم العجز بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جنسهم ابلغ في التحدي من ان يأتوا بمثله
عموما اتى به هذا آخر مثله ولانه يعجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوم اعجاز صدوره
من لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من يقدرهم ويظهرهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او الناصر والامام
وكانه سمي بهما لانه يحضر النوادي ويقوم بحضرة الامور او الركيب لحضورها بالذات وبالنصرة ومنه
المقتول في سبيل الله لانه حضرها كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه تدوين الكتب لانه ادناها البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم

استعير

استعير للرتب فقيل يريدون عمرو ادنى الشرف ومنه الشيء الدون تابع فيه فاستعمل
في كلها وحد الى جنب على امر الى امر فالله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
لا يجاوزونهم الى ولاية الكافرين وقال الشيخ بانفسهم بالله دون الله من وافى
اي اذا جاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة
من حضركم او رجوهم معونة من انفسكم وجنكم واهلكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله
الا الله او ادعوا من دون الله شهداء ليشهدوا لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا
الله فانه من دليل العاجز المبهوت على اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله
اولياء او آلهة وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على
زعمكم من قولك لا اعطي ثمنك الفلوس من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا
الجاحدة في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقل من دون الله اي من دون الله
لبيانه يعني فتحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتى فساده وبان احتلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وتحولوا به محدودين على ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك
عن كلام او اماره لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بعضهم التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين
به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة تابين لهم تابين
بما امر الرسول وما جاء به وتمييزهم الحق عن الباطل ترتب عليه ما هو كالنتيجة وهو انهم اذا جهدوا
في معارضته وعجزوا اجتماعهم الاتيان بما يشابهه ويدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فاتقوا
به واتقوا العذاب الخالد لمن كذب فعبر عن الاتيان بالكتب بالفعل لقوله الاتيان وعبر بالمجاز
وبذلك يلزم الجاحد على سبيل الكناية تقريرا للكفر عنده وهو لا يستطيع العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وصفة النار بالتي لتشدد الحال فيها واذا الذي الموجب فان القائل بحاله

لم يكن شاكا في عزمهم ولذلك قفى بتاتهم معترضا بين الشرط والجزاء تكاهم او خطابا منهم على حسب
ظنهم فان الخوف قبل الفاعل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلا لانها واجبة الاعمال كنفسه
المضارع مسلطة المعمول ولانها لما صيرتها شابهت صارت كالجزء منه وجزم الشرط كالفعل المجزوم
وكانه قال ان تركتم الفعل وذلك شاع اجتماعهما وكذلك في المستقبل غير انه لم يجزم وهو حرف
مصدر عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى واصله لا ان وعند الفراء
لا ابدلت الهمزة واو وقودها بالنار والضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول قدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعلهم مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه
وزين بلده وقد يعبر به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها
احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير مقايس والمراد بها الاصنام
التي نحتوها وقربوها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار
بكانهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشاء
عزهم كما عذب الكافرون بما كفروه وتنقيص ما كانوا يعتقدون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويفتخرون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص عذاب هذا النوع من الجناة
الكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو محسوس يجر دليل وابطال للتصور اذا الغرض تهويل
شانها وتفاقم امرها بحيث تتقيد بما لا يتقيد لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد
ما نزلت بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه مع تعريف النار
ووقوع الجملة صلة فانها بحيث تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف وحال بالجار قد من النار
لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مبتدأ لفصل بينهما الخبر في الاتيين ما يدل على النوع من
الاول ما فيهما من التحذير والتهديد على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتعديد وتعليق
على عدم الايمان بالمعارضة قصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واستهارهم بالفصاحة وتهالكهم

على المصادمة لم يجدوا في المعارضة والتجأوا الى الجلاء الوطن وبذل المهج والثاني تضمنها الاخبار عن
الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لاشتهر خفاؤه فاشتهر والطاعنون فيه اكثف من
الذابين عنه في عصره والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دليل على ان النار مخلوقة
معدة لهم الان وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة الشرطية
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على
ما جرت به العادة الالهية من ان يتبع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما نهي وتثبيطا
عن اقتراف ما يزدجر لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يتطلب له ما يكون من اثر او يتفرع
عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر عجزهم واذا ظهر ذلك فمن كفر
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
وايا الرسول عليه السلام وعلم كل عصر وكل احد بقدره كل البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم
البشارة كما خاطب الكفرة تنبيها لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا وهنوا بما اعد لهم
وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استيناف او البشارة الخبر السار فانه
يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل
لعبده من بشرني بقدوم والدي فهو حر فاخبره فرادى عتق او لهم ولو قال من اخبرني عتق
جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة فالحاسنة
كيف الجاء وما تنطلق صالحة من آل لم يعلم الغيب تأتي وهي من الاعمال ما استوفى الشرع
وحسنه وما يتناول اولا الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مبنيا للعلم
عليه اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اثر والعمل الصالح كالبناء عليه والاعتناء به لا بناء عليه

ولذلك قل ما ذكر مقرونا وفيه دليل على انها خارجة عن معنى الايمان اذ الاصل ان الشيء
يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او
مجرورا بتقدير مثل لانه لا يقال والجنة المرة من الجن وهو ستره جنته اذا ستره ومدار التركيب
على الستر ومنه الجن لاستتار اعضائه بالمتقة كانه يستر بها تحته سترة واحدة قال
كان صوت غريبه مقلة من النواح تسقي جنة سحقا اي عملا طويلا لان الانسان لما فيه من الاجنة
الكاثفة المظلمة ثم ذاتا الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر الدنيا
لما اعد فيها للبشر من افنان النعيم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم
ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة
على حسب تفاوت الاعمال والعطاء والكرام بذلك على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه
من الايمان والعمل الصالح لا لذاتهم فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا
وجزاء فيما يستقبل لان عمل الشارع ومقتضى وعده ولا يجب الاطلاق بل يجوز ان يستمر عليه
حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واعتاه ذلك ولعله
سبحانه لم يقيدها استغناء بما تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كانها
جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن سيبويه ان الجنة تجري في غير اخدود والتنكير
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الخد وقيل الوادي
المجرى السيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ما تحت الاشجار او الجاري منها واسناد
الجري اليها مجازا كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل

ان لهم جنات وقع في خلد السامع انها ما هي جنات ثمار الدنيا او اجناس اخر فاريد بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء والاتصال موقع الحال
وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب
الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا لما تقدم كما في قولك رأيت
منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر هذا الماء الا يقطع فانك لا
تعني به العين الشاهدة بل النوع المعلوم المستمر تعاقب جريانه والتكاثر الاشارة
الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي وكلن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لميل النفس
اول ما يراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتشوق لها من نيته وكيفية النعمة
فيه اذ لو كان جنسا لم يتعهد فلما له لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصور
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى الصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى غيرها مثل الاولى فيقول
ذلك فيقول الملك كل فالتون واحد والطعم مختلف او لما روي انه عليه السلام قال والذي نفس
محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على
عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والمأتي لهم الذي فيه استغراههم
وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها
اعتراض بين ذلك والضمير في به الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ويظهر قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ان يجنسي الغني والفقير
وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة
كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء فلت التشابه بينهما حاصل في الجنة التي

حى ساط الاسم والتون دون المقدار والطعم وهو كاونه اطلاق النسائه هذا وان الاية
عمل آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا الدنيا ثمرا لمعارف والطاعات
متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه نوعه ومن
بعضا مما نلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى
الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ولتيم من العوارض كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى
بالدخان نقنعت واستعملت صيغة القدوم فقيل فالجمع على اللفظ والافراد على اول الجماعة
ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة البغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار
بان تطهيرهن ليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل ما هو
قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
احوالها انما شاركت نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وسميت باسمائها على
الاستعارة والتمثيل لا لمشاركتها فى تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما لزم منها ويبعد عن فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك
قيل فى الاثافى والاحجار خوالد ولهذا الذى بقى من الانسان على حاله ما دام حيا خالدا ولو كان
وضعه للدوام لكان التقييد بالتابيد فى قوله خالدين فيها لغوا واستعماله حيث لا دوام لغوا
وقف محمد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل عدمهما خلافا لما روى عن الامام منه فايسه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات
والتشرف فى الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يجدد فيها بحيث لا

يعقرها

يعقرها الاستحالة لان بجعل اجزائها متماثلة متساوية فى الكيفية متشابهة فى القوة لا يبقى
شيء منها حالة متعاقبة ضد لازمه ملازمة لا ينفك عنها عن بعض كما نشاهد فى بعض المعادن
هذا وان فيما ذكرنا للعالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان هلاك ذلك بكلمة الشتات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوائب الالم تبشير المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم فى الاخرة بانهم ما يستلذ منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم والسرور ان الله لا يستحيى ان
يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان
حسنه وما هو المقول له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى يتعلق بها التمثيل
فى العظم والصغر والخسة والشرف دون المثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويعاضده عليه فان
المعنى العقلى انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الخير وحب المحاكاة ولذلك
شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء بتمثيل الحقير الحقير
بمثل العظيم العظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل قلة الصدق بالخالة والقلوب
القاسية الجماد وتخاطبة الشفهاء بالاتان الزاهر وجاء فى كلام العرب اسمع من قراد واخس
من فراشة واعز من نحة البعوض لما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال
المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الضعف بحيث العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واحتقر قدرا منه اتبعه على واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المهتدى به حق مسترشد به رب عليه وعيد من كفره ووعد من آمن
بعد ظهور امره شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيى ان يضرب الكاف زائدة ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحى ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح خاصة الذم وجوده

بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة والخجل الذي هو انحصار النفس من الفعل
مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي
الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نباته وحشاه واذا وصف به الباري تع كما جاء في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه
ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المرحوم والمكروه اللازمين لمعنيهما ونظير قوله تعالى ايلا ادنيا استحيين الا
يعرض نفسه كرعن بسبب حياء من الورود وانما عدل به عن الترك لما فيه من التنبيه والمبالغة
ويحتمل الاية خاصة ان يكون تحيته على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله تركيب
الخاص واصله وقع الشيء على آخر وان يصلها محذوف المحل عند الخليل لا مجرور منصوب
بانتفاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا
وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كما النفي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا تعني المزيد للتعوالضائع فان القران كله هدى وبيان بل بالمدح
لتعيين مدحه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له وناقة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه
وتعرضه عطف بيان لمثلا او مفعول لضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة
او مفعولا ثانيا لتضمنه معنى الجعل وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ وفي هذا يحتمل ما وهما
احتمالان يكون موصولة فحذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وقد
صوفه بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية في المبتدا كانه لما ذكر
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة هنا فوقها حتى لا يضرب به المثل بل
ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وما درهم والبعوض فعول
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالموعوض فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما

استنكره

استنكره والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كحياتها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا من بني تميم لدغته عقرب فقال عائشة سمعت رسول الله صلعم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما جاوز الشوكة في الالم كالحمى او ما زاد عليها في القلة كتحية النملة كقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخسة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل او يؤكد ما فيه صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك تجاب
بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاء
حرف الشرط ما هو فعل الجزم وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به اخبار لاهل
المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم لبلغ الكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل ولان يضرب
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره بعد الاتيان الثابتة والاعمال الصالحة من قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه قولهم تحقق عكم الشيخ واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون لتطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحسب تخيل الغاية عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول تبع
الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير مستقيم باتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في
معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه عزم عليها ولا يتكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا يكون

الفاسق بارادته وقيل لعله استعمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو
القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح الفاسق بمشيئته على الآخر وتخصيصه بوجه دون
وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه يشمل مع تفصيل وفي هذا اشعار
واسرار الى مثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية فضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا جوابا اذا اي اضلال كثيرا واهدا كثيرا فجمع الفعل وجمع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين بانا وتحمل ان يعلم بكونه حقا هدى وبانا
وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلالة وفسوق وكثرة كل واحد من الفعلين
بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد
وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال فليل اذا عدوا كثير اذا ساقوا وقال ان
الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج من امر الله بارتكاب الكبيرة والمجاهرة بتلك
الاولى التعاني وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد
ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستحسنا اياها فاذا تاب وهذا
المقام وتخطى خطة خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة
التعاني او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة
عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا
بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم

مرتبا

مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال الى حقارة المثل به حتى رسخت
جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
واطلاقه في الآيات الحل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد مستعار له الحبل لما فيه من
ربط احد المتعاهدين بالآخر وان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للاستعارة وان ذكر مع العهد
كان ردا الى ما هو من روادفه وان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك
شجاع يفترس اقرانه عالم يغترف من بحر الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته
بحر في العلم الى ادونه والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية
واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما
العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده
وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق لما معهم صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم
يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وتظاهر قيل
عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده
من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر
ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل
كل قطيعة لامر الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض حق او
تعالى حق فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر

هو اسم الطالب للفعل وقبل مع الخلق وقبل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه متاول به كما قيل له شان وهو الطلب
والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل بحذف النصب والخفض كما انه
كيل من ما او ضيره والثاني اخس لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان
والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون
الذين خسروا باضمحلال العقل عن الكفر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال
الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاعتبار من انوارها
واشتراء النقص والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله
استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني كان صدوره
لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون الكفر بهذه الحال توجه عليها استبعاد ذلك الانكار
وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من تكفرون واوفق لما بعده من الحال الخطاب
مع الذين كفروا وما وصفهم بالكفر وتوالي النعم وحسب الفعال الحاصلة عليهم على طريقة الالتفات
ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك وانهم اخبروا على اي حال
تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر وغذية واخلاطا ونطفا ومضغا
في مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف الواو ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم
بالنشور يوم نفخ الصور او في السؤال في القبور ثم اليه ترجعون تعادون بعد الحشر بجزائكم باعمالكم
او تصيرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم من العلم بما لا يصح لهم من الدلائل منزلة علمهم فان اناحية العلم بهما وفي الاية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا

فان

فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته ومع القبيلين فانه سبحانه لما بين
دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد
عليهم النعم العامة والخاصة واستنزع صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك
النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد
الامانة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة
الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود
عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القضية باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد
من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتعذر الكفر عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا
اي نطفا لا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم
الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بالاعمال ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجازا في القوة النباتية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها
في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال علموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف
الباري تعالى بربه بحقيقة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فيا ومعنى قائم
بذاته يقتضي ذلك على الاستحالة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم
احياء قادرين ثم بعد اخرى وهي خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وينتفع به منافعهم
او معنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دياكم استنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير

اودعكم بالاستدلال والاعتبار والتعرض بما يلائمها من الذات الاخرة والاسماء الحسنى وجنبه
الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه غاية الفعل ومنواه وهو
يقتضي باحكام الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها بعض لاسباب الغرض عارضة فانه
يدل على ان كل الكل الارض واحدة وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بجهة
السفل كما يراد السماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها
بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصد قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء و
الاستواء طلب التساوي واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يكون حمله
عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك فالية فاستوى بشر على العرش
من غير سيف ودم مهراق والاول ادنى للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه
بالقضاء والمراد السماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه مخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على ان دحي الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تأويله بجعلها مقرا للنعم لا ارض فعلا اخر
دل عليه انه استخلف من بعدهم في الارض وتدبير امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر سبع سموات
عند بعض خلقهن مصنوعة من الموج والفطور وهن غير السماء ان فسرت بالاجرام لا بالجهات و
معنى الجمع والافهام تقسيم ما عدا قولهم ربه رجلا سبع حوات بدلا وتفسير فان قيل الفلاسفة
اثبات هيئات الارصاد انتهى تسعة افلاك فلا يبقى فما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية
نفي الزيادة مع انه ان عنى بها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النظم الاكمل والوجه الا
نفع واستدلالا بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وان

لا يخلو في صدورهم من ان الابدان لما تفتت وتبدد اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف
يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها
كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على امور مقدمات
وقد برهن عليها وهاهنا الاتيان اما الاولى فلان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واما الثانية
هاهنا عليها بقوله كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الامتزاج والاجتماع والموت والحياة
عليها يدل على انها قابلة لها ابدا تعالى وما بالذات باق ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة
فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه ايتائها بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابدائها هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعيا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على انه عالم وكامل حكيم جل قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو
والكسائي الهاء من نحو فيه وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة تمداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته
بان امرهم بالسجود انعام عم ذريته وانغرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه احرى
كاوضع اذا نسبة مستقبلة يقع فيه احرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان
وبناؤهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكروا اذ انتم قليل فنحو
تاويل اذكروا الحادث اذ كان كذا لمحذوف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قال
او اذكروا على الاول المذكور لانه جاء معوكا لهم مما في القرآن كثير او منعم دل عليه مضمون الاية
المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلقكم داخلة في حكم الصلة
وعن سيبويه انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل والشمائل لتاثيث الجمع وهو مقلوب
مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل

اليهم واختلفا العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها
فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شاغلهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم
تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته
في كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض ولا فاسدوا
فيها فاعتبر ابليس في جند من الملائكة فدحرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وما على من جعل
الذي له مفيد لان وهنا في الارض خليفة اعمل فيها لانه عجز الاستقبال ومعتمد على مسند
اليه ويجوز ان يكون عجز خالق والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والهاء للمبالغة
والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفه في عمارة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لحاجته به تعالى الى من ينوبه
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستثني ملكا كما
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واستعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم على
رتبة كملة بلا واسطة كالكلم موسى في الميقات ومحمد صلوات الله عليه ليلة المعراج وقيل
ذلك في الطبيعة ان العظيم لما عجز عن قبول الغذاء عن الهي لما بينهما من التباعد جعل البارئ
بحكمته بينهما الظروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن

اختلف في حقيقة الملائكة

العليون والمقربون

المدبرات امرا

الطوالع كالمثل

كلم الله موسى في الميقات
وكلم محمدا عليهما السلام
ليلة المعراج

الارض

الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ
اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر القبيلة في قولهم مر بها اخم او
على اول من يخلفكم او يخلفا بخلفكم وقائلة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان سر بوجوده تكمل ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد تسويلهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان
ترتب الخير الكثير لاجل الشر القليل خير كثير في عرف ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي برئت تلك
المفاسد والفتها واستخبار عنها بين ندمهم وتوبيخ شهتهم كسؤال المتعلم عما يختلج في صدره
وليس اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك
باخبار من الله تعالى او تلقي من اللوح او استنباطا باعتبار كون في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياسا لحالهم الثقلين على الاجر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك
بالدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك الشن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجح الى من سواء
جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال
مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما من متوقع
منهم على الملائكة المعصومين في الاستحلال والتجوز والتفاخر وكانهم على ان المجعول خليفة
ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية وذوبان بدواعي الفساد وسفك الدماء وعقلية
تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا انما الحكمة في استخلافه وهو اعتبار

جعلت

القوتين لا يقتضي الحكم باتحاده فضلا عن اختلافه واما باعتبار القوة العقلية فهي تفهم
ما يتوقع منها سليقا عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين
اذا صارت مذعنة مطواعة للعقل منزهة على الجرأة العفة والشجاعة ومجاهدة الهوى و
الانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تنزيه الله عن السوء
وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وتحمد لك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك
على ما الهمتنا من ثنائك ووفقنا لتسبيحك نذكر كما يعبر اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذي هو اعظم الاعمال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها انما تعلق علم ضروري بها فيه او القاه في روعه ولا
يفتقر الى سابقة اصطلاح لتسلسل والعلم فعل يترتب عليه العلم عالما ولذلك يقال
عليه فلم يتعلم وآدم اسم عجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالضم بمعنى
الاسمرة او من ادم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
وخمرها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه احمرا وابيض واسود والادمة بمعنى الائتلاف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب والخيس من الابلاس والاسماء اعتبار
الاشتقاق مما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا يعبر به عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في
الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة موقوف

على العلم

على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الانتفاع ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذا التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه للدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس
شيبا لان الغرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد
به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء ومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من
العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال بيوني اخبروني
بأسماء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة العدل
قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال اذ ليس تكليف لكون
من باب التكليف بالمحال والاسماء اخبار فيها اعلام ولذلك يجري كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان جنسكم واستخلافهم وجه صنعهم
لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام
باعتبار مدلوله قد يتطرق اليه بنظر منا بلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعبر
الانشاء قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واخبار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة
في خلقه واظهار لشكر نعمة بما فهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم وتراعاة الادب بتفويض
العلم الى الله وسبحان مصدر نعم ان ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجري على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ وفي قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني

كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمدعاته الذي
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وفصل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك
وان لم تجز مررت بك انت اذا التابع يتبع فيه ما لا يتبع في المتبوع ولذلك تجاز يا هذا الرجل
ولم تجز يا الرجل وفصل مبتدا الخبر جملة فعلية والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم
اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط للكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور التموات والارض
جوز ان اظهرهم من احوالهم الظاهرة والباطنة على ما لا يعلمون وقيل تبرير عما تبدون على ترك
الاولى وهو ان يتوقفوا منتظرين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
وما تكتمون استبطانهم انهم احق بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل
ما اظهره امر الطاعة واستر ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
بيان والتعريف ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومرتبة العلم وفضله على العبادة
والتعريف ان العلم فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
وانه يجوز في الخلافة بل العدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهره القاؤها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
والاصل منفي ان يكون ذلك الوضع من كان قبل ادم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على
مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكلامهم تقبل الزيادة
والكمال منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وانه خليفة الله في الارض قيل لحمد وتمجيد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
لما انبأهم باسمائهم وعلم ما لم تعلموا امرهم بالسجود اعترافا بفضله واذعانا لحقه واعتذارا

لما قالوا

لما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه فقعوا
له ساجدين ايجابا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الفرد على الزوج اذ بين بين
يخصه والاعطفه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى
وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى
الاكم فيه سجدا للحوافر وقال لبيد له سجد للنبل فاسجد متقي البعر اذا طاطا راسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة واما سجود الانبياء الشرعي فالسجود له الحقيقة هو
الله تعالى وحمل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه وتسببا لوجوده وكانه تعالى للخلقه تحت
يكون ابوه فاطا للابداعات كلها بل الموجودات باسرها وتحية لذوي العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تاهبوا له
من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما اراهم فيه من عظيم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما البغي فهو
التواضع لاكرام تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد الذي يحصل
بما يتبعه به مقاصدهم وتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم
بناء على فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر استئناف بيان امتناعه من ان يتخذه وصلة في عبادة
ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى لما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والاستكبار ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشيع وكان من
الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل
منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه وبانه
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا يجري الواو الحالية وحده
والاية تدل على ان ادم افضل من الملائكة لما امروا بالسجود له ولو من وجه وان ابليس

كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثنائه منهم ولا يرد ذلك قوله
تعالى الا ابليس كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة
ضربا يدعون الجن يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولئن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه
كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا
مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون
بالشيء لزم الاحاد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
وكانه قال فسجدوا لما مامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصوما وبه والغالب فيهم عدم العصمة ويعلم صدورها من الملائكة
لا بمخالفة الشياطين بالذات وانما لفهم العوارض والصفات كالبرة والفسقة من الا
نس والجن بشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس فلذلك صح عليه التعبير
من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة انه عليه
السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالنتيجة لما ذكرت
فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها سكنة مشوبا بالدخان محذور عنه
بسبب ما يحدثه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت محدثة مصفاة كانت محض نور ومتى
كمنت عادت الحالة الاولى جدة ولا يبعد ان يدخل بنطفي نورها وشيء الدخان الفرق وهذا
اشبه بالصواب وو فق بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استفاح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر واحث على الايثار لامره وترك الخوض في سره وان الامر
للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يموت على الكفر هو كافر على الحقيقة اذ الحرج بالخواتيم وان
كان يحكم الحال مؤمنا وهو المؤاخاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار وثبات واتت تاكيدا كقوله اسكن

ابليس كان من الملائكة

لجواز ان يقال كان من الجن م

روى ابن عباس ان من الملائكة ضربا يقال لهم الجن ومنهم ابليس

ان الملائكة معصومون الا ان كان الطالب لهم العصمة

يصح العطف عليه وانما لم يجاهلهما او لاجتهما على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان الآدم لم يعهد ولا يعهد غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
كان بستانا كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الا
هباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا
رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ارخصه
والحذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات الاكل وصيغة المبالغة
في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا
بحامع القلب وتنبيه على ما هو مقتضى العقل والشرع كما روي جنبك الشيء يعمي ويصم فنبه ان لا يجعلا
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه ويجعلاه سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان القاء بيد التهلكة
حمله للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل
منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقرا بكسر القاف وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها او نحاهما عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما
عن الجنة بحط درجتهما وتعضيده قراءة حمزة فازالهما وهما يتقاربان في المعنى غير ان ذلك
يقتضي تحققا مع الزوال وازلالهما قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمتهما اياهما بقوله اني لكما
لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقالا ولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل دام

وجنبك

كيف توسوس الى الانسان بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم

عند الباب فنادا بما وقيل مثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل مثل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فاعلمهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء والحية
تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس وكانا الجنس كلهم او هما وابليس خرج
ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها سارقة او من السماء بعضكم لبعض
عدو حال لاستغنى فيها عن الواو والضمير والمعنى متعادين بغى بعضكم على بعض بتضليله ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته ولقنته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت ارجعتني الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والكلاءة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما ذكره بالفاء على ان تلقي الكلمات تضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك
ذكر الشاذ في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر
اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا اكرر لفظ
تاكيدا ولاختلاف المقصود فان الاول لبيان هبوطهم الى دار البلية يتعادون فيها والثاني

والثاني

والثاني اشعار بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان
مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يتوقى عن مخالفة
حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يجد له عزما وان كل واحد منهما كاف لا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى
حارفا للفظ تاكيدا لمعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقوله جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به لذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتيكم مني هدى بارسال الرسل
فمن تبع هداي منكم نجا وفاز وانما عبر بالشرط وايتان الهدى كائن لا محالة تنبيها على انه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يقل فاما يأتيكم ارادة الشائع من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن تبع ما اتاه من اتباعه ما يهتدي به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه
ولا هم يحزنون عطف محبوب لجريانه على التوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العذاب
واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع
الى آخره فسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفر بالله وكذب بآياته او كفروا بالآيات خبايا وكذبوا
بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من
كلمات القرآن المنزلة عن غيرها بفصل وانقطاع فهي من اي الانهائين الابين اي او من اوى
اليه واصلها اية او اوية كمرة فاعلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة
فاعلت او ايية كهاء فحذفت الهمزة تخفيفا والزمت الآيات المنزلة او ما يتم
وتمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول

ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا واركبا المنهي عنه والمركب له ماص والثاني ان جعل
بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون كقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث ان تعالى
اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة
وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم
يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن بنبي والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسرها بترك الاولى
له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله وانما اخبر
لتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله
للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان فلعله وان حفظ عن الامة لم يحفظ عن الانبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او اذى بعمله الى ما جرى عليه على طريق السيئة المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل
بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى انها كاربها وقاسمهما الآية لانهما ليس فيهما ما يدل
على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل ما قاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه
مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك
الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي لا انهما حرما عليه ما جرى عليه ما جرى
لشأن الخطيئة لجنتها اولاده وفيها الدلالة على ان الجنة مخلوقة واتفاق جمهور العالية وان
النوبة مقبولة وان شيخ الخطاة مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان

والجواب عن الخمسة من وجوه

الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية

لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها بتعداد النعم الفائقة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب مجرد يدل على نبوة المخبر بها
ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على
الاعادة كما كان قادرا على الابتداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم
الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واتقاء الخلق ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرانية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرائيل بقلب
الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان مجبول على حسد بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على
الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليكم
من ادراك زمن محمد صلوات الله عليه وقرئ اذكروا والاصل اذكروا ونعمتي اسكان الياء
واسقاطها رسما وهو مذهب من لا يحذف الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى العاهد والمعاهد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم والوفاء بهما عرض عريض
فاقول اساس الوفاء متانة الايمان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرجا
متانة الاستمرار في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز والفلاح

اسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله

الايمان وما روى عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصر والاغلال عن عنقه اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكلمة والنعم المقيم فيا نظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من امتثال الطاعة اوف بما عاهدتكم من خلاص الجنة وتفصيل العهدين قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلتكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة وايّاي فارهبون فيما تدرون وتأتون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والآية خوف مع تحذير والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم فراد للايمان بالامر به وحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما عداها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها فكانه في زمانها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به اي الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل نظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بملته واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولهم كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض بالكفار على ما نطق به الظاهر كقولك انا اكافئ بجاهل او لا تكونوا اول

كافر

كافر من اهل الكتاب او من كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او اول من كفر من مشركي مكة واول اضافة لما قبل وقبل اصله اول امر وكذا بعد ثم بنيت وقرئ اول بالتخفيف على حذف الهمزة وقلبها واوا كما في ويؤمن وثانيه ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بي واتباع محمد حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة بالاضافة الى ما يفوتكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وايّاي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد نبههم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما اختص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تحرفونه وتكتبونه حتى لا يتميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله وتلفقونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بكونه ملبسا وكاتمين فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرها كالصلاة والزكاة انهم بترك الاسلام بعدما اقروا باصولها وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان الغرض منها استجلاب البركة في المال وتزكية النفس فضيلة الكرم او من الزكا بمعنى الطهارة فانها

تطهر المال من الخبث والنفس من الغل وآتوا الزكوة مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعن الصلوة بالركوع
اجراء على صلوة اليهود وقيل الركوع للخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاستاذ
السعدى لا تذل الضعيف عليك ان تركعها والمرهف رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير
مع توبيخ وتعجب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل
البر كلمة جامعة فى عبادة الله تعالى وفى مراعاة الاقارب وفى معاملة الاجانب وتنسون
انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون
من عرفوه من قريظة باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التوراة وفيها الوعيد على
العناد وترك البر وحقيقة القول الفعل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او
افلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون وخاصة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك
الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك
هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل الشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما يأتى عنه تكفيه
والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيهم غير لائم
الناس عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين لما مر مما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة
والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار الفرج والفرج توكلا على
الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المشتهيات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال اليها والتوجه الى الكعبة والخشوع والانقياد والخضوع

الزكوة تطهير المال من الخبث والنفس من البخل

فضيلة الصلوة مع الجماعة

البر شيء يدل على خير

الحبس والعقل

الصلوة جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية

بالجوارح

بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالتهاذين وكبح النفس عن الاهواء حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر النقا
روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها بردّ الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها مع ما من
الصبر او جملة ما امروا بها وبنواهيها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة والخضوع الذين دأبهم الانقياد ولذلك يقال الخضوع بالجوارح والخشوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله وقيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس
بن حجر فارسلته سيقن الظن انه تخاطا بين الكراسيع جانفا وانما لم يثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم رياضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستصغر لاجله مشاقها
وبذلك بسبب مناجاتها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تحويفا لمن فعل بها ولعل يحقق فيها وانى فضلتكم عطف على
نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى وعيسى
فان الله تعالى انعم عليهم من العلم والايمان والعدل وجعلهم انبياء وملوكا مفضلين وانما
به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى عذابه من الحساب والعذاب
لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزى من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مفعولا ايراده
تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى ولجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف

تعدية لا يجري فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال الاصح فيه حذف عنه الجار وأجرى
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اوما اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية بيان ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون نفسا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان
يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او
وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فرد الجملة الشفيع شفعا
بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
تسوية المفتدي وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب
الله والضمير لاولي عدة النفس الباقية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النصوص الكثيرة
وتذكير مجمع العائد والاناث والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسك
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآ
يات والاحاديث الواردة في الشفاعة وتؤيده ان الخطاب معهم ولانه ترك ذكر الكتاب او
تزعم ابناءهم تشفعهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم
واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص الاضافة الى اهل الخطر كالانبياء والملوك
لقب لمن ملك العمالقة كسرى وقيصر للكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تعزن الرجل
اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابو مرة وليد بن مصعب بن ريان وفرعون يوسف
عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يكلفونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب الجملة فانه يقبح بالاضافة
الى السائر والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول لسومونكم والجملة حال من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضميرا كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

بيان لسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكك فلم احتياطهم من قدر الله شيئا
وفي ذلكم بلاء اشير بذلكم الى الصنيع وتسميته ابتلاء اشعار الى الاختبار واصله الاختبار ولكن
لما كان اختبار الله عباده بالمحنة وبالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
لا يراد به الاختبار السابق بينهما من ربكم خطير عظيم او صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تع
فعليه ان يشكر على منحاته ويصبر على محناته ليكون من خير المختبرين وإذ فرقنا بكم البحر فلقناه
وفصلنا بين بعضه وبعض حتى جعلت فيه مسالك سلكتموها او بسببكم او ملتبسا
بكم كقوله خذوا سنا الجميع والتريا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني
عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اريد بهم فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم
تعميما لمكان اولى به وقيل تخصيصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي
محمد واستغنى بذكره عن ذكر عدوه اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم او الجاوز البحر عليهم
او اغلاق البحر عن طريقه بعد ذلك او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وتنظر بعضكم بعضا
روي انه تعالى امر موسى ان يسري بني اسرائيل فخرج بهم فتبعهم فرعون وجنوده وعادوهم على
ساحل البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان نغرق فقسمهم الله فيها كوى فنظر بعضهم الى بعض حتى عبروا
البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم اجمعين
واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن له حتى نرى
الله جهرة ونحو ذلك فهم بين في الفطنة والذكاء وسلامة الفهم وحسن الاتباع عن امة
محمد صلوات الله عليه مع ان كما قرأت من مجرياتها امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء والنجباء

عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره **وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة** لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل**
آلهة او معبودا **من بعده** من بعد موسى او مضيه **وأنتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم**
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفى اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكي
تشكروا عفوه **وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة
تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد به الفرقان كمعجزاته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى او بين
الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
في الآيات **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا**
إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم برئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب خلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التحقيق كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فرغوا
فاقتلوا أنفسكم قاتلوا قتلكم بالحج او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى ابنه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل عليهم ضبابة وسحابة
سوداء لا يتبارون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشف السحابة
وتاب الله عليهم وكانوا سبعين الفا وقيل القاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير**
لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحق الابدية والنعمة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم

ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات
كانه قال فعلتم ما امرتم فتاب عليكم **إنه هو التواب** بارئكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه اشعارا بانهم بلغوا
غاية الجهالة والضلالة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان
من لم يعرف حق منعمه يحقق ما ينكر منه ولذلك امروا بالقتل وقيل التركيب انه هو التواب
الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **وإذ قلتم يا موسى**
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا وجهرة الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان
الله الذي اعطاك التورية وكلمك وانك نبي فاخذتكم الصاعقة لغرابة العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم طلبوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام والجهة
والانحياز المقابلة للرائي وهو محال لا يمكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للحق
سبحانه في الآخرة والافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سموا بحسيسها فماتوا صعقين متتابعين يوما وليلة
وأنتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او انتم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد
البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون** نعمة
البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله الصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** تخرهم السحاب
يظلهم من الحر حين كانوا في التيه **وأنزلنا عليكم المن والسلوى** الترنجبين والسماني قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتهب الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل
عمودا يسيرون في ضوئه وكانت تأتيهم لا تمتنع ويقال **كلوا من طيبات ما رزقناكم**
على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم **ولكن كانوا ظلمون**

وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر اي لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا ونصبه على المصدر والحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي
كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا
سجدا انحنين متخشعين او سالمين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا
او امرنا حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا
حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم سمودكم ودعائكم قرأ نافع بالتاء وهي
عاصم بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطاي كخطائع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمع همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الامتثال قربة للسؤال وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى
الوعد ايها بالمثوبة للمحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا ما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون
من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم للظلم وضع غير ما امروا به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يتجافى عنه ولذلك يسمى الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه
مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد لما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان يضع
من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وستة

العسكر

والعسكر اثنا عشر سبطا وحجرا هبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر ثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل
او الخضر وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف نأتي
الى ارض لا حجر بها حمل حجرا في مخلاته فكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل
فيبس فقالوا ان فقدنا موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تفرع الحجارة وكلها تطيقك احكام
يعرفون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى
من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف
تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ بكسر
السين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل انس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها
كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء
العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا
حال من فساد كم وانما قيده لانه وان عدم الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم
المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة وقرئ مفسدين
الغيث عن ابن عامر يغلب فيما يكرهه حسا ومن انكر شيئا هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة
تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يخلق الشعر وينبت الخضر
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يخرج ماء من تحت الارض او يجذب بطوله من الجواب وتصير
ماء وقرئ النبيين وعن ابن وثاب واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وتوحيده انهما يؤكلان ولا يتبدلان كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجملوا او ضرب واحد لانهما طعام اهل البلد وهم
كانوا فلاحة فمن هو الى عكرهم واختهوا اللغوا فادع لنا ربك سله لنا يدعائك اياه يخرج
لنا ولجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب لاجابته ما تنبت الارض من لا

سادا لمجازى واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تغيير وتبادل مع موضع الحال وقيل بدلا باعادة الجار والبقل ما انبته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة وقيل الخبز ومنه فوموا لنا
وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اى الله او موسى اتستبدلون الذى
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
فى الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادناه من الدناءة بالذى هو خير بريئا
المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى الشى اهبطوا مصرا اختلف فى انه
من التيه يقال تيه الوادى اذا تردد فيه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحاجز بين
الشيئين وقيل اراد به العلم والتاء مزيدة لسكون وسطه او على تاويل البلد وتنوينه غير
منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعربت فان لكم ما سالتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضربت
الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة وانهم ودنة غالب الامر انهم مساكين اتباعا على
الحقيقة واتباعا على التخلف مخافة ان يضاعف حزنهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به
او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء
المساواة وذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ما عدد
عليهم من خلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او الكتب
المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتى منها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم
الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل

ويبسط منا اخرج شرح

البيين

النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبائرها كما ان صغار الطاعات اسباب
مؤدية الى تعرى كبائرها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل
والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاشعار
بحقارتهم وقلة فى الصبر وشدة دربة فيها لخبطهم من سواد وبلق كانه فى الجملة توليح البهق والاول
حسن ذلك ان تنكير المضرات والمهمات وجمعها وتنكير البسط على الحقيقة ولذلك
جاء اللذى بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لا غير اطلعهم فى سلك الكفرة والذين هادوا
تهودوا ايقاظا هاد وتهودا اذا دخل فى اليهودية وهودنا عرفنا من هاد اذا تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل وانما عرب تهود كما عرب تموز باسم ابى او ولد يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والسكارى ونصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا
المسيح او لانهم كانوا معه وقرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها
والصابئين قوم من النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرئ
بالياء لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان
الى دينهم ومن الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان
منهم فى دينه قبل ان يتبع مصدقا بعلمه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من
آمن من حكاية الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذى وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع الخير وفوت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان وبدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع

سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه
والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل
فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول لما اتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اذ درسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب لعلكم
تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة
ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمجرد صلوات الله
عليه يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالاهمال في المعاصي والخبط
والضلالة فترة من الرسل ولوة الاصل الامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على الاثبات افاد اثباتا
وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع امروا بان يتفرغوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها
ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حصر هناك واخرج خرطومه واذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فتصطاد
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم

صاروا

صاروا كما اريد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسئين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة لما بين يديها اي لما تقدمها ومنه النكل القيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في قرن الاولين واشتهر قصتهم
في الآخرين او لما حضر بحضرتهم ومن بعدهم او لما حضر بها من القرى وما تاخر عنها او لاهل
تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين
من قومهم او للناس عموما واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما كرر عليهم وقدمت عليه لاستقلالهم
بوقوع الامر من شاؤوا به وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى
الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر وقتل ابنه ابن اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاء وابنا العم يطلبان بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوا ببعضها الميت فيحيى فيخبر بقاتله
قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء
استعاذ بالله واستغاث به وقرئ هزءا واسكن عين نافع بالسكون وخفف عاصم الهمز
وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في ذلك جهل وسفه نفى
عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استعظاما له
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما سؤال عن ماهيتها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف
هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا امرا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه
امروه بمجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله فاسألوه بما يسأل عن الحقائق قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
ولا فتية بناء فرضت البقرة فرضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب الفاء والراء
للاولية ومنه الفرض والفارض عوان نصف فاعل نواعم بين ابكار وعوان بين ذلك
اي ما ذكر من الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون فانه لا يقنع الا الامتثال وعوذهن الكتاب
واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ولزمه تاخير البيان عن وقت الحاجة

ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من بقر البقرة غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بقولهم ولهذا نسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص والحق
جوازهما وتوجيه الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة
اراد والاجر لهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريرهم بالتمادي
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك
خيرا فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء
بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله جمالات صفر فانه لا معنى لتلك الجمل منه وتلك كانت
من صفر الاوبار كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماتها وان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه تلألؤ الصفرة بهذا المعنى تؤكد الفقوع فسر الناظر بالسائل
تعجبهم والسرور انه لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السرة قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي كرر السؤال لاولوا كثرة ان البقر تشابه علينا اعتذار
اي ان البقر الموصوف بالعوان والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم جامع
البقر والابقر والبواقر وتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير
والتأنيث وتشابهت محققا ومشددا وتشبه بمعنى تشبه وتشبه بالتذكير وتشابه
ومتشابه ومتشبه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفي الحديث لولم يستثنوا لما بينت آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله
وان الامر قد يتخلف عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول

تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول لقوله لا شية فيها مثيرة لتأكيد الاولى والتقلان صفتا ذلول لانه فعيل
لا ذلول مثيرة ولا ساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اي حيث هو وتثني من اثنى مسكة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها مخالف لون جلدها وقرئ لا
صلة صفراء وتثير وتسقي لا شية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وتحقيقها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لغلو ثمنها وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او بغلاء ثمنها اذ
روي انه تجاسلها منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساومها البتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذا اذبحت دنانير وكادوا من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصوله اذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والتعبير
انه كثير الافعال ولا بد وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها الاختلاف وقتها اذ الفعل
انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر
المجيء الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها
اذ المخاصمات يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان يلقي قتلها كل من نفسه الى صاحبه وأصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره
لا محالة واعمل عزم لانه حكاية مستقبل كما اعمل اسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او
القتيل بعضها اي بعض كان وقيل بلسانها وقيل بفخذها البعض

وقيل بالاذن وقيل بالحجب كذلك يحيي الله الموتى بدل على ما حذف وهو نظير
محي ولطائف من حيث ان الفضل او نزول الآية وبركة آياته دلالة على كمال قدرته لعلكم
تعقلون كي بكمال عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او كي تعلموا
على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرطه بما شرطا لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم
قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن وتعالى بقصته كما روي عن عمر انه محي بحيه بتلك
ماله دينارا وانا المؤمن في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا آلات وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
حتى يزال عنها ثمرة التبني ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت نجيبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عرد نسها لاجله بها من مقاصدها بحيث تصل اثره الى نفسه فتحيى حياة طيبة
وتخبر عما به [illegible] الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التنازع والتراع ثم قست
قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبو عن الا
عتبار ورمز لاستبعاد القسوة من بعد ذلك بعد احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها
مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قساوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الحسن بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من الدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وكو
تحجر او للتردد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة
لما يتحجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فيخرج منه الماء
ويتحجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تلين

ولا تنفعل عن امره والتحجر اتخذ بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها
المخففة من الثقيلة وبإسقاطها اللام الفارقة لها عن النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل
عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء انها
الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يصدقوا التصديق لكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم
طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلوات
الله عليه وآيات الرجم واولئك فيفترونه بما يتعمدون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور فقالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه وعرفوه لهم
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان اخبار هؤلاء ومقد
مهم كانوا على هذه الحالة فما اطمعك بسلفهم وخلفهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم
سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بأنكم على الحق وبأن
هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من
نافق قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهار التصلب في اليهودية ومنعاهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فيما يقولون للمؤمنين لاستعقابهم على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي لمحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه حمل محاجتهم بكتاب الله وتكلمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول
ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاحتجاج لا يدفعها افلا تعقلون اتباعهم كلام الله
غيرهم وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم فيحجونكم او خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله اتحدثونهم
والمعنى افلا تعقلون حالهم واللام تعلم لكم في اياتهم او لا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او

الذين اوكلها او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلامهم الايمان واخفاء الله عليهم واظهاره لهم وعزلهم الحكم عن مواضعه ومعانيه ومنهم
امّيون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون كتابه فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها او التوراة
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يتمنّاه الانسان في نفسه من
تمنّى اذا قدّر وهذا تطلق على الكذب وعلى ما يتمنّى ويتلى ويقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد غرّ سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني يقرأون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبّر من قوله تعالى كتاب الله اول ليلة نزل داود الزبور على رسله وهو يناسب وصفهم
بانهم امّيون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم
على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والرائج عن الحق
فويل اي عسر وهلاك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يسيل فيها قيح
من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء
به لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرّف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات
الزائغة بايديهم تاكيدا كقولك كتبته بيمينك ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جلّ قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب
الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرّف وويل لهم مما يكسبون بسببه من الرشى وقالوا لن تمسنا
النار استعمال الشيء بالبشرة بحيث يتاثر الحاشية به والتمسك الطلب له ولذلك يقال
المسّ فلا يجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام
عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا اخبار ووعد بما يزعمون وقرأ ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم

عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام معادل لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لعلم
بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقريع على اثبات ما لا يكون من سائر النار
لهم زمانا مديدا وهم اطلاق على جماعة ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتحقيق جواب
الشرط من كسب سيئة فيجيء والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالتبع لا تخاص الخطاء وانكب استعمالا للفعل وتعليقه بالسيئة
على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته واستولت عليه وحملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو منها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لا
ن غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استحق المعاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه
فيسيطر عليه ما لا الى الخاص مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن منعه
عنها مكذبا لمن نهاه فيها كما يقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات
الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيئته وخطيئاته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازموا اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته
وتعالى ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل
على جزءيه من شاء واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله
لا ضارب ولا شتيمة وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
وهو يصرح به وبعضهم قرأ لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل

تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراءة
ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او مفعولا له عند من اجاز وقيل انه جواب قسم دل عليه اخذ
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما
خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب والوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وحسنوا
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كانه قد اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وهو
حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وقيل
اهل الحجاز وحسنا وسكنه على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة بريئهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع
الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما
جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه
لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يردكم ويصيركم عرضة للحتوف
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقروا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا تريد تحقير المخاطب

منزلة تحقير الذات وعدهم اعتبارا ما اسند اليهم حضورا واعتبارا ما يحكى عنهم غيبا
وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل معنى الذين والجملة صلته
والجمع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل
تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة
عند احدى التاءين وقرئ بالاظهار حا وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وخرب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تفدونهم لانقاذهم بالارشاد ولو فظ تفدوهم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو اسرى جمع اسير كما
شبه بالكسالى وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفادوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من دياركم وما بينهما اعتراض والضمير
للاسارى او بينهم وتفسير اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد وبيان افتؤمنون بمعنى الكتاب يعني الفداء وتكفرون بمعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير
اخرجهم على نبيهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد مما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي
الله سبحانه وتعالى لا يغفل عما فعلتم وقرأ عاصم في رواية المفضل يردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن او لذلك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة اي الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا

والتعديث الاخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا
من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثر الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه
اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى العبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو العبرية من النساء كما الزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم
تصله مريمه ووزنه فعيل اذ لم يجئ فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح
القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اى اريد به جبرئيل او روح مخصوص
عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم يقترف الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل واسم الله الاعظم
الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط وقرئ تهفى الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك
وتهجينا من عنادهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان
واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية والتفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان
الامر فظيع وتراخاة للفواصل وللدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا انى
منكم ولذلك تحرقون وسهم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا
يصل اليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تشذ عنها الا وعته وكما تقول
او نحن مستغنون عما فيها من غير بل لعنهم الله بكفرهم ردا لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او اصمها

والانجيل

سنن عيسى

لبابه

لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل
عليه جوابه الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرونه على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويبشرونهم
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاستفتاح بمعنى الفاعل يسأل
ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اى عليهم وانما اظهر للدلالة على انهم لفرط كفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا وشروا بئس
ما باعوا به انفسهم حيث تركوا الايمان بالحق الذى خلقوا لاجله واستبدلوا به الكفر الذى
خلقوا لاجله او باعوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو
المخصوص بالذم بئسما طلبوا لانفسهم وحسدا وهو علة يكفروا ودون اشتروا للتفضيل
اى اشتروا لانفسهم لاجل حسدهم على ان ينزل الله من فضله يعنى الوحى على من يشاء من
عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق
وقيل للكفر بموسى بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب
المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير
قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يتواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو هنا الحق الضمير لوراء

لفظ وراء من الاضداد

لبابه

والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال موكدة بتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كذبوا بها فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تستوعبه وانما اسند اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به غارمون عليه وقرا نافع وحمزة انبياء الله مهموزا في جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الهة من بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او الاخلال بآيات الله او اعتراض يعني وانتم قوم عادتكم الظلم وسياق الآية ابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة آبائهم مع موسى عليه السلام لا تكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقولهم انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم وذلك لانهم كانوا محتشدة او حلولية ولم يزاحمها الحب منه فتمكن في قلوبهم ما سولت لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي التورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يتبعه وغير من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الرائعة عليهم ان كنتم مومنين تقرير للقدح في دعوى الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مومنين بها ما امركم بهذه القبائح وارخص لكم فيها ايمانكم ايها او انكم مومنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المومن ينبغي ان لا يخالف الا ما تقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم مومنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس

سائرهم

سائرهم او المسلمين والام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها ولو جاز التخلص انتهاز الدار دار الثواب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن القى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة من احب لقاء الله احب الله لقاءه ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة منافعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وبالقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما هي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عنهم هو لهم ولتجدنهم احرص على الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعوله هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المطاولة وقرئ بالدم ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافراد هم بالذكر لمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يروا الا الحيوة القليلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المشركين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدإ محذوف صفته يود احدهم على انه اراد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الا ولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لوداد تهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر على فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن

وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره او لاداة عليه يعمر وان يعمر بدل منه او منهم وان يعمر موضحه
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة لجمعها على سنهات وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل
من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شيء عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واستدلها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخرب بنصر بخت نصر فعصمنا من قتله فراه يا ابل فدفعه عنه جبريل
وقال لنا كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فمن تقتلونه وقيل دخل عمر
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فلستما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبريل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبرئيل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل بكسر الجيم قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه يزلم النار والاول كجبريل والثاني كالمقران
وامثاله غير مذكور يدل على خاصة شأنه كانه لنعيته وفرط شهرته يحتاج الى ستوكن
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل يا محمد نزله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه

جهل سنة سنوة

عبد الله بن صوريا سأل جبريل رضوك
سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شيء عليه

عداوة الملائكة ورسلهم

ميكائيل

في جبريل ثمان لغات

جبرائيل

قيل

نزله وانه لعن عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الاسلام وكفر بما معه من
الكتاب بعداوته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف
الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل
محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو كما قال تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
لعنده عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكر تعنتهم لسانهم كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان
معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدا
منهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المخالفة
كانت فيهما وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائيل كميكاعيل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال
كمعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو وعلى ان التقدير لا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم
ان الفريق هم الاقلون او ان لم ينبذ جحدوا انهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها
من وجوب الايمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن

نبذ فريق منهم نقضه وتركه
النبذ الطرح لكنه جعل فيما
يعني وانما قال فريق لان
بعضهم لم ينقض

وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه واشاعة لاعراض عما يؤتى به وراء الظهر لعدم
التفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله بعنى ان علمهم به رصين ولكن تجاهلوه
عنادا واعلم انه تعالى ذكر الآيتين على ان جمهور اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله الا قليلا منهم لا يؤمنون وفرقة
تجاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا بتجاهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها
ظاهرا ونبذوها حقيقة عاملين الحالا بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو
الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي يقرأها او يتبعها
الشياطين من الجن والانس ومنهما معا على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا الاكاذيب ويلقونها الى الكهنة
وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان
تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر لدلالته على انه كفر وان من كان يتعاطاه كان معصوما او لكن الشيا
طين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث
النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وانما ما يجب
كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او تربك صاحب خفة اليد فغير مذموم و
سحرا على التجوز وما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على سحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على يعلمون وهما ملكان انزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وغير بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركبا

ان جل اليهود اربع فرق

الاشارة بالسحر

بما يصدر عن الحيل بمعونة الآلات والادوية غير مذموم

مهما الشهوة فتمرسا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء
فاعلمت منهما فمسخت عن اليهود ولعله من رموز الاولى وحلة لا يحتمل على ذوي البصائر وقيل
ملكان حيا ملكين باعتبار صلاحهما وتؤيده قراءة الملكين بالكسر وهل ما انزل لهما تفسير على
ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة يسأل عن الفرق وجاء بين الملكين والصبي في انزل والمشهور انه
بدل من سليمان الكونه هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولكنا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لضربا ومن جعلهما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما جنهما اغراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر قضاء على الاول بما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم
منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عنه ثبت على الايمان فلا تكفر اعتقادا بجوازه والعمل به وفيه دليل
على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما بعثا
حتى يقولا انما مفتونان فلا تكن مثلنا فتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سببا لتفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه
وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضارين على الاضافة الى احد وجعل
الجار فاصلا منه والفصل الظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل ولان العلم
يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحريمة
اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام
لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب والمخصوص بالذم ما شروا به انفسهم
بحمل المخصص على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما
من الجناب والمثبت لهم اذ على التوكيد العقلي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو
كمن لا يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كبدكتاب الله واتباع السحر

المثوبة من عند الله خير جواب لو واصلة لا يثيبوا مثوبة من الله خيرا مما ثمروا به انفسهم قوله
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم غيرتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للفضل من ان يضاف اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني
ولو بمعنى الكلام مبتدأ وقرئ لمثوبة مكتوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
لوكانوا يعلمون ان ثواب الله خير فعلهم لترك المتجر والعمل العلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
عنا وقولوا انظرنا انظرنا من حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا
وتأن بنا فيما نلقنك حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او
سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يعدلها
الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من
نظارا اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى
الرعن وهو الهوج بما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاسماع حتى لا تحتاجوا
الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى
ما نهيتم عنه ولكافرين عذاب اليم بعض الذين هادوا اليهود وشبه ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون
لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم
شيء منه وبالعلم وبالنصر ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء بنبوته
ويجعله الحكمة وبفضل لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم استعارة ان
النسخ من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لشقوتهم وما ننسخ من حكمه
ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم

عنه

عنه ويأتي بغيره فانه في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل الشمس
ومنه التناسخ ثم استعمل في كل منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء العبادة بمثلها او الحكم الثابت منها او بمجيء ما يزيلها او نساها اذهابها عن القلوب
وما شرطية جازمة للنسخ منصوبة بمعنى المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك
او نجد نسخها او نجعلها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء
وقرئ ننسها اي ننسخ لفظها ونسأها اي نؤخرها على الفعول ونسكها
باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب وقرأ
ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بما هو
انفع وبما هو مثله ولا يقدح في جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالا
مور المستقبلة والنسخ الا ترى ان ذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وكمال
نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كما يختلف
المعالج فان الناقه في عصر قد يفتقر في عين واحد جمعا من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الذي به لا السنة ليست كذلك واكثر ضعيف
اذ يكون عدم الحكم الا اثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغير السنة متلو به الله وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعجزة على جحود القرآن فان التحدي والتعاون من
واجبا انهما من عوارض الامور المتعلقة المعنى القائم بالذات القديم الم تعلم
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلم ومبدأ علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل بها ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك نزل العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير انما
هو الذي يملك امركم ويحكم عليكم بما يشاء لا غيره والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن
النصر والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل

الآية دلت على جواز النسخ

النسخ بمعنى الرفع

موسى من قبل ام متعادلة للهمزة في انه تعلم اي الم تعلم انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او سلطة
والمراد توبيخهم بالثقة به وترك الاعتراض عليه قيل لما سئل اهل الكتاب حين سألوا
ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لك حتى تأتينا
بكتاب نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الشبه بالآيات
البينات وتدبر فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبدلوا
بالايمان وقوي يتبدل من اجل كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم يتمنون
فان لو تنوب عن ان في المحذوف اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من مفعول
طبعا حسدا عليه وقد من عند انفسهم مجوزا ان يتعلق بودوا اي تمنوا ذلك من عند انفسهم
لا من قبل التدبر والتأمل مع الحق وتحسدا بالتأسيس من اجل نفوسهم من بعد ما تبين لهم
الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك العقوبة المذنب والصفح
ترك التثريب حتى يأتي الله بامره اي الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
والجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر مطلق ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا
كأنه امرهم بالصبر والمخالفة والتجأ الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم يجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
في قوله كونوا هودا او نصارى نفي بعضهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الا
سم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانة المذكورة وهي ان

لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على هذا ... المضاف
ايماء تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعويكم فان كل قول لا دليل عليه
غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واسلام العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعده له على عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع
ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجيز الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل
فعل محذوف مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله عليه السلام واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتفاخروا
بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب
كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وتجمعهم على
المكابرة والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا بان كلا الدينين ليس بعد النسخ
ليس بشيء قلنا لم يقصد وا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يفصل لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله من عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان من مناسك الصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه
وقتلوا اهله او المشركين لما صدوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل اولئك
الممانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
بخشية وخضوع فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان في علم الله وقضائه

فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاصا من المساجد منهم وقد انجز واعده وتمين معناه النهي عن
تمكينهم من الدخول في المسجد الحرام واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة رح ومنع مالك وحرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ما سبق الارض اي له الارض كلها لا يختص به
مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا فاي مكان جعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان
التولية لا تختص بمكان او مسجد او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته الاشياء
او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها
نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى اتجاه مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله و
النصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او ضع او ضم
قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة و
سرعة الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفناء ما لها كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
عند المتكلمين مما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة
وعزير والمسيح كله قانتون منقادون ولا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير
اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنويه كل عوض عن المضاف اليه كل ما
فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد الزام
الحجة والآية مشعرة على فساده ما قالوا من ثلثة اوجه فاحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق
عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعها
وهو نظير السميع في قوله امن ربانه الراي السميع بوزن فعيل واصحابي مجموع او بديع مفعولاته

واذا

وبديعه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الولد عنصر الولد المنفعل بانفعالاته عنه والله
سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق ومنزه عن الانفعال فلا يكون له ولد واذا اختلع
السبي الامر بشيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير في زمان غالبا وقرئ بديع بجرها على البدل من الضمير له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله
تعالى وقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجد فانما
يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر واستدلال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء
على حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم
ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار
انه السبب الاول حتى قالوا الاب والرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني تحد وبان ما اتاهم من الايات استهانة به وعنادا وكذلك قال الذين من قبلهم من
الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا بتاييده بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم
ما لهم لا يؤمنون لجحدان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال
عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها اضطرتهم الى ان تقدر ان تخبر عنها او للسامع لا يصبر على
استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى

تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك تحكي الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
اراد انهم الزائغة والملة ما شرع الله لعباده على لسان انبيائهم من املت الكتاب اذا املته والهوى
رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي من الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مومني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته يراعونه حق الحفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر بعده
اوجه على ان المراد بالموصول مومنو اهل الكتاب او لئك يومنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها و
الحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح
وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر و
نواهي والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى
من يجهل العواقب نزل مترادفهما والضمير لابراهيم وحسن تقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط
احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
في قوله تعالى التائبون العابدون وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح
المومنون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وبا
لعشر التي هي من السنة وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على ان تعالى عامله
معاملة المختبرين وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات هل
ارى كيف يحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ابرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابرهام بالالف ما في هذه
السورة وفي النساء ثلثة احرف وهي الاخيرة وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران
وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلثة احرف وفي العنكبوت حرف وفي الذاريات حرف

وفي النجم

وفي النجم الاول حرف وفي الممتحنة الاول فلذلك ثلثة وثلثون حرفا وقرأ ابن كثير في البقرة خاصة بجميع
بالوجهين فاتمهن فاداهن من كلمة وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وقرأ الباقون
بالالف الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اهمرتنا جاب
اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله اذ ابتلى فيكون الكلمات مذكورة
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما
قبلها وجاعل من الجعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث
بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي
كما تقول وزيدا في جواب سكوتك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة او فعلولة قلبت راؤها الثالثة ياء
كما في تقضيت من الذرة بمعنى التفريق او فعولة او فعلية قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ
ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ما التمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته
ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لان الامامة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
والاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم
على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امنا لهم او موضع ثواب يثابون بحجه
واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا او موضع امن لا يتعرض لاهله لقوله تعالى حرما امنا
او يامن جانيه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يوخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج
وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتبروا معطوف على مقدر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب
لامة محمد عليه الصلوة والسلام وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع
الذي كان فيه حين قام ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضع اليوم وروي انه رضي الله عنه
اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى
فقال لم لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي
جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ

الحمد لله الذي تمت في جمعة سورة البراءة و
عشرين سورة الاحزاب واحدى عشرة في سورة
المومنين مع سورة سال سائل بعد اسقاط
الكلمة من هاتين السورتين فتكون المجموع
خمسمائة

العهد تستعمل في الوصية والموثق والامان والامر
والوعد والصحبة والاستيثاق والحفظ
البدن الخان والاستخفاف والاستغناء و
تقاسم الخان والنفس الرابط الحرفي تمر فاشهد
الناس في الخاتمة والاستخدام الاستعمال تجديد
لحق الخانة ومناسك اي الطواف والسعي
والرمي والاحرام والوقوف بعرفة
وغيرها

ثم يتوجه ساعة واتخذوا من مقام
ابراهيم صح

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبها بالحرم قولان وقيل مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذ الحجر مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا وبجوز ان يكون مفسرة لتضمن
العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا اذ امن كقوله تعالى عيشة راضية او آمنا اهله كقوله كل نائم
وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال
ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قال ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبهه تعالى
على ان الرزق نعمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او ابتداء النفس معنى
الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله متمتعا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار الرابطة لذا المضطر بكفره
وتشبيه ما متعه به من النعم وقليلا نعت على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه دعاء ابراهيم
وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من
يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما
يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله تعالى وقرئ البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانحطاط
الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد باساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما بوضع فوقه ويرفع بناءها
وقيل المراد رفعة مكانه واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها
تفخيم لشانها واسمعيل كان يناول الحجارة ولكنه لما كان المدخل في البناء عظم عليه وقيل كانا يبنيان في
طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به الجملة حال منه انك انت السميع العليم
السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين

اذا استسلم

اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين لك
على ان المراد انفسهما وصاحبا وان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك واخصا بعض
ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص منهم
لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا يقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي
على الله تعالى فانه يحابي توسل المعاشر ولذلك قيل لولا الحق لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة محمدا
عليه السلام ويجوز ان يكون من للتبيين لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على البيان وفصل
به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى
بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتعد الى مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في
الاصل غاية العبادة ومنه في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو
ويعقوب ارنا قياسا على قد من قد وفيه ايجاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عاوزلهما سهوا
ولعلهما قالاه حتما لانفسهما او ارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث
فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب دعوتهما
كما قال عليه الصلوة انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم و
يبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة آياتك المعجزة ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة
اي ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي
لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون
احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من اشتمها
واذلها واستحمقها قال المرد وتغليب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقبله اصله سفه نفسه بالرفع فنصبه على التمييز نحو ضن
زيد به وام رأسه وقول جرير وناخذ بعده بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في
نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في
معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان

من كان من صفوة العباد في الدنيا مشهود له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع او
لم يرغب عنه الا سفيه او سفه اذ لم نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين مفوض او مصدق او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر
حين دعاه ربه واخطر بباله دلائل الموجبة الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعى
عبد الله بن سلام ابن اخيه الى الاسلام سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر وفر
بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصله الوصل يقال وصيته
اذا وصلته وتقاه اذا فعلت كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي
وصى بها يعقوب هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على انه من وصاه ابراهيم عليه السلام يا بني
على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ومن نظيره رجلان من
صبية اخرنا انا ابنا رجلين عربيا بالكسر وقرا ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وهو يعقوب اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا او
بشيوخوذ وذبولون وذوان وقنوتا وكوذا او شير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون فان
النهي عن الموت على خلاف الاسلام والمقصود هو النهي عن الكون على تلك الحال اذ امانوا او الامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل فيهم ونظيره في الامر وانت شهيد روي ان اليهود
قالوا لرسول الله عليه السلام الست تعلم ان يعقوب عليه السلام اوصى بنيه باليهودية يوم الموت فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او منقطعة بحذف تقديره اكنتم
غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم

على التوحيد

على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وسال به عن كل شيء مما لم يعرف فاذا عرف
حقق العقلاء بمن اذا سال عن تعيينه وان سال عن صفته فقيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
والهاباءك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوحدته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من اباته تغليبا للاب والجد اولى لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس
هذا بقية ابائي وقرئ الهابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين اصواتا بكين وقرئ
بالابيه او مفرد وابراهيم عطف بيان الها واحدا بدل من الهاباءك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتغيير العطف على المجرور بلا تاكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسميت بها
الجماعة لان الفرق تامها الها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتي الناس باعمالهم
وتاتون بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تؤخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى قالت هذه
الفرقة قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا وجواب الامر قل بل
ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا
او دينه او نحن ملة يعني نحن اهل ملة حنيفا حال من ابراهيم او من الملة لانها في معنى الدين الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه
كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب و
غيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان امنوا
بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اولى بالاضافة الينا او سبب
الايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط العجيب وهي
ان نزلت الى ابراهيم عليه السلام لكنهم ما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلون تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة
حفدة يعقوب عليه السلام او ابناءه وقرابتهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق عليهما السلام

وما اوتي موسى وعيسى التوريه والانجيل او ذو معاجيكم ابلغ لان امر عما بالاضافة الى موسى وعيسى
عليهما السلام مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما او ما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين
من ربهم اي منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لتؤكد
في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مخلصون مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعيير والتبكيت كقولك فان تؤلوا
من مثل اذ لا مثل لمن آمن به المسلمون فلا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية
والمعنى ان عرفوا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم
كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم
اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم
فانما هم الا في شقاق الحق وهو المنافاة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوأهم وخالفهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه تعالى يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون ومعاقبهم عليه
صبغة الله اي صبغنا الله تعالى صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها بحلية الايمان
كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا بحجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحقق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد
لقولوا امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة
لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشركهم وهو عطف
على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل
ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل من اتبعوا حنيفا

لا يلزم

لا يلزم فيه النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من الوحي
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا و
ربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يجيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
فلا يعدان بكر منا بما لنا كانه الزمهم على كل مذهب بنحوين اتحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة
انما تفضل الله على من يشاء فكل ضيه سواء وانما فاضت حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطاء هذه ايضا اعمال
ونحن له مخلصون موحدون مخلصة بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى
قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا على اي
الامرين تاتوننا المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وتقولوا المعطوفون عليه ابناء عه وقاتا ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او مثالوكتمانهم هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها
وقيل للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وتوبيخ بالاباء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير لما سلف وتحذير
والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني سلف
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستهوتهم بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم
الاخبار توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني
بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع

الجزء الثاني

ورقة ٧٠

اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم وهو ما يقتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلناكم
افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم
للمكان الذى يستوى فيه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى
الافراط والتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على
المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها
استدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فى ما نصب لكم من الحجج
وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما اهمل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا
ونصحوا ولكن الذين كفروا لحملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهد
بذلك على معاصريكم وعلى القرن قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ
الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته
فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته
عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة
ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او للصخرة لقول ابن عباس انه كانت قبلته
عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه عليه السلام وبينه فالمحرب
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل القبلة الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا
لنميز الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا قبلة آبائه

او نعلم

او نعلم الا ممن يتبع الرسول من لا يتبعه وما كان الجاعل يزول بزوال المجعول فلعل ما يرتد الى ما
كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه بقلقه وضعفه ايمانه فان قيل كيف يكون
علة لتحويل القبلة والجعل وهو لم يزل مطلقا هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى
لتعلق علمه به موجودا وقيل معلم الرسول والمؤمن لكنه اسند الى ذاته لانهم خواصه او بتميز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له
قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما فى من من معنى الاستفهام او
مفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة الا
ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة قال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير للشأن
قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجهة او المرة او التحويل او القبلة وقرئ لكبيرة فارقة
فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الشرعية على الايمان والاتباع وما كان
الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى
انه عليه السلام لما توجه الى القبلة الكعبة قالوا كيف من مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع سلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو المبالغ
محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى
تقلب وجهك فى السماء رده وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله ص يقع
فى ترقب وتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم عليه السلام واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة
فلنمكنك من استقبالها من ولاه توليه كذا اذا اجتزيه واليا او فلنجعلنك تولى جهتها وترضيها
تحبها وتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله تعالى وحكمه فول وجهك اى صرف
وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر فى الاصل ما انفصل عن الشىء من شطر اذا انفصل
ودار شطور منفصل عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى
يحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه علم
كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب لانهم

كان صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة قبل الهجرة ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قدومه بشهرين
وصلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال
النساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فقد الرسول بالخطاب
تعظيما له وايجابا لمرضيه ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة معلم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفضيل التحول
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير في انه للتحول او التولية وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك
جواب القسم المقدر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما تاخذ الشوك كابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغير الدين لمعاني رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة في البطلان ومخالفة الحق وما
بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا ترجى موافقتهم كما لا يرجى
موافقتهم كذلك لتميل كل حزب بما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اني اذا اتبعتهم خلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين والكلام تهييج وزيادة
تبعيد من سعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لحالة
الصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان كتم
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم ثم بين ذلك عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال
انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي وانا ولدي فلعل والدته قد خانت وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف
والحق اما مبتدأ خبره محذوف من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه
او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما
خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او
مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق الذين به وليس المراد

بنهي

بنهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه ولا بقصد واختيار بل ما يجري مجراه لا يجيء
لا يشك فيه فالمراد الامر الاقامة بالكتاب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة وكل امة
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو مولي وجهه او الله مولاها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله
مولاها اهلا واللام مزيدة للتاكيد وجر الضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولي تلك الجهة
فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيرها مما يدل على سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف يجمع
الاجزاء ومفرقها يحشركم الله يوم القيامة الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم
او اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كلها الى جهة واحدة ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اي ومن اي مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر لحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله وانه تعالى ذكر التحويل ثلثة علل تعظيم الرسول صلعم باتباع مرضاته وجرى العادة الالهية
على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه
وقرن بكل علة مدلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية من الصخرة الى الكعبة لدفع احتجاج اليهود
بان المنعوت في التوراة قبلة الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبع قبلتنا والمشركين بانه يدعي
ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى القبلة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا
له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تحتجون داحضة لانهم
يسمونها مسانحة وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ

الا الذين ظلموا اعلى انه استثناء بحرف النهي فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشون
فلا تخالفوا اوامر اسركم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون على تحذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم و
الهداية حد ابنكم او عطف على علة مقدرة وهي واخشوني لاحفظكم منهم ولاتم نعمتي عليكم او ولعلكم وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي بن ابي طالب رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم متعلق باتموا اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال الرسول اليكم او بما
بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم ايانا ويزكيكم يحملكم على ما يعود به ازكياء وقد مر بيانه
عند القصد والمروي في دعوة ابراهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس نعمة فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لي واشكروا ما انعمت عليكم ولا تكفروني بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالعزيمة على المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليس بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات فانما هي امر لا يدرك بالعقل بل الوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت مدركة وعليه جمهور السلف
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله
ونيل البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم عن تصبرون البلاء وتستسلمون
القضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقع فيه بعض الصحابة عند الهجرة
وبريهم ان رحمته لانتقامهم او بالنسبة الى ما يصيبه معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه
ليوطنوا عليه انفسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض و
الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم
ولد عبدي

ولد عبدي فيقولون نعم افبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال العبد فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلعم او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم
ما يصيب الانسان من مكروه ولقوله صلعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
بالقلب بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ما ابقى عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له وليبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة
جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون الى الحق و
الصواب انا مترجعون اسلم القضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة بمعنى وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة نقلا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجه المخصوص فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا استحوهما فلما جاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة
وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد رح انه سنة وبه قال انس وابن عباس رض بالقراءة فلا جناح فانه
يفهم منه الجواز وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخلي في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن
ابي حنيفة رح انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله تعالى اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة
او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او عدي الجار
وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل بتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عالم عليم يثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد صلعم والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس فصلناه في الكتاب في التوراة اولئك

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم كالملائكة والثقلين الا الذين تابوا من كفرهم
وسائر ما جاء في الغاية بعد وصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه في كتابهم ليتم توبتهم وقبل ما ارتكبوه
من التوبة بنحو اسبحة الكفر عن انفسهم وتقيدي بهم اخر بهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن يتب من الكافرين
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من خلقه فهو
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم اموات او قرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعل فعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفى بدلالة المعنى عليه الا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
لا يمهلون ولا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والحكم الى واحد خطاب عام اي المستحق منكم لعبادة
واحد لا شريك له يتخذ ان يعبد او يقال انها لا الا هو تقرير الوحدانية وازالة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن
لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها واسبابها
او نعم عليهم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف وقيل اسمه الشكور
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية تعرف بها صدقك ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
وافراد الارض لانها طبقات متماسة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
لقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصة
الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه وتكرير ذكر
المطر والسحاب لان منافعها البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل
الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء ماء من الاولى للابتداء والثانية
للبيان واستماء تحمل الفلك والسحاب وجه العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها اي نشر فيها
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النباتات والحيوانات في الارض وعلى احيائها بالحيوان
الدواب يتمون بالخفف ويعيشون بالحياة وتصريف الرياح في مهابها واحوالها
وتارة حارة وباردة وعلى الاوقات والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع من الطبيعي
احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لانه يجر

بعضا

بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعين عقولهم وفطنة عليه السلام وبالجملة فهذه
الاية جمع بينها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدانيته من وجوه كثيرة
يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه مختلفة
وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان يتحرك بعكس
حركاتها او بحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها روح وحينئذ فصلا او على
هذا الوجه لبساطتها او تساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه
حكمته وبوجه يقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان
توافقت ارادتهما فالمعلول كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم
ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واصله ومنفعته
على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله تع اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو
ما شغل عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون
بينهم وبينه في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب لانها شقه منه لحب
لانا صابها او ريح فيها او محبة العبد تتبع ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله تع للعبد
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة مدخولة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن
من القهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحققه كقوله تع ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا سادة مسدة مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم و
قيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا انداد هم لا تنفع لعلموا ان
القوة لله كلها لا تنفع ولا تضر غيره وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للرسول

اي ولو رأوا ذلك لرأيت امرا فظيعا عظيما وابن عامر يرون على البناء للمفعول وبالتاء الفوقية والكسر
وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي اذ تبرأ الاتباع من الرؤساء او
العذاب اي رأيتم اذ والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل الجر
على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك
يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندمات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصلا وما يخرجون عدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم البحيرة والسائبة
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل ما في الارض
طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحلوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبرجمي وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهفوة
جعلت ضمة التاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم
الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشر تشبيها لرأيهم وتخير الشانهم والسوء والفحشاء ما اكره العقل وتنفر
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فان سوء الاغتمام العاقل وفحشاء باستقباحه اياه وقيل
السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل الحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعي فموجوب

والظن

بالعمل في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير لهم على تغليب العقلاء
معهم للنداء على ضلالتهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى اذا قيل لهم قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه آباءنا وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله فيهم الى ما الفوا
عليه آباءهم من التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا لانهم كانوا اعلم منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا انزلت والى الاسلام
اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو
محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على
المنع من التقليد ممن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير في امر الدين اذا علم بدليل انه محق كاتباع النبي
والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم
الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما اقرع معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت و
لا تعرف مغزاه وتخص بالنداء لانهم مع ما فيه وقيل هو تمثيل لاتباع آبائهم على طريقتهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيل في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه
وهو الصوت على البهائم وهذا يعني من الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام
لا تسمع الا ان يجعل من باب التمثيل المركب صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالعمل لا ظلال
بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي
يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم
الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت بغير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد
ولخروجها العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين يقتضي عموم التصرف فيها
مطلقا الا ما خصصه الدليل كالتصرف في المبيع والدم ولحم الخنزير انما اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل

من الحيوان وسائر الحيوانات كالشاة له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللنا ثم كثر حتى صار العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي حتى
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره في اصطرخ غير ياء بالاستنبار عن مضطر اخر وقرأ عاصم و
ابو عمرو وحمزة بكسر الهاء ولا عاد سد الرمق او الحرمة وقيل غير باغ على الولي ولا عاد بقطع الطريق في
هذا ابلغ المعاني بالسوء وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناول ان الله غفور يا غفور
رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون
في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكانما اكلوا النار كقوله اكلت
دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية اي المال الذي لا يأكلون يوم القيمة الا
النار وسمي في بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل في بطنه او في بعض بطنه كقولك اكلوا في بعض بطونكم تعفوا ولا يكلمهم
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلتهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار يتعجب من حالهم في الاستهانة
بموجبات النار من غير مبالاة فما نافية مرفوعة بالابتداء وتخصيصها بالتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب
او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق وخصوا بالتكذيب في الكتاب وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه اما بمعنى او اختلافهم اما بعض الكتب وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن النهج المستقيم في تأويلها او خلفوا اختلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا
ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد
اي لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب
لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلتين حتى نزلت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته
فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام

لهم و

لهم والمسلمين اي ليس البر مقصورا على امر القبلة او ليس البر الذي يحسن ان يذهب اليه شاة بغرب وشاة بشرق
حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن
البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن وتوبيه قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف رفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال
عليه السلام افضل الصدقة ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير
او المصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة
وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذي اسكنه الحاجة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرفده والسائلين لان
الحاجة الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس وفي الرقاب وفي تخليص اسارى
المسلمين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقهم واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون
المقصود منه من فرض وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاولى بيان مصارفه وفي الثانية
اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقة او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة
وفي الحديث سخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في
البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال
كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة لكمال الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها مستحضرة في ذهنه انشاء صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين وفي الثاني بقوله وآتى المال
الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق ونظرا
الى العمل واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بحاشيته للخلق ومعاملته مع الحق والله اعلم يقول عليه السلام
من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما

طول على الآخر فاستحق القتل منكم الحر بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تكاملوا الى رسول الله
فنزلت وامر حران يتباروا اي يتساووا من البوء وهو التسوية ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد
والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الذكر
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره
لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول وغاه سنة ولم يقده به وروي عنه عليه السلام
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد من اظهر الصحابة رض من غير نكير ولا يقاس على الاطراف ومن سلم دلالة فليس له دعوى نسخه
بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى
العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه واجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوه وفرض كتب على البناء للمفعول للفاعل والقصاص بالنصب وكذا
كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدة الاشعار بانه
بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفي الشيء بمعنى ترك بل عفاه وعفي يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفي الله
عنك وقال عفي الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني بالام وعليه ما في الدية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما
من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطفه عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن
اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب بالدية بالمعروف فلا يتعنف والمعفو عنه
بان يعود بها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو والشافعي رح في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور
في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو لما فيه من الرحمة وخير هذه الامة بينهما وبين الدية يسيرا عليهم وتقرير الحكم
على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك اي قتل بعد اخذ العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في
الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله ثم لا يعافي احد قتل بعد اخذه الدية ولكم في

القصاص

القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم بان من قتل
من القتل يكون سببا لحيوة نفسين لانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتقتل
الفئة بنفس فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون وبصيرة ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه
اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص في الدنيا لم يؤاخذ
به في الاخرة ولكم في القصاص حيوتان يكون اخريين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة
او حالا عن الضمير المستكن فيه وفي في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل او في القرآن
حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة نادبهم لتامل في حكمة القصاص من
استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان
له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت
امارته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضه ان مولاه اراد ان يوصي وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال ان الله تعالى قال ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عائشة رضها ان رجلا اراد
ان يوصي فسألتكم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك فقال اربعة فقالت انما قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وذكر
للفصل وعلى تاويل ان يوصوا والايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله تعالى فمن بدله والعامل في اذا
قرب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه يجيء فمن ضرورة الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى لكل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وجه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا
والحديث من الاحاد وتلقي الامة بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من ضرر الوصية
بما اوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى الله تعالى عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث
حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما

بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فان اثم الايصاء المغير او التبديل
الا على مبدله لانه هو الذي خان وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للتحيف فاصلح بينهم بين الموصي لهم باجرائهم
على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور
وعد بالصلح وذكر المغفرة للمبالغة ذكر الاسم وكون الفعل من جنس ما يوهم يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانه معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان
الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فانه له وجاء او الاخلال
بادائه لاصالته وقدمه ايا ما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد
عدا والكثير يهال هيلا ونصبها بصيام لوقوع الفصل بينهما بل باصمام صوموا لدلالة الصيام
عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام
من كل شهر او كما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صوموا
كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مريضا يعتريه الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم
لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدد ايام المرض والسفر من ايام اخر وافطر فحذف
الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم به وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز
وهو لم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقدرونه من الطوق بمعنى الطاقة او الحلي

وقرئ

وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلها
يطيقونه ويتطيقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يشق عليه الصوم وتجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه بجهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا قرأ في الفدية
فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا انها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او لم
تصومون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او من تأخير
الناخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من
ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل
من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على
اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع دابة في ابن دابة علما للتراب للعلمية والتأنيث وقوله
عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لان الاعيان لا تتصف بذلك
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر
حين نقلوا اسماء الشهور من اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض وانزل
في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سببا اختصاصه بوجوب الصوم هدى

وفيه استحباب الاذان في آخر الليل
وجوب الصوم فيه

للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية الله للناس
باخبار وآيات واضحات مما يهتدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع
الظاهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الباقي على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر محتسبا للايام السافرة
المرض من شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او للايذان بوجوبه بنسخه لما نسخ قوله يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان يسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للمسافر والمريض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والرخص للقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال الكل لفعلها ومعطوفه على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى ولتكبروا تعظيما لله
بالحمد والثناء عليه ولذلك غدي بعلي وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما اجمل
المنة والجزاء الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعاني تقرير للقرب
ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوتهم
لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد

وهو

وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحكم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه اخبر باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا افطروا حرم عليهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم فجاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصح منها الصيام والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وصولا وافصاح بما يحسن ان يكنى عنه وتعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء واشار ههنا الى تقبيح ما ارتكبوا
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سببا
حلالا وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه يشبه ما يلبس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتفويتها حظها من الثواب والاختيان
المبالغة من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا
عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن
والمباشرة الملاقاة في البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدر الله
لكم وابتغوه في الوقت من الولد والمعنى ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق
الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
شبه ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرج عن

الاستماع الى التنبيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الجمر وما روى انها نزلت
ولم ير من الجمر فتعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبين لهم
ابيض فلعله كان قبل نزول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكلوا ولا باس بها رهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفيه تجويز المباشرة الى الصبح للكافة على جواز تاخير الغسل
اليه وصحة صوم الجنب خلافا للصمام الى القتل بناء على آخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل
على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان
النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل للتلبيس في الباطل فضلا ان يتعدى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا
تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك البيان يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي لا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذي لم يجوزه الله وبين نصب على الظرف او الحال
من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
الاثم كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان
ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان العبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرا رسول الله
صلعم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى
عبدان فنزلت وفي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما

انا بشر

انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار يسئلونك
عن الاهلة سأله معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم
سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة
في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج يعرف
بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من
مبدائها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا
فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او درجة وراءه ويعدون بذلك من البر فبين لهم
انه ليس بر وانما البر من اتقى المحارم والشبهات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن
الامرين اوانه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم
لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة
عقب بذكر جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم
بها ان المراد به النبي صلعم كيلا يسألوه السؤال الخارج من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى
ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يتجرأ على مثله واتوا البيوت من ابوابها
اذ ليس في العدول بتا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعراض
عن امثاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا اعداءه
واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاربين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقعونه منكم دون غيرهم

من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او لكفرة كلهم فانهم صدوه فنال المسلمين وعلى
قضاء وتوبيخ الاولى ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلث ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم فيقا
تلوهم في الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمقاتلة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم
الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في
ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها فاما تثقفوهم فا
قتلوهم فمن ثقف فليس الخلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك عام
لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تقاتلوهم
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتلهم كم فانهم
الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى
يقتل بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم
مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين كله خالصا لله ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع
العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والقاء الاولى للتعقيب والثانية لجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وانتهوا في ذي الحجة
لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا

تبالوا به

تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها تجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم واحلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو قد لكة التقرب
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا عن الانفاق لا تلقوا بايديكم الى التهلكة
الاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم
على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله
رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء
طرح الشيء وعدي الى النفس على الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
والهلاك والهلك واحد فهو مصدر كالتضرة والنشرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك
من غير ان تعملوا بها آخذة بايديكم ولا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعما
لكم واخلاقكم او تفضلوا على الخلق ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله
ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ
وافعلوا الحج والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا
ولكن ان تعتمر خير لك فتعارض ما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله
اهللت بهما لجواز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او
ان تفرد لكل منهما سفرا وان تجرد لهما لا يشوبهما غرض دنيوي وان يكون النفقة حلالا
فان احصرتم منعتم يقال احصره العدو واحصر اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده

والصد والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولقوله في الحديبية وقول
ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه
عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو صعب ما قول انما اذا شرط الاحلال
لقوله عليه السلام لضباعة حيث اردت الحج واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما
استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان
احصر المحرم واراد ان يحلل فليذبح هدي يسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر
لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل الاسوة
بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح فحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
الا تحلوا حتى تحلوا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي كانه الذي يجب ان يخرجه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلالا كان او حرما وانتصاب على الهدي
دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي
جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كملي وملية فمن كان منكم مريضا مرضا
يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق
او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب
بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة
وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع
بتقرب الحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان
يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسر بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا
احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلثة ايام في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره

بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او رجعتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب على محل ثلثة ايام تلك عشرة
فذلك الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقوله تعالى الحسن وابن سيرين
وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة
دون الكثرة فانه يطلق للجملة كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال
العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان منزله
على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في محله ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل
عند طاوس وعمر المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كيف يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته
كقولنا البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة
النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت
احرامه او وقت اعماله ومناسكه اذ لا يحسن فيه غير من المناسك مطلقا فان ما لا يكون العمرة
في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه واما شهرين
وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج
فمن اوجب على نفسه بالاحرام فيهن عندنا والتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل
على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالتباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم
والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون

ومنها ما كانت مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس المخيط في الصلوة والتطيب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك
ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا
ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر فيستدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد
وقرئ الين كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الاثام والتوالي والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب
فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان المقصود
بها هو الله فنزهوا عن كل شيء سوى الله وهو مقتضى العقل المبرأ عن شوائب الهوى
ولذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا
اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتبايعون بها مواسم الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من
افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في
دفعت من البصرة وعرفات سمي به كاذرعات وامكنون وكسرت فيها العلمية والتأنيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين وذهاب الكسرة مع ذهاب التنوين من غير
عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك الا ان التاء ليست اما ان تكون بالتاء المذكورة وهي
لبنت تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او تاء مقدرة كما
في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلم فلما ابصره

عرفه

عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال له اعرفت او لان آدم وحوا التقيا به
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا
ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمورة
بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة المذكور المأمور به وفيه نظر اذ المذكور غير واجب والامر
غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر
الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويزيد
ولما روي جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر بغلس بالمزدلفة ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام متاخرا عنه ويقرب منه فانها تسمى والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية
حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن
الضالين لمن الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة وهو من ذلك
ترفعا عليهم فامروا ان يساووهم ولم تتفاوت ما بين الافاضتين كما في قوله احسن الى الناس
لا تحسن الى كريمهم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ
الناس بالكسر اي الناسي من آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم العبادات الحجية وفرغتم
منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم
في المفاخر كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم

ومحاسن آبائهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز
والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكرا اشد منه والمجرور على ما اضيف اليه
على ضعف نحو او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مثل لا يطلب بذكر الله الا
الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا ومحننا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي
رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور العين وعذابها امرأة السوء
الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار احفظنا من السيئات
والذنوب المؤدية الى النار أشبه لمرادها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم
نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ومنها
دعاؤهم منه ما فاتهم فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس
فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبرون في
ادبار الصلوات وعند رمي الجمار وعقيبها في ايام التشريق فمن تعجل في يومين
النفر في يومين يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عند زوال
طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر النفر حتى رمى
اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل
والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن

اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لا
جله حتى لا يفتر عن شيء مما يهمه منها واتقوا الله في جامع اموركم لتفلحوا واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
حروفك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان بجهله بسبب التعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في الدنيا فانها مراده من اظهار
المحبة واظهار الايمان او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وطلاقة ولا يعجبك في الآخرة
لما يعتريه من الفضيحة والخيبة او انه لا يوزن له في الكلام ويشهد الله على ما في
قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد
العداوة والجدال للشيء والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
يعني اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو
المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد لا يرضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه كما في قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ على الجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها
في الجهاد وامر المعروف ونهي عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضاة الله طلبا لرضاه قيل
انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير

لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فقولوا وما انا عليه وخذوا مالي فقبل
منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم اليسير
فوزهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها كفت الاجزاء من التفرق حال من الضمير والسلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله والجميع جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام كله
ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا
الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا ببعض والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه
الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان
يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله بيانه
فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي الظلة
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا
جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الصفة
يأتيه وقرئ بالجر عطفا على ظلل والغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه
وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه ويقين وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه

السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة

كافة

الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب

مراجع

من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث عن يعقوب على انه من الرجوع وقرئ
ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد
بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة
على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مفرغة ومحلها النصب
على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها او من الفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم فجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته بعدما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها
ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واثيرت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله بما ركز في الطباع من حب الشهوات وما خلق فيها من الا
قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما خلق الله فيها من الا
مور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء
المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبا
لهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يظهرون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قالوا والذين اتقوا بعد قوله من الذين
آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء
في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان
الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان
او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين

القرين في الكهف اي ايضا او من زين له ادريس عليه

التوسيع في الدنيا سنة رفع الجهاد

ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فما اختلفوا فيه وعن كعب
الذى عليه من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس
ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما
كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به
ليحكم بين الناس اى الله والنبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه فى الحق والكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك دخل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل
فى الشدة مسهم البأساء والضراء بيان لمثل على الاستئناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما
اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه كناية عن شدة واستطالة المدة تحيل
تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه
متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى قيل
لهم ذلك اشعارا لهم الى كلفتهم من كلمة النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله الفوز
بالكرامة عنده برفض الهوى والذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس

ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين
نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتداده ولانه
كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا
خيرا فالله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم
القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول
كالخبر وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا
عليه لمشقته وعظم كلفته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس
تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا اطلعت تنعكس
الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش الاسدى وثمانية معه فقتلوا واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك اول رجب وهم يظنونه من جمادى فقال قريش
استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام سفكا فيه الدماء ونهبا فيه الاموال واسرا فيه الناس
وعابهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نرجو حتى ينزل توبتنا وودوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجزء الاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا
وقد اصاب السرية فاجيبه بالاشتغال عن الشهر وقرئ عن قتال فيه كبير

العامل فيه قتال فيه كبيرا اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال فيه مطلقا فان قال فيه نكرة وجزء سبب فلا يعم وصد
عن سبيل الله اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد
الحرام عطف على ارادة المضاف اى وصد المسجد كقوله اعذ واكلا مرء يحسب ان امرأ توقد الليل
نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فيه فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبى عليه السلام والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلتم من السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر فريق وافعالها يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من
القتل اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك اقبح مما ارتكبوا من قتل الحضرمى ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة فيه
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت به
فلا تبق على وايدان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما يتحقق
وفوات ما للاسلام من الفوائد المتوقعة والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية لما ظن بهم
انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله

قوله

قوله اثبت لهم الرجاء استحبابا لما فى العمل غير موجب ولا قاطع فى المآل لا سيما والعهدة للحرام
والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر
والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاتخذه
المسلمون يشربونها فقرأ عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها
مذهبة العقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون فدعا عبد الرحمن بن عوف
اناسا منهم فشربها فسكروا فاتم احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره
سمى بها عصير العنب والفرا اذا اشتد وعلاه كانه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه
وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة تنجس الزبيب والتمر
اذا غلى حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى
به القمار لانه اخذ مال الغير يسر او سلب يسره والمعنى يسألونك عن تعاطيها لقوله قل فيهما
اى فى تعاطيهما اثم كبير حيث انه يؤدى الى الارتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة
والكسائى كثيرا بالتاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان
وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما وهذا قبل انها المحرمة للخمر
فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر
ويسألونك ماذا ينفقون قيل سأله ايضا عمرو بن الجموح سألا ولا عن المنفق والمصرف
ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو ما فضل عن الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو

العفو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه المجهود قال حذفا العفو من تسديد مودة في ذوي قربى
ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو ذهب اصابها في بعض المغانم فقال اخذها منى صدقة
فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فجذها جذا فاصابه نخسة
فقال اياي احدكم بماله كله يتصدق به يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرا
ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو افضل من الجهد او ما
ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين
وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الادلة
والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما و
تجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسالونك عن اليتامى
لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم
فشق ذلك عليهم فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير
اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله عناكم لاشقكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب لا يعجزه الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه
الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وفي الآية دليل على ان
تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله
تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه
بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهويها في
الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوجني

العفو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه المجهود

فان هذا الصدقة يا رب هم كما يجاد كلها ينفعه فاما
وكيف يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى

العفو ما يسهل من الجهد

فقال

فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلعم فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله وامماؤه ولو اعجبتكم بحسنها
ومالها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم
المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات
يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو
اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى
الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه
بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي
يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ذكر في العقول من سبل الخير ومخالفة الهوى
ويسالونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت
والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو للتنائي بها لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاث الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها عقيب القطع
قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذي من نفرة نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا
يجامعونهن ولا يباشرون الحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بان العلة
ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
قرئ بالتشديد حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والفرق بينهما
قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة اذا طهرن

عبد الله

يدعو

لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم
ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها
لما يلقى فيها زراعتهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون الحارث وهو كالبيان لقوله
فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لما لا تنفكون به وبشر المؤمنين
الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم من الرسول صلوات الله عليه ان تنجحهم وبشر
من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله عنه
بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشىء والمعترض للامر ومعنى الآية على الاول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها
كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان تكون للتعليل وتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل
ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معترضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى نهيكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى
اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم

اللغو

اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بالاعقاد معه ولكن يؤاخذكم بها او باعقادهما
بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة الغموس يحلف الرجل
بالله على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بالخطأ فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بتعمد
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل المؤاخذة على عين الجد ترجيا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى
ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبر او فاعل
الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والوقف اضيفا الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق
التأنى فى هذه المدة فلا يطالب بفىء ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة
اشهر فيؤبدن فان فاؤا رجعوا عن اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر
او ما ترتب عليه من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان جمعوا
عدته فان الله سميع لطلاقهم عليم بنزعهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر
فما دونه وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطء او قدر والوعد ان عجز صح الفىء ولزم الواطئ
ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعند الشافعى تطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق
عليه الحاكم والمطلقات يريد به المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والا
خبارات حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر فى معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصدا ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء
رحمك الله وتأتى على المبتدأ بزيادة فضل تأكيد بانفسهن تهييج وحث لهن على التربص
فان نفوس النساء طوائح الى الرجال فأمرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على
الظرف والمفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلام

دعي الشلوة اياما الحرائب والطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما سماع فيها من قرء
نسائكم واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه المأمور بمراعاته الزمن
لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يعارض
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم ان شاء امسك بعد
وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة في الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين
مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناها ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد
تولي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان
يفعله وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن
اذا كان الطلاق رجعيا للآية الواردة فيها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه
كالوكر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة
او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف وافعل
ههنا بمعنى الفاعل في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرارا بالمراجعة
وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان
حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم
قوام عليهن وخزائن لهن يتاركون نحن في عرض الزواج ويختصون بفضيلة الرعاية والانفاق

والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرع لحكمه ومصالح الطلاق
مرتان اي الطلاق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك
قال الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة
يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة وان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير
حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب تخييرهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا
اي من الصداق قال روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما
اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا الى رفعت جانب الخباء
فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت
عدة صداقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والاتيان اليهم لانهم آمرون بها عند الترافع
وقيل اعتطاب الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا ان يخافا الله بترك اقامة
احكامه من موجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
عن الضمير لدلالة الاحتمال وقرئ يخافا وتقيمان له الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الزوج في اخذ ما افتدت به نفسها وتخلصت
وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها اي فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد تنبيه
في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما
للزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا
في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته

فقالت أردّها واريد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن تفدى
فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه
اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه
للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه
فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها مستعملا الطلاق فيه ان تفسير لقوله
او تسريح باحسان اعرض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى
فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق
الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة فقالت نعم فقال لا
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح
بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له
فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا أن يرجع كل من المرأة والزوج الاول
الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير بعيد لان عواقب الامور غيب فلا
تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولنهايتها فيقال اخر الانسان والموت

الذي

الذي يتوفى لا يكلف بمشكل مدة العمر ومبدؤه اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء
وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية لصحة ان يرتب عليه فامسكوهن او
سرحوهن بمعروف اذا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا ترجعوهن ارادة الاضرار بهن كان الطلاق يترك المعتدة حتى تشارف الانقضاء
ثم راجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتطلوهن بالتطويل والالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذا المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما
انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق
ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد
عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به ما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن
الشافعي رحمه الله ان سياق الكلامين على اقتراب البلوغ فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
الخطاب للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا الى ان رجعها
الاول الاستيناف فيكون ذلك دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو كانت
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد منعهن العدة ولا يتركونهن يتزوجن بعد
وانا وقيل الاصوب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم

والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانها اذا وجدتم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم تخرج اذا
تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان يكحن ولا تعضلوهن بالمعروف بما
يعرفه الشرع وتستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا
كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل من التزوج من غير كفو غير منهى ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد وان كان لجزء الخطاب والفرق
بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصور كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر
من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم واذا
طلقتم بنسيتن او تاكدهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب مختص
بما اذا لم يرتضع الصبى الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز
ان ينقص عنه وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالدات الولد يولد له وينسب اليه
وتغيير العبارة للاشعار الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرتهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما دامت
زوجة او معتدة الكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد

بما لا

بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له
وتقريب اى لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا
من صلته اى لا تضر الوالدة بالولد فيما يتعلق بنفقته وبتعهده وبتعهدها بنفقة له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضار يضير واضافة الولد اليها
تارة واليه اخرى استعطافا لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق عليه فلا ينبغى ان تضر ابنه او تنازع ابيه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل حذف والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبى اى نماء مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل النفى من الابوين
من قوله واجعله الوارث مثلا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما
عدا الولاد وقيل وارث الطفل والية ابناء الميت وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد ودليله سيان الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما
والتشاور فيه قبل الحولين والتشاور والمشورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل
اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذر
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا للرضاع
اولادكم يقال ارضعت المراة الصبى واسترضعتها اياه كقولك اخرج الله خارجتى واستخرجته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما آتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما

على ا

ذهب

والمشاورة م

آتاكم الله وافدتم عليه من الاجر بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل السلوك بما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر
الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم او الذين
ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون مبنيا للمفعول
اى يستوفون اجالهم وانث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك
لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له
قوله ان لبثتم الا عشرا فان لبثتم الا يوما ولعل المفتى لهذا التغليب ان الجنين فى غالب
الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه
العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى شمول
المسلمة والكتابية فيه كافة لها الشافعى والحرة والامة كما قاله الاعم والحامل وعبرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا
فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه
الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان ينكروهن فان قصروا
فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول
السائل اجئتكم لاسلم عليكم والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المفتى

الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى

جئتك لاسلم عليكم

اى فى ذكروهن

خصت بالموطئة والمكنوة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها
ان تقول لها انك جميلة او انك تريد ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك واكننتم فى انفسكم
او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا
استدراك عن محذوف دل عليه سنذكرونهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا
عبر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف
لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح
خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا
تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة مهر وقيل من وزر
لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى
عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن
وقرأ الكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا
ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وجعل المصدر فى المعنى

اى تفرضوا لهن مهرا

عقدة

انه لا متعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها
مهرا ولو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى
لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الحالة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبرا لخاطر المطلقات وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الغنى له سعة والمقتر الضيق الحال الخالي طبقه ويليق
به ويدل عليه قوله عليه السلام لاضارة طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهرها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي فاحد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح التاء متاعا تمتيعا المتعة
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة متاعا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق
ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشاركة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها اى لهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان اخلال المتوفى تبعة
المهر والا متعة مع التنصيص لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا ياخذن شيئا و
الصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثلاثة الفعل والنون ضمير ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عبر عنه بالعقدة
بالتنكير فيشمل المهر لانها كلا وهو مذهب ابن الطلاق قبل المسيس فحينئذ الزوج غير مستقر

تذكير ايجاب المتعة

والفعل مبني

بنفسه

بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي بيده عقد النكاح
وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد
الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التحية ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على
الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه
تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل
بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل محسنكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم وجازيكم
عليه حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج ليلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها
او الفضلى منها لخصوصها وهو صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت
افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احرها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة
بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهرتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة
انه عليه السلام كان يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب الخاشع
القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل ورجل كصحاب وركبان كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه
ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا

الصلوة الوسطى
صلوة العصر

وقيل صلوة الظهر
وقيل الفجر
وقيل المغرب
وقيل العشاء

امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حال الخوف والامن او شكرا بازاء ما
مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن
عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله وصية
عليهم
او الزمه الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكم وصية
او كتب عليهم وصية
او والذين يتوفون اهل وصية او وعليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بوصون ان اضمرت والا فالوصية او بمتاع على قراءة لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول وحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحضرهم الاجل بان يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان
كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
والسكنى لها ثابتة عند ائمتنا خلافا لابى حنيفة فان خرجن من منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد
وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن
خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم وكذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واوجبها
عامة التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون

اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القضية كذلك اشارة الى ما سبق من احكام
الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعدابه سببين لعباده من الدلائل والاحكام ما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها
الم تر تعجب وتفرس لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم تر ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
ثمانون جمع الف او الف كفاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم
الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل
واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله
تعالى تحويفا وتهويلا ثم احياهم قيل خرجوا قبل اهل داوردان وقد عرفت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم ما لهم
لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير
مخلص وان المقدر لا محالة واقع اثرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا
فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والتابع عليم بما تضمرانه

وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
او ذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض
الجهاد والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا
الذي يقرض الله في معنى اقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر
ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
لئلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملإ من بني اسرائيل
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي
من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشموئيل ابعث لنا
ملكا نقاتل في سبيل الله انصب لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ونقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبرها بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا عسيتم
بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل

وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد وعلله في الاعراب بتوالي الخاء في ببسطه

بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا
قليلا منهم للمائة وثلث عشرة بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على
ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم
عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله
عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يبلغها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك وراثة وتمكنا وانه فقير لا مال له
يتصدق به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك
في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبط خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لا يستبعد ان يملكه لفقره
وشعث نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغني عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم
نبيهم تأكيدا لحجته على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية
ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما خرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه

كالبدل من تاء التابوت لاشتراكهما في الجنس والزيادة يريد به صندوقا التوراة وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب عوامن ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم
الضمير للتابوت اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما
تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فلسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت لها راس وذنب كراس
الهرة وذنبها وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر
بنوا وسكنوا وقرا النضر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وايثاره مصير قلبه مقر
العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناهما او انفسهما والآل قد يجيء بمعنى
او ابناء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت
الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسده
فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض الروم الى ان مثلنا الطالوت فاصابهم بلاء حتى
هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم
روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ستمائة الف
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسألوا ماء فقال وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان
الله مبتليكم بنهر مبتليكم معاملكم معاملة المختبر بالنهر فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي وليس بمحمد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء

اذا ذاقه ماكلا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك
بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن
شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للمبالغة كما قدم الثابتون على الخبر في قوله ان الذين
آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرا ابن عامر والكوفيون بضم
العين فشربوا الا قليلا منهم اي فكثروا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف روي ان من اقتصر على
الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا للقاصد الآخرة فلما جاوزه هو
والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله اي قال الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يشاهدون
عنا قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين بمعنى معه والضمير في قالوا للكثير
المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تفاءلوا به والنهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر
والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاءت راسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاعانة
ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله بالدعاء
وفيه ترغيب للغزاة ادبوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو اول الامر ثم ثبات

القدم في مداحض الحرب المستتب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا
فهزموهم باذن الله فكسروهم بضربه او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم
وقتل داود جالوت قيل كان ايشي في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم
يجمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالزرد وكلام الدواب
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار وكف بعضهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقولنا في هذا وفي
الحج دفاع تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت واهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا ريب فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصهم في السورة
او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض
بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى
وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الجمعة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج
حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب
فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة ومراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام
فانه خص بالدعوة العامة والحج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بعاقب

الدهر

الدهر والفضائل العلمية والعملية القائمة للحشر والانبهار التخييم شانه كانه العالم المتعين
لهذا الوصف المستغرق عن التعيين وقيل ابرهيم خصه بالخلة الموحى على المراتب وقيل
ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هذى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خير كان او شرا ايمانا وكفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاء كما وتساعدكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
حتى تكلموا على شفعاء تشفع لكم في حطها في حقكم وانما رفعت ثلثتها مع فتح النجم
لانها في التقدير جاءت هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكوة هم
الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين

ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله
الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير والمحاققلان في انه هل يقدر للاخر
مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم القائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فعول
من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم فالسنة الوسنان اذا نعس النعاس فرنقت في عينه سنة وليس
بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس
المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما
فان من اخذه نعاس او نوم كان ما يؤخذ الحي قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك
العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او
خارجا عنها متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبريائه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل ان يتبع
ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او العكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي
او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لمن في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم وعظمته على
ما قبله لان مجموع ما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض

جميعا

جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والكرسي لا قاعدة وقيل
كرسيه عبارة عن علمه وملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذا سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يتعدد عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو المكبد ولا يؤوده ولا يثقله مأخوذ
من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والانباه العظيم المستحق
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على اثبات المسائل الالهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التغير والحلول متعال عن التغير والفتور
لا يناسبه الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها
جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك
قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا
يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي
في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد وقرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله
عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلائل

على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة
والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
وهو لما كان منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعثة ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد من عبادة الله فعلوت من
الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك
بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة
لمستمسك المحتمي من الظل الضخم والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته
فانفصم والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا
محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته
وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية
الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر وحال من المستكن في الخبر او من
الموصول ومنها او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي يتجلى بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور
البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والاخراج
الى الطاغوت باعتبار التسبب لا بالخلق قدرة تعالى وارادته به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعله عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
لشانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه

الله الملك لان آتاه اي اعطاه اياه الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة العكس كقولك عاديتني لانك احسنت اليك او وقت ان آتاه الملك وهو حجة
على من يمنع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من
آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجسام وقرا حمزة
رب بحذف الياء فقال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف
قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابرهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
دفعا للمغالطة وهو في الحقيقة عدول من مثال الحق الى مثال الحلي من مقدوراته التي
عجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس
يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام حجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعوا اليه وحاججه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم حجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي
مر على قرية تقديره او الم تر مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره
جوابا لمعارضته وتقديره وان كنت تحيي فاحيي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرحيا
او الخضر او كافر البعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس بين خربت تنمر
وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي

بجنحيه

البقية

شرحيا

شرحيل

الله

خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى وكان
القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى وعلى
الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا
مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه امن بعد البعث او سابق الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول القائل وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير مرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل
اصله لم يتسنن من الحاء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى
وانما افرد الضميران للطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء
فى الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير ولاقول اذا على الحال
لما بعده ولنجعلك آية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار والاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها

من انشر الله

من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشره بمعنى انشره ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما اشكل
تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شىء قدير قال اعلم ان الله على
كل شىء قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه او ما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة
والكسائى قال اعلم على الامر والامر مخاطبة او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ
قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل
لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله رد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينت
ربك فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر فسأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الحوا
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والجمع
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكونا فلا تشتبه
العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا ودجاجا وغرابا
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمى به وجمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتأنسها وتعرف تأنسها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال وكون الطاء الضاج تصورها وقال وفرع يصير الجيد كوجه
كأنه على القلب فنوان الكروم الدوالى وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صره يصره وصرهن اذا جمعه وقرئ صرهن من التصرية وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك فكانت اربعة قيل
سبعة وقرأ ابو بكر جزءا بضم الزاى وقف ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا ومشيا روى انه امر ان ينحها ويتفقد رؤسها
ويقطعها فيضم رؤسها فتطير شاخصة اجزاؤها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن فتعود ذلك

تحمل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت حبتا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه مشرقات حتى دعاهن بداعية العقل
والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم عليه السلام ويمن ضراعته في الدعاء وحسن
ادبه في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ابشر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته
مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويريده
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او كمثل
كمثل ذي حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند
الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كاسناده الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق تشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة
وهو قليل بالنسبة الى وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن والبر في الارض المحلة والله يضاعف
لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن محله
تفاوت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعيرا بقتابها واخلاسها وعن
الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان
يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه
وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم
اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة تجاوز
عن السائل الحاحه وقيل مغفرة من الله برد الجميل او مغفرة من السائل ان يعذره ويغفر

رده عليه من سفه بعض الذي خير منها وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق ممن وايذاء عليم فيجازي عليه من يمن ويؤذي العقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد
منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي
يراءي بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او كابطال الذي ينفق رئاء فالكاف في
محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر
اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون
على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه والضمير الذي ينفق با
عتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي جاءت بفلج دماؤهم والله
لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على
الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله ورجه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على
ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو باسكان الكاف تخفيفا
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد
في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا

رده

رده

بامه
هم القوم كل القوم يا ام خالد

فان لم يصبها وابل فطل اى فصيبها او فالذى يصيبها طل وفطل يكفيها لكرم تربتها وقوة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع
بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند
الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الواقعة فى ذلك بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه
للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة ما
فيهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفانية والعالة فى الشيخوخة اصعب
والوا والحال او للعطف على ملاحظ المعنى فكانه قيل يود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغارا لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى
السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء او منة فى الحسنة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه وشبههم به من حال بشر فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى الجناب الجبروتى
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله وجياده ومما اخرجنا لكم
من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اى من المال ومنا اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه كثير وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة
الكثرة

من فاعل

من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم
بآخذيه اى وما انتم بآخذيه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تسامحوا
فيه مجاز من اغمض بصره اذا اغضه وقرئ تغمضوا اى تتحملوا على الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله
غنى عن انفاقكم وانما امركم به لانفاعكم حميد يقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر فلا تنفقوا والوعد فى الاصل يستعمل فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وفتحتين
ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل الفاحش وقيل المعاصى والله
يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة
تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الاخير ومن يؤت الحكمة بناء المفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد
اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بالناقص من الآ
يات او مما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم
من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او غير شرط فى طاعة
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون
فيها او يمنعون من التصدقات ولا يؤمنون بالنذور من انصار من يخلصهم من الله ويمنعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وتخفوها وتؤتوها الفقراء
اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال

وبضمتين مع

وكانوا يؤتون

فانما القرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الله
حفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على
انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة
والكسائي بجزمه عطفا على الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقة
قات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار به ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان
تجعل الناس مهتدين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن المقابح كالمن
والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء مرجع بان الهداية من الله وحده
وانما تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال
وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه
او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما تخلفا المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم
اعط المنفق خلفا ولممسك تلفا روي انا شاء المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اصحاب الصفة كانوا نحوا من اربعمائة

من فقراء

من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم
بسيماهم من الضعف ونابة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسئلون الناس
الحافا الحافا وهو ان يلازم المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسئلون وان سالوا عن ضرورة لم يلحفوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي بجميع الاوقات والاحوال بالخير ترك في اي بكر تصدق
باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض
اربعمائة الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم بالليل ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية
وقيل في رباط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على ولا علانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون
له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة
في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل وفي العوض بان يباع احدهما بالاخر
مرجحا والاكثر بالواو الصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو
الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
ضرب على غير اتساق يتخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعمائهم ان
الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون كما يقوم

من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او يخنق فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لاختلال عقلهم ولكن لان الله اثر في بطونهم ما اكلوه من الربوا
فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لاقتضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان لهم
حق انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم صنج درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما
بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله
ما سلف تقدم اخذه الخبر ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف جعل من
صلة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في
شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت
منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل
كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله
وبما جاء به منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفها على
ما يعمها لا ما يليها على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي

من الربوا

من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان
دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند الحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا فاعلموا بها غيركم من آذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المرتجع
بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتل كفرا روي انها لما نزلت قال ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا
فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المحرم تحليل مرتد وماله في وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة وفعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة
بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافا
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
المراد بالصدقة الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت فتلقوا مصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزلت بها جبريل
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا اقرضته او ملكته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تبوعه الى الاجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه ديّن حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امرها بعد النهي عن الاباء عنها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق وما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يملّ هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل ومترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جواز النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما قاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين

فان لم

فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وعامة الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لجهل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل اراده ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يتأدون منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا وكبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب الى ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود تحرجا من ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين واديرتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انها الخبر لاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون

على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او
مطلقا لانه احوط والامر الى في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها
للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد ويحتمل البناء بين
ويدل عليه ان قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهمهم ويكلفا الخروج
عما احدهما ولا يتعطل الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا
الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه الحاكمة المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل
الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم
تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ
رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد وضحاك لانه عليه
السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لان
فائدة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر التي هو مظنة اعوازها والجمهور
على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض
المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة
لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ائتمن بقلب الهمزة ياء والذي ئتمن بادغام الياء
في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة
وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان

واسناد

واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او لمبالغة
انه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل يأثم الاثم في نفسه واخذ اثره
اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
عزما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب
من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد دفعها ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستئناف وجزمها الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها بدلا منه
بدل البعض من الكل والاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على
الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة
ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح
وقوع كل خبرا لمبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة
وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع مجموعه ولذلك قيل الكتاب
اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء
على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين ولجمعه في معنى
الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد
نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا اي اطعناك غفرانك ربنا اغفر غفرانك

او تطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث تتسع
فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف المحال
ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتجتذب اليه فكانت احق بتحصيله واعمل بتهلاف الجهد
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تواخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطاء من
تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يتسع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم تهلك
ان تناولها بودي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب لا يتعدان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عن عمد لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فجوز ان يدعو الانسان به
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه وفي تدبر ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه
في مكانه ويعجزه التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا يفي بها الطاقة البشرية وهو
يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية
الفعل الى مفعولين واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام

لما دعا

لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز
الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالف سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
سورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال
السحرة سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالتقاء حركة
الهمزة عليها لتنزل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في
الوقف كقولهم واحد اثنان لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم تحرك فالتقى وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها
والاستدلال بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله
الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما الحق
بالعدل والصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى
والنجل وزنهما تفعلة وافعيل فيثبت لانهما العجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل
بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية
بالامالة في جميع القرآن وقالون وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين
من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من
قبلنا والا فالمراد به قومها وانزل الفرقان تمدح به جنس الكتب الالهية فانها فارقة

بين الحق والباطل وكرر ذلك بعد الكتب الثلثة تعميما لما عداها كانه قال وانزل سائر
ما يفرق به بين الحق والباطل والزبور والقرآن وكرر ذكرهما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا في تميزه بانه مميز يفرق
به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها
لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو
انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر
وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض لانهما
لا يخلوان عنهما وقدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اشرف
فيها كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من
الصور المختلفة وهو كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصوير وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا
يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والمراد
انهن اصله فاردن على ان كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر لابتلاء الخلق والنظر ليظهر فيها فضل العلماء وزيادة
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد

بها فيثابوا عليها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي
الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى
وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه
معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فاما
الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره او يتأولونه على الباطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهون
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين وكل منهما على التعاقب والاول
جانب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به
استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند
ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب تمدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استحقوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل
عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه
وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن شبه النصارى بقوله كلمته
القاها الى مريم وروح منه كانه جواب قولهم لا اب لهم غير الله فتعين ان يكون اباه
انه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى

لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه كما زاغ عليه السلام
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبتلنا ببلاء يزيغ فيه قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالتسهيل
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل الله بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك وتفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
وانه متفضل بما ينعم على عباده ولا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب
او الجزاء لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء وتنبيه على ان معظم همهم
من القلبين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل مستقلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران واليهود ومشركو العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من
عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقدهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل
استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف تفسير لدأبهم
او خبر ان ابتدئ بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم

ان ينزل

ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاريتك اذا لقيتنا انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل بني قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبر به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمامها بئس المهاد لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم وما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم آية الخطاب لقريش وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في
سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عددهم
وكانوا قريبا الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم
في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا
مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
وشفعوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بها على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء تقرير لما يدل
عليه ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح
وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي
الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي
المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوها
كقولك احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والداعي ولعله زينه
ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرضيه الله ولانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الحب

بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان الشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف
دينار وقيل الف مثل ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام
الماشية وسومها او المطهمة والانعام الابل والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة
الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من
ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية
ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه
سبل السلام ومما الغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء واحوال الذين اتقوا فلذلك اعقبهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعيم
الدنيا ومتاعها واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان
دليل على انه كان في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن
ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يتمها واما بالبدن وهو اما قولي

وهو الصدق

وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو
الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم
فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع شهد الله انه لا اله الا
هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة
بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها نبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه فانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وعرهو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد
قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد وزيد الاعتناء بمعرفة ادلة
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لله او على شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلم قال تجاء بصاحبها يوم
القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدي الجنة وهي دليل على فضل اصول علم الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرتضى عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدين بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله عليه وقرأ الكسائي

بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او عاتبهم به وبدل الاشتمال
ان فسر الشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على القلب واعتراض بينهما
او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب وتفاه آخرون مطلقا او في التوحيد
فقالت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد
ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم
وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعدما اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم
كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت فاوضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم وتنظيره
قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم
يضرك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصر قتلة
اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم لم يرضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن

الله

ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقتلون الذين
يامرون ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فانهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهم وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او البيان وتنكير النصيب لتعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي
محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل
مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا لا انه ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا
فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيها
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤس الخلائق الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار

لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار الا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزة وتاء القسم وقيل اصله يا الله اقبل بالخير فحذف حرف النداء ومتعلق
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو
نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء
وتذل من تشاء في الدنيا او الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك
الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقتضي بالذات والشر مقتضى العرض
اذ لا يوجد شر حتى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام يقع
فيه اذ روي انه عليه السلام لما حفر الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذ
يحفر ون قطعة فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول
الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي
منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها
القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبر جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق فنزلت وبشر على ان الشرايط بيده بقوله انك على كل شيء قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي

وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل
والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي
من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من مواد هامن امهاتها او انشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى افضل الحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل
ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يعني ان بينهما ولاية
فان موالاة المتعادين لا يجتمعان فالـــ تودد وتحبب ثم تزعم انني صديقك ليس
الذي عندك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة
حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
واني الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد
عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه
فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي
انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا

ما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه
لأنها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها
فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا
بعيدا يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها وجزاء أعمالها من الخير
والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمدا بعيدا أو يضمر نحو اذكر وتود حال
من الضمير في عملت أو خبر لما عملت من سوء ويجد معطوف على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يجوز أن يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه
حكاية كائن سواء وفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتوكيد والتذكير والله
رؤف بالعباد إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم
وأنه ذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه والعبد إذا
علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله
وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب
فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جنابه قربة ويبوئكم في جوار قدسه مبوأ
ذلك المحبة على طريق الاستعارة والمقابلة والله غفور رحيم لمن يحب إليه بطاعته
واتباع نبيه وروي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا ما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهد عليه
السلام أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا قولهم تصديقا من العمل قل أطيعوا الله

والرسول

والرسول فإن تولوا عن حمل الحق والمضارعة بحذف فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر
وأنه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين إن الله اصطفى آدم
ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين جمعهما بالرسالة والخصائص الروحانية و
الجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل وبين أنها
الحالية لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على تفضيلهم
على الملائكة وآل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلوات الله
عليه وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وعيسى
وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن أبيعاز بن أبي رود بن زربابل بن شالتيل بن يوحنا
بن أوشيا بن آمون بن منسى بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزريا بن يوزام بن ساقط بن
أيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن أيشي بن عوبيد بن سلمون بن باعز بن يخشون
بن عميناذب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين ألف
وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال وبدل من آل آدم ومنهما ومن نوح أي
أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية فعلية
تقع على الواحد والجمع فعولة من الذرء وتعولة من الذرو أبدلت همزتها ياء ثم قلب الواو
وأدغمت والله سميع عليم بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل وسمع بقول امرأة عمران عليم بنيتها إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به إذ وقيل نصبه بإضمار اذكر وهي حنة بنت فاقوذا
قابلة عيسى وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من هرون فلقيها زكريا زوجها
وعرفه كفالة زكريا فإنه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بأم يحيى وكان يحيى
وعيسى ابنا خالة من الأب [illegible] لا أسمعه بشيء وتخلصا للعبادة

وقصته الحال روى انها كانت عاقرا مجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان
هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب
اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا
عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث
كالنفس والجملة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا
ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف
من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم وضعت
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا والانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس
الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى شيئين فيما نذرت فيكون للجنس واني سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة ومن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها عيسى ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها

ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعت عند الاحبار وقالت دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني هارون
كانت رؤساء اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم
زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول
حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها
زكريا مشددا الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصر زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على
الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومد زكريا رفعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمها سمي لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج
اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف والعكس
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه الاشتباه عليه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط
وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بحال استحقاق تفضلا به وهو محتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله
روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم

فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال
لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن
والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو واوسعت على جيرانها هنالك
دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى
كرامة مريم وسر لها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبت لها الجنة
العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر
من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة بالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب
الخيل فان المنادى كان جبرئيل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناديه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبرا وحال عن
الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة
القول ولان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم عجمى وان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى سمى بها
لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر وكتاب الله
سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان
فائقا الناس كلهم فانه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات
والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا
او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر اذ دخل فى كبر السن واترفت وكان له

تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتى عاقر لا تلد من العقر وهو
القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما
يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كائنات عليه ورجل من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله
مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف
اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل
لاستقبله بالبشارة والشكر وترجح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة
ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن كلامهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكر قضاء الحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر
فاحسن الجواب اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بتحريك او راس واصله التحرك
ومنه الرامز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير
وقرئ رمزا كحذر جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى
متراين كقوله من ما تلقى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك
كثيرا فى ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل
على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى الغروب
الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر
كشجر واشجار واذ قالت الملائكة ان الله اصطفيك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين كلها اصطفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الصطفاها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل
قبلها انثى وتفريغها للعبادة واعفائها برزقها الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر

من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبريتها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة
بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شرعهم
او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس
في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن
هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والانحناء ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا
شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل انهم يكفل
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولون انهم يكفلون او
ما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت
الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبيان في زمان
متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية
مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل
ومن العيس وهو بياض يعلو حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت
صفة غير تميز الاسماء نعتت في سلكها ولا يبالي في تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم

جنس

جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته فان الاسم علامة المسمى والميل
متن سواه وانما قيل ابن مريم والخطاب لها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب
الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة
من كلمة وجيها وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عادي واستفهام
على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وحي
حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان
يخلق الاشياء مبدعة باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما
من خوف التهمة لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل
انى قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول
ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى القول كانه
قال والطفا بانى قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته والرد على من زعم
انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل انى قد جئتكم

أو جزء بدلا آية او رفع على معنى أني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور لكم مثل
شكل صورة الطير وقرأ نافع الى الكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذات المثال
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله بثه به على ان احياءه من الله لانه
وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف وحمزة وابرئ الاكمه والابرص الذى ولد اعمى
او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه
ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لآية لكم
ان كنتم مؤمنين موقنين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين لحق غير
معاندين ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او حال
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم معطوف على مصدقا
على قوله قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاكتب
قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والتمتع
الابل والعمل فى السبت وهو بدل كما ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك
بكونه مصدقا للتورية كما لا يخل نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وكاذب
فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى وجئتكم
بآية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية
من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى

لتقريرها

لتقريرها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
الباهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى اشكال التوحيد
النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى اشكال
الفرق العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المنا
ثم فرق ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة وتعظيم
قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقيقا ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجئا الى الله
او ذاهبا او مضافا اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من
الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى مهما بمعنى مع او فى او اللام
قال الحواريون حواريا الرجل خالصه من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحوارى
للحضرات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء
سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل
قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله
واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشا
هدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه
السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احسوا منهم الكفر من اليهود
باى وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه حيلة فى الاصل يجلب بها غيره الى مضرة
لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين

اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف
لمكر الله او خبر لماكرين او لمضمر اي وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من
توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او ممسك عن الشهوات العائقة
عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى ورافعك الي المحل الكرامي ومقربك الى حظيرة قدسي ومطهرك
كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك
وشوكة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفره وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله
من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا لا على ان العامل معنى الا
شارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر تفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع عن تفرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب وانما شبه
حاله بما هو اغرب الحالات الخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب

ثم كونه

ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله
فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات ولكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة
للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وا
نفسنا وانفسكم اي ندع كل منا ومنكم نفسه واعز اهله واقربهم عليه
الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب
دونهم ثم نبتهل اي نتباهل ان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم واللعنة اللعنة
واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا راع فنجعل لعنة الله على الكا
ذبين عطف عليه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما خلوا قال اللعاقب
وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول
الله وقد لاعنه الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا
الله ان يزيل جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فادعوا الرئيس الى الله وبذلوا له الجزية التي حملها
حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير
على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ
عيسى وغيره لهو القصص الحق بجملتها خبران او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى
ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا

للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يشاركه في القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيدهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحق والاعراض عن التوحيد فساد
للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل
الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا اخبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو
ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي اثبتوا لكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت به الكتب
وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة
في الارشاد وحسن الترتيب والتدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعارف عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يجري عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم
فجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان
الآيات والنذر لا يغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود

والنصارى

والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله فنزلت الآية
ان اليهود والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه يتنبه بها عن حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما وجدتم
في التورية والانجيل عنادا وتدعونه ورودا فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا
ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع
وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد قالا مد وقبل الهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون
بالمد والهمزة والبزي بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا
تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من
البراءة البراهين ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى
الناس بابرهيم لاختصاصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصل
وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو
يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم وما يخطئهم الاضلال ولا يعود وبالهم الا عليهم اذ يضاعف

عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت من التورية والانجيل وذلك على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقران وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون المعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق الباطل
بالتحريف وابراز الباطل في صورته والتعصب في المرينها وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح التاء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون واكفروا آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار
خيبر تعاقدوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي
من يشاء الى الايمان ويحبه عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي
دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة

ابن كثير

ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع فيؤيد الوجه الاول والا ان يؤتى احد دينكم
وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيتخصلوا بحجتكم والواو
بمعنى احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ردوا
بطال ما زعموا بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه فرشتي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر
دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شان من ليس من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب
وذم ويقولون على الله الكذب باذعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك
لانهم استحلوا الظلم من خالفهم وقالوا لم يحل لهم في التورية حرمة وقيل
عامل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم تقاضوه فقالوا اسقط حقك حيث تركت دينك
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها موداة الى البر
والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين استيناف مقرر لجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لله

وصوم المتقين ثاب الراجع من الجزاء الى من واشعر ان التقوى ملاك الامر وهو يعم
الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او يسيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة
الا يتمتعون بكلام الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات
نحوه كما ان من اعتد بغيره تفاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم
عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في اخبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد
وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر به وقيل في رافع كان بين اسحق بن قيس
وبينه في ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني الحرفين كعب
ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى
المحرف او يطعنون فيه بشبهة الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة لم تحقيقها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
الضمير للمحرف المدلول عليه بيلون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
لافترائهم بعد ذلك تنبيها على ان ما عرفتم انه ليس من عند الله لا يعرفه الا من عند الله وهذا
من عند الله وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد بخلق الله تعالى
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد لتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير
عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم

عليك

عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول لهم كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كالالهاني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
ما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرا حمزة ترسلون من التدريس وتدرسون
من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى
النفي في قوله ما كان اي وما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا
بامر باتخاذ الملائكة اربابا بل نهى عنه وهو ادق من العبادة ورفعه الباقون على الا
ستيناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايامركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بها اولى وقيل معناه ان الله
تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين
تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا

واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الجزئية وقرا حمزة لما بالكسر على
ان ما مصدرية اي لاجل اتياني اياكم بعض الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق اخذ الله
الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذ للذي آتيتكم وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لئن اخذ ما آتيتكم على ان اصله لئن ما الا ان غلم في احدى
الكلمات الثلث استثقالا وقرانا فع اعناكم بالنون والالف جميعا قال ءاقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد وقرئ بالضم وهو لغة فيه
كعبر وعبر وجمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد
ذلك بعد الميثاق الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار والمحذوف
تقديره اتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل
بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين
على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر والتفكر
وكارهين بالسيف مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم
واليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما
انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم امر للرسول صلوات الله عليه ان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب
الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او ان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له او لرفعة
كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه

على المنزل

على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمختار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق
والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام
دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع
في الخسران ابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان
هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينتفي قبول كل دين يغاير الاسلام
ولعل الدين ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الجائي عن الحق
بعدما وضح له مشهد لظلمه الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي واكار له وذلك يقتضي
ان لا يقبل توبة المرتد وشهد واعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق
واكن من الصالحين وحال اما ضمير قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
اللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه
على جواز لعنهم وبمفهومه على جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر
ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة زائلون عن غيرهم والمراد بالناس المؤمنون
او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا وبعوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور
يقبل توبتهم رحيم يتفضل عليهم قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته

فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع
المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والا
بجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد
ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد
ريب المنون ونرجع اليه ونثابه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى
شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة ولان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لا لازدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلالة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو
افتدى به من العذاب فى الآخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المتماثلين فى حكم شئ واحد
اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير وايئاس لان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير ولن تنالوا بر الله الذى
هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال وما يعمه وغيره

اشرفوا

الجزء الرابع

كبذل

كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراك
الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس وكان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك
يدل على ان انفاق احب المال على اقرب الاقارب افضل وان الآية نعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شئ اى من اى شئ يحبوبا او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان حلالا لبنى اسرائيل حلالا لهم
وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
تعالى الا من حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك
احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى
ان يجتهد والمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التورية اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى
ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ
والطعن فى دعوى الرسول موافقة ابرهيم تعليم لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين ان محاجتهم كتابهم وتكيتهم عافيه من انه قد حرم عليهم

هلام

الكلها هل

بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه
على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد
ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من
انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان
الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطركم
الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم
ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي بمكة وهي لغة
في مكة كالنبيط والنمط وامرأة تبوراتم ولاتب ولاتم وقيل هي موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناها ابرهيم ثم هدمت فبناها
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في
الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
ويطوف به الملائكة فلما اهبط امر ان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهلم لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله

حال

حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات
عجيبة كما قال فيه آيات بينات كامتناع الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان صواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتداء محذوف خبره
اي فيها مقام او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات
اثر القدم في الصخرة العمقاء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الآية
من بين الاحجار وابقائها دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة
وتوبيخ من انكر آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة
ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله
اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر
بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه
القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس
حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له
وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد
قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من يحج
عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال

ابو حنيفة انها مجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكلما في الى الشيء فهو له
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة
الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كالايضاح بعد ابهام وتنبيه وتكرير المراد
وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع
متابد على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم
والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف
شاق يجامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب
الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح واتهم وان
زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على
ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم يجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف
والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر
الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي الحذر لهم واشعارا بان كل واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق
المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم

حتى

حتى اقتتل الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التقاذي والتحارب لعلهم
ذلك فيحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي تبغون لها عوجا
لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير
صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرفوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
منتظر اهل ملتكم يثقون باقوالكم وتستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد ولما كان في الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلسوا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من
اليهود ان يجلس اليهم فيذكرهم يوم بعاث وينشدهم ما قيل فيه وكان الظفر في بعض
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه وقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ هداكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وتعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلوات الله عليه وانما
طيبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطبهم اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم
واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ
اليه في جامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالما

جب

والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان يتقى الطاعة من الالتفات اليها
وعن نوفع الحمارة انه عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة
وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهي عن المقيد
بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دون
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن
حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك
بالحبل سبب للسلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا
مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب ولا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال
الخلاف اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته
اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع
بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام
والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في
ناهم لكفركم اذ لو ادركهم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار والشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى
الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في الف
كرحذت في الوثب كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون
ارادة بيانكم على الهدى وازدياد كم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وياتمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يتمكن فيها جميع الامة كالعلم لا

حكام

حكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع
وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوا اثموا جميعا ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض الكفاية او للتبعيض بمعنى وكونوا امة
يامرون بالمعروف كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء
الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون الفائزون
بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يامر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام ولا
ظهار الفاسق يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى
اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهار النهي فيه مخصوص بما
لتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم
وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نسبت بما فيهم من معنى الفعل وانما ذكر وبياض الوجه وسواده كناية عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوم اهل الحق يبياض الجبهة والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وعينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد
ايمانهم به قبل بعثته او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على
انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة

بما كنتم تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وتوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بمنعه لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما
في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة ذكر
خيريتهم فيما مضى ولم يذكر لها انقطاع لما اكتفى بقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم ولو
امن اهل الكتاب بالله يتعين الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا
حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا واظهارا لدينه واستدل
بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل
منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن
اهل الكتاب ايمانا كاينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه
الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا
ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم فيما امرتهم سوى ما يكون
بقول وقد ذلك بانهم لو قاتلوا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر انه يكون

عاقبتهم

عاقبتهم العجز والخذلان وقد لا ينصرون عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ
كان كذلك حال قريظة والنظير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر
النفس والمال او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس استثناء من عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال
الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله وكتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهم محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود
في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار
عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاق الغضب في الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي الضير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين والمراد
في الصبح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه
السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم
بعد ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله

ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات من صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة حتى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا ما ينفق الكفرة فيها من مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا كمثل ريح فيها صر برد شديد والصائغ اطلاق للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن بقية اثر والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صرفاسنا صلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بالاكلة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث تجديها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل سره ثقة به شبه بطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او محذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وتعدى الى مفعولين

كقولهم

كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر متباعدا لان بذوره ليس عن رؤية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجملة الاولى جوابات مستانفة على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الحاطبون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ان او خبر اولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فيه ورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من غيظ الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لشناعة عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس شجار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا مولاتهم او مكرهم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المندوب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الحكم وقرئ

الراء لاتباع كسرة ميمه وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فيجازيكم
عما انتم اهله وقرئ بالتاء اى بما تعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اى واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المومنين تنزلهم او تسوى وتبنى
لهم وتبوئ القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة
من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابى ولم
يدعه قبل فقال هو والكثير من الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فكيف
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت فى منامى بقرا
مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورايت كانى ادخلت
يدى فى درع حصينة فاولته المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا والغوا
حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على ما الغتهم وقالوا استكرهناك يا رسول الله
ما رايت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة
وامتاز بشعب احد يوم السبت وترك ثلث عدوه الوادى وجعل ظهره وعسكره الى
احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل
ولا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان
منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ان تفشلا
ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى الف رجل ووعدهم النصر ان
صبروا فلما بلغوا الشوط اخذ ابن ابى فى ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا

تبعهم

تبعهم عمرو بن حرام الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الجبان باتباعهم فعصمهم الله فضيعهم رسوله والطائفتان
كانت عزمة لقوله والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع عدو الخطرة ويجوز ان يراد والله
ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المومنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على
غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير بعض ما افاد هم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به وانتم اذلة حال من النصر
وانما قال اذلة ولم يقل اذلاء ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله فى الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم
تنعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمومنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على اى قولهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر
والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنايم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما
جاء بلن اشعارا بانهم كانوا لا يئسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم
قبل امدهم الله يوم بدر بالف من الملائكة ثم صار ثلثة آلاف ثم صار خمسة آلاف
وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعدهم
الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويا
توكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت
القدر اذا غلت فاستعير للشرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان ياتوكم
فى الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من السومة بمعنى الامامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو
وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو
تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا

على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا من
تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب فيما قضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او بما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى ليقتص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم
بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت
شدة غيظا وقهر يقع في القلب او للتبعيض دون التردد فينقلبوا خائبين فيه مواستقطع
الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله ليكبتهم والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل
ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى
الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر بهم او يعذبهم فتشفى
منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه
الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون فاستحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب التعذيب والتعذيب بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
لعباده فلا تبادروا الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل
ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما تهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار
بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد

بالوعد

بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل
على التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا او اقبلوا الى مغفرة من ربكم
الى ما يستحق به المغفرة والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في
السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن شدة
او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل والكاظمين الغيظ
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق مواخذته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او عظمته العظيم فاستغفروا
لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين
المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله
عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي لم يصروا على قبح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة

لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتكرير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكذلك فارقا بين
القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله
ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنتها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قالوا بما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا
ارى مثله في سالف السنين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله
قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين والى المخصوص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم
احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم اكمل على منهم شانا فانكم على الحق وقتلاكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتلاهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
بكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله
او الاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن
عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف

وقيل

وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل لان المشركين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء
بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات
النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمنين فيه من الصالح
ما لا يحيطه او الفعل المعلل بمحذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف
فعلنا ذلك والتصدي في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علة تعالى ونفيه على طريقة
البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين يشاهدون
منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضعون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا تطهيرهم
وتصفيتهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت
عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم وتمنعاه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض على
الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان
اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال الشهداء

بدر من الكرامة فالحقوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اى فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم
من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا و
انهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ارتددتم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلو موت او قتل
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما
رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فدنت عنه
مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى صلعم
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول
يدعوا الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرقا الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى ياخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم
انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرئ
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه
كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك
الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون صريح بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع
على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت
كتابا موقتا صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها

تعريض

تعريض من شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وا
خذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون
وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من نؤ
تيها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم عنى من الجهاد وكاين اصله
اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرا
ابن كثير وكاين كاعن ووجهه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم راعى فى لعرى
فصار كايا ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
من طائى من نحت بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لانهم
وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه وقرا الباقون
قاتل وقرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكثر
فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسروا حدهم لما اصابهم من قتل
النبى او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكين من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم
قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة
لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون على خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان
اذ قالوا اعرف للدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله النصر

والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي وتعقوب بالضم على الاصل وكلا القراءتين بما اشركوا
بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطانا وهو كقوله لا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالفت الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا اطلع حسه حتى اذا فشلتم
جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في
الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم قد اتممنا ما وقفنا هاهنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه امير هم في نفر دون العشرة وقرأ الباقون
وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم

من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر يقال له ان شئت نقاتل على السلم ان شاء الله وقيل لما رجعوا

عنهم

عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم والله ذو فضل على المؤمنين تفضل عليهم بالعفو وفي
الاحوال كلها سواء ادبل الهم او عليهم اذ لا ابتلاء ابتلاء رحمة اذ تصعدون متعلق
بعفا عنكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا لاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على عفا عنكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله صلعم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات وضر لاح
حق وقيل الاحزنة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من
الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام كما
غمكم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثبكم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل عليكم الامن حتى اخذكم
النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من ايدينا فنأخذه
ثم يسقط فناخذه والامنة الامن نصب على المفعول به ونعاسا بدل منها او هو المفعول
وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على الجمع
آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم وما يهمهم الا همهم
انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله
غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية

واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شئ هل لنا
مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا مشحنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل
يرد علينا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى ان الغلبة الحقيقية
لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا
يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر
مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون واستيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد والمعنى
وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نخرج كما كان رأى ابن
ابى وغيره ما هنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه
قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم ليمحص
ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل
ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى ليبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة والابتلاء او على
قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم فيكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا ترك المركز والحرص على الغنيمة او الحنو لمخالفة النبى فمنعوا التأييد
وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم

فان

فان المعاصى تجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا
فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو بدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله
ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون
لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا كالكافرين فى النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه فوقهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله اتقاءكم كونكم مثلهم حسرة
فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم متابعتهم والله يحيى ويميت رد لقولهم
اى هو المؤثر فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله
او مت اى متم فى سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان الشهر
والغزا ليس مما يعجل الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من
المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا وقرا حفص
بالياء ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذى
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم
وقرا نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة

وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على
جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما
يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا للسنة المشاورة للامة
فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شئ بعد التروى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو
اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وترى فاذا عزمت على الكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وثبتك
لك فتوكل ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وفيه
تنبيه على المقتضى للتوكل وتعريض على ما يستحق خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يكون في الغنا
يم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة في النهي للرسول على ما روى انه بعث طلايع فغلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقسم معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا
تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل
على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات
بما غل يوم القيامة يات بالذي غله حاملا له على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله
واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان

كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثوابهم
عليه ولا يزداد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي وماواه جهنم ومثل المصير الفرق بينه وبين المرجع ان
المصير يجب ان يخالفه الحالة الاولى وكذلك المرجع هم درجات عند الله متفاوتون بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب وهم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على
من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفا
رقة والمعنى ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتوبيخ والواو عاطفة الجملة على ما سبق من قصة
احد او عليه وما بعده من مثل اصابتكم لكنا وقلتم وللانكار بما صنعتم الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم قد اصبتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى بما اقترفته انفسكم من مخالفة
الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والطاعة او اختيار الخروج من المدينة
وهو على رضي الله عنه باختياركم القتال يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر
ومنعه وعلى ان يصيبكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان وليعلم المؤ
منين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مستانف تعالوا قاتلوا في سبيل الله

او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير من ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد
متاريس وتكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوا ذلك استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانحرافهم وكلامهم
هذا فانهم اذا رأوا ما ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان اذ كان انحرافهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو
به بعضهم الى بعض فانه مفصلا علم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع
بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا وخبر بدل من الضمير في قالوا
لاخوانهم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل
يوم احد من قادتهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال
لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرؤا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عنكم
كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن
فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد
يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء
احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ
بالتاء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف
لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله

من فضله

من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالجنة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم
الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر
الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء
حية لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان
غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتاثره والتذاذه ويؤيد ذلك قوله في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية
وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الا الجسم الاريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه
وتوقعه او احياء بالذكر والايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واحتمال من بقي لاخوانه مثل ما انعم عليه وتبشير للمؤمنين بالفلاح
يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول
حال اخوانهم وهذا حال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه
كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
من جملة المستبشر به عطف على نعمة وفضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض قال
على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مستمرات من لا ايمان له محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ
خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه
فلما بلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب
اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلعم

تاله

عليهم ولا هم يحزنون

اعماله

لما انصرفوا من احد

مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم و
نعيم ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس بالمدينة واذاعوا كاجمعوا ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد
يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب
من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وبلغ
ذلك نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فشارطه ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في داركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فقتلوا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول
او للمصدر وقال ولقاعليه ان اريد به نعيم وحده والبارز للقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم فاظهروا حمية الاسلام وا
خلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول
الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر اذا جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالا
لف وكثرة التامل وتتابع الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية
وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو

مناط الفوز بخير الدارين بخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم با
لتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة
على العدو والحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا
مع رسولي ان كنتم مؤمنين فالايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويغلبوا عليك لقوله انهم
لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب
في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان
مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب
اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام حسبت ان اكثرهم يسمعون او المفعول
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم

الخالفون

يكون لهم

او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
ان تفصل في الخط ولكنها وصلت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن
عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو علة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر
الاولى ولا يحسبن على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بالتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خبر اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتهوا وتداركوا
فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يتركم مختلطين لا
يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز النفاق من الخلص الاحوال في نبيه باحوالكم والتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص الخالصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله يختبره بالمحنة ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
كم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص وبان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عباد المجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام
قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه
يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم

من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق وقرا بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعوله
اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلعم
او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا
يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبالما بخلوا به الزام
الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله فيهما ما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون على
ماله او انه يرث منهم ما يمسكون ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سال القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانما عنفهم العقاب عليه سنكتب ما
قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة ونحفظه في علمنا
لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول عليه السلام ولذلك
قرنه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي ونعلمهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد
والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك المحسوسات والحالات وذكره
ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل وانما اكد على المال لغالب حاجات
الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كرر ذكر الاكل

مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا
وسائر معاصيهم عبر الايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العلة
المقتضية اياه الحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف وما لك
وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا الا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى صلى الله عليه
وسلم فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحمله الى طبقها بالاحراق وهذا من مفترياتهم
واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات
سواء
غرض فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة
للتصديق وعما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان
توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر
واجترءوا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشىء اذا حسنته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن
الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة معاطفين فى عامة القرآن وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب
باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدم
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان
او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون
قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر

التيران

النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بجملة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلعم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر وياتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحياة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا
متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على التجار ويزجى بشىء رديء وهذا لمن آثرها
على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر وجمع غار لتبلون
اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات وانفسكم
بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والاسر والمتاعب ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن فى الدين واعزاء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم
على الصبر والاحتمال ويستعدوا لدفعها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها
الامور التى يجب العزم عليها او لما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل
اثبات الرأى على الشىء نحو امضائه واذ اخذ الله اى واذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا
الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقراءة ابن
كثير وابى عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب والضمير للكتاب
نابت عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم
التفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله
عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

الخطاب للرسول ومن هم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعو
لا تحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا موكد وكانه قيل لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا تحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم
تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه
عليه السلام سال اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه وارووه انهم
قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذ
روا بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم
يفرحون بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة
ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقا
بهم وقيل صورة القول لهم ان الله قيل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولى الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال
علمه وقدرته لذوى العقول الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه معرضة لجملة فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار
او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم كقوله عليه السلام لعمران بن حصين

فقاعدا فان لم تستطع
صل قائما فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة لمن ابى نفى الله عنه فى ان المريض
يصلى مضطجعا مستقبلا بعقاديم بدنه ويتفكرون فى خلق السموات والارض اسند
الاول اعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص
بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه
فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض والبهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا انما خلقته
لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحسنى الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالطرفين والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما جبلوه خلق السموات
والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته
غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الثمام فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه استعارات العقاب الروحانى اقطع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة
نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا انا سمعنا مناديا ينادى للايمان اوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع للدلالة وصفه وفيه مبالغة ليس فى ايقاعه
على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول
عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى
الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى فآمن بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستتبعة

ولكن تكفرة عن تجنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما
وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما ظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه
لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين سوء عاقبة او قصور في الا
متثال او تعجيلا واستكانة ويجوز ان يعلق على محذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا
عما تقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما
يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام
اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من
ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر لانهما
من اصل واحد ولفظ الاتصال والاتحاد والاجتماع والاتفاق في الدين وهو جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله
اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل ولان المراد قتل قوم
قاتلوا الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم
لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي يثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب

على الطاعات

على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي
والمراد امته او تنبيه على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في
المعنى للمخاطب وانما جعل التقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا
تظن ايها الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكا
سبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء
ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما ترى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل الفصر مدته وفي جنب
ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في جنب الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لا
نفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر
الضبي وكنا اذا الجبار الجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على
الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها
نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه
من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول

فان شرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدايد
الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتحبيسه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما
عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا
لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبرء عما سواه لكي تنجحوا غاية الفلاح وانقوا
القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطا
عات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لمترصده
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملائكته حتى
تجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها اي حكم حوا
من ضلع من اضلاعها او يحذف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية توالدهم
منها والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى
بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان تكون اكثر وذكر كثيرا لحملا
على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القا
هرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها او لان المراد
تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وجنسه على ما دلت عليه الآيات

التي بعدها وقرئ وخالق وبارئ على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وبارئ واتقوا
الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله
واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو
ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي متقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وعنه عليه السلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم
اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة
اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتامى ثم قلب فقيل يتامى
او على انه جمع على يتمى كأسرى لانه من باب الآفات فجمع يتمى على يتامى كأسرى واسارى
والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وو
رود في الآية اما للبلغ على الاصل والاتساع لقرب عهدهم حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذ
لك امر ابتلائهم صغارا وليجري الحكم مقيدا وكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب لا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو
اختلاط اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها
مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها مضافا ولا تشوبوا بينهما وهذا اعلال وذا لاحراز وهو فيما
زاد على قدر الحق لقوله تعالى فلما اكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما

وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال فيتزوجها طمعا في مالها
يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه
لان التحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى
تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من كثرة النساء واضاعتهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء
لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اي وان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة
هي اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفة
وان كانت اصولها للتعريف لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ابلج بالجمع ان ينكح ما شاء من العدد
المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البندق درهمين وثلاثة ثلاثة ولو
افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بالواو لذهب تجويز
الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل يحذوف وخبر تقديره فيكفيكم
واحدة او المقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من الاماء
رخصة لهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا
جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر الا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة

ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا اكثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان
التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة الى تزوج
الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وبسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة وبفتحتها على التوحيد وهو يقبل صدقة كقبلة
في قبلة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظرا الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ وضعها على المصدر
لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو والصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او
مفعوله وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل
دبابة من قولهم نحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا
من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور نسائهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا تمييز للضمير المنصوب حملا على المعنى وتجري مجرى اسم الاشارة
كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اورد ثم كان ذاك وقيل للاباء ونفسا تمييز
الجنس وذلك وحده والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل
العمدة طيب نفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعضا لهن
على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا لا تبعة فيه والهنيء والمريء صفتان
من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر
او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي انه
ما شاء بما تمنون ان يقتل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها في حيزهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهي لكل احد عن تمكين السفيه من ماله لانه قد يعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما
هم سفهاء استخفافا بعقلهم واستجهالا لجاهلهم قوتا على انفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول فلك ان تقول انها التي من جنس

ما جعل الله لكم قياما يقوم به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ
وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم
بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
يطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما
لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي
الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكلوا اليه مقدمات العقود وعند ابي حنيفة بان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او
يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة
سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ
النكاح كناية عن البلوغ لانه يصح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم
وقرئ احسستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير اخير عن حد البلوغ ونظم
الآية ان الشرطية جواب اذا للتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة
اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة مضبوطة في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها
ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان تكبروا
مسرفين مبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف
من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعران الولي المحتاج في مال الصبي وعن النبي عليه السلام ان رجلا قال له
ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراده
التقييد بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان فطالبوهم يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه

الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخافوا ظلما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد به المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل من ما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر
مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث
بنات من اعمامه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية
فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما الا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي لابن العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى من لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم
تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او لما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو
ان يعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الاوصياء بان يخشوا الله
او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يقتر بهم
بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم يقولون لخلفهم ضعافا مثلهم فليحبوا لهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حين جعل صلة الذين على

وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفي ترغيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وحث على الرحم ان
يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للحالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بما هو اعانة للمبتلى والمنتهى اذ لا ينفع
الاولاد دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب والمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او حاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه
الظلم انما يأكلون في بطونهم ملأ بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة
انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم
وقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا اي نارا وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم
الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلي النار فاصلي حرها وصليته شويته واصليته
وصليته ادخلته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اججتها يوصيكم الله يأمركم
ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي نصيب
كل ذكر اثنين حيث اجتمع الصنفان فضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لا
قاله القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلا يجري من بالكلية وقد
اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف العلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا
ليس معهن ذكر فانث الضمير اعتبارا لخبر او على ان المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت
واحدة اي وان كانت المولودة واحدة وقرئ بالرفع على كان التامة واختلف في الشأن
فقال ابن عباس حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال لنا فوق حكمها
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان

فلها النصف
وقرأ نافع

اقتضى

اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يراد النصيب بزيادة العدد رد
ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امتن حقا من الاختين وقد
فرض لهما الثلثان بقوله ولهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما
السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس للتفصيل
بعد الاجمال تأكيدا مما ترك ان كان له للميت ولد ذكروا وانثى غير ان الاب يأخذ السدس
مع الانثى الفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانها فرض الوارث ابوا فقط
وفيه نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك الا ثلثا وعلى هذا ينبغي ان
يكون لها حيث معها احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث
الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يرد
بها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم يحجبون
السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير
التثليث سواء كان من الاخوة والاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلثة ولا الاخوات الخالص لخذا الظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه الثلث
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين اولا
قدما والواو للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها
مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على التراخي
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن بر بكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم

فتحرّوا فيهم ما وصّيكم الله به ولا تعتدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد
المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته
او من مورثيكم منهم امرين او مرضي فرضه منكم للثواب بامضاء وصيته انه من لم يوص
فوقر عليكم ماله فهو اعم من مؤكد لامر القسمة وتنفيذا الوصية فريضة من الله
مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما
بالمصالح والترتيب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل نصف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
فيما يأتي لكل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا الاولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد
والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا
ولد وقرئ على البناء للفاعل فالرجل الميت والكلالة يحتملان المعاني الثلثة وعلى الاول
خبر وحال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ازري بها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست
بعصبة لانها كالة بالاضافة اليها او وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة
كقولك فلان من قرابتي وامرأة عطف على رجل له اي والرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة
لكلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد
بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين ولا
خوف الكل وهؤلاء بنو الاولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لكلا

دها

دها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
يستوي فيه الذكر والانثى في القسمة لان الاولاد محض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن تختص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى
بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصي المذكور في صدر الفرائض
والدلول عليه بقوله يوصي بها على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عباش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد ومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة وصية
منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله شرايعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز تجاوزها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله
وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا
والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قد فهن اربعة من الرجال
المؤمنين يشهدون عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالجلد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية
بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر
الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد الخالص عن الحبس

او النكاح المغني عن السفاح والذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ
ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين
فآذوهما بالتوبيخ والتعريض وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما
فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاعتراض والشتم ان الله كان توابا رحيما علة
الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة
الزانية الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطيين والزانية
والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي انما قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده
من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها
فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع
من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر
وسماه قريبا لان امل الحي قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يضرب في
قلوبهم حبة فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في آخر
من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين بالسوء
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما
التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التا
ئب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد
بها في تلك الحالة وكانه قال لو توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد
بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين والذين يعملون السيئات المنافقين لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم والذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد
لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب متحتم لا يجوز عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة

من العتاد

من العتاد وهو العدة وقيل اصله أعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القوا ثوبه على امرأته
وقالوا انا احق بها ثم ان شاء تزوجها اصدقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
ولها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم
ان تأخذوهن على سبيل الارث فترثوهن كارها بالضم والكسر وهما لغتان وقيل الضم المشقة وبا
لفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت
الشاة بولدها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة
ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب
الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم
التعفف والاستثناء من اعم العام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للا
فتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا الا ان يأتين بفاحشة
وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والبا
قون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه
ولتكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقا
مه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج يعني تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا من القنطار اتأخذونه بهتانا وإثما استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين
وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب

بهتانهم وافترائهم المآثم وقيل كان الرجل منهم اذا اراد حديثة بهت الزوجة
بفاحشة حتى يحملها الى الافتداء بما اعطاها ليصرفها الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك
والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر
ههنا بالكذب الظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض كناية عن الاستمتاع
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اخذ الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم
وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة المنهي عنه
المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم النهي
وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ لما
لغة في التحريم والتعميم كقوله ولا غيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه
وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لانه مقرر
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي انه كان نكاحهن كان فاحشة عند الله تمقت فيه
لانه من الامم ممقوتا عند ذوي المروآت ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت
عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدنك او ولدت
من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها
من ولد ذكر اصله والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك فرشا او بعلا وبنات

الاخ

الاخ والاخت تتناول القريبة والبعيدة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة ثبت انه الرضاعة منزلة النسب حتى حرمت المرضعة انثى والمراضعة اختا
وامها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل الذي ذر عليه اللبن قال عليه
السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناه اخت الرجل وام اخيه من الرضاع
من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب
ثم الرضاعة لان لها تعلقا بكلمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان محرميهن عارض
لمنفعة الازواج والربائب جمع ربيبة والربيب وللمرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يربه
ولده وغالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بدلها
صيغة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا تجوز تعليقها بالامهات ايضا
لان من اذا علقتها بالربائب كانت شرطية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب
ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحتمل معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا
اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فخورا فاني لست منك ولست مني على
معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلوات الله عليه فرق
بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها والاجماع
لفاه يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تعليق
التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف فالاولى
قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في
حجوركم وبصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تحرموها تحريمهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والا
مهات والربائب تتناول الاقربة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر
وهو كناية عن الجماع ويؤيده ما ليس بزنا كالوطء بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة
لمس المنكوحة ونحوه كالتقبيل فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار

دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احتراز عن الحلف لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الر
فع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة
كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما
آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله وما ملكت ايمانكم فرجع على التحريم وعلى التحليل
وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع
الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما
سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذات الازواج
احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد
لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من الاتي سبين وهن
ازواج كفار حلالا للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا يوم اوطاس
وهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فا
ستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلالا لمن يبني
بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق
الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع او هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل
واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة
وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة
وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل
لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالتزوج في مهورهن او تملكهن في حال
كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا
اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال فاحتج به الحنفية

على ان

على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس
عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء فانه العرض منه
فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن
من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الا
ستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفر
وضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على
المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه
السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي به اذا الغرض
منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما يعطي وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله عليما
بالمصالح حكيما فيما يشرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات ومن مع النصب بطولا او بفعل مقدر
صفة لمن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يتأتى به نكاح
المحصنات يعني الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات
وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداقا وحرة ومنع
نكاح الامة الكتابية مطلقا وقال ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن
على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله
المحصنات المؤمنات من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار واولادهم والحذر في نكاح الامة رق الولد
وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الا
يمان فانه العالم بالسرائر وتفاضل ما بينكم في الايمان فربما امة تفضل الحرة فيه ومن
حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم

عن الاستنكاف منه ويغتاب بعضكم من بعض اتم وارقاكم متناسبون فلنسبكم من
آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اولياءهن واعتبار اذنهم مطلقا لا
استحبابا لما على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يجوز به الحنفية وآتوهن اجورهن
اي اذوا الى اهلهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف
للعلم فان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقد سماه الله مهرا للامة
ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير
مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر واذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر
وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا
فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من الجلد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين وهو يدل على ان العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك
اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من نوائب الدهر بالفحش الفساد وقيل
المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الامة
متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم
يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام قرا
خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى
الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد لابيه ويهديكم سنن الذين من قبلكم
مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يعصمكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بما حكم في دينها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الامارة والمتعاطي لما سوغه الشرع منها
دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الامهات
خوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات

واستحلال

واستحلال المحرمات خطئا بالاضافة الى مثل من اقترف خطيئة على عمد وغير مستحل لها
يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم
في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها
الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا
والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن كون تجارة عن تراض منكم
غير منهي عنه او قصد وكون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول الغير لانها اغلب وارفق
بالناس والمروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف
المال فيما لا يرضاه الله والتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على
كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم
بالبخع كما يفعله جهلة الهنود او القاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن
العاص قال له في التيمم تخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي
الى قتلها او باقتراف ما يستحق به القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان
من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو
شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما يستكمل النفوس ويستوفي فضائلها
وافقة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امرها ونهاها لما فرط
رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما اذ امركم بما امر به اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم
عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل وما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز
عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى بفتح النون

من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث
انه سبب الصلى وكان ذلك على التعبير لا غير فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير كما اراد الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ومحاها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب انها الكبيرة كل ذنب رتب
الشرع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل
اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغائر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وملحقها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس
وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر
ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من
خطراته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد
من الثواب او دخولا ذا كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو اسم يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمتمنى للمتمنى كونه
ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه يتشهى لحصول الشيء
له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له كسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب صناع وعمال للرجال نصيب مما اكتسبوا للنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي للرجال والنساء فضل وضيب بسبب ما كتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل
المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم
على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله
اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو

الحسد

الحسد لا التمني واسألوا الله من فضله مما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله نغزو
الرجال ولا نغزو وانا لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا ورثة يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا ورثة مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى
الوراثة وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الام
لان ان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلنا هم موالي حظ مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجح محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ
وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي المتوارثين بالحلف يورث السدس من مال الحليف
فنسخ بقوله واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا ورث والا فلا ولا يدل على ان العقد عقد النكاح وهو
مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مبينة عن الجملة المتقدمة مؤكدة
لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت عهودهم ايمانكم فحذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على
كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلى ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والاذان
والخطبة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في
الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في كاحقهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لتقتص

موالي

اليهم

منه فنزلت فقال لا اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لواجب الغيب اي يحفظن
في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث
عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة
والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها
لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي يحفظ حق الله وطاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن وانهروهن في المضاجع في المراقد فلا
تضاجعوهن تحت الحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبا
يت اي لا تبيتوهن واضربوهن بعد ضربا غير مبرح كالسائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي
ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه قادر عليكم متمكن منكم على من تحت ايديكم وانه
على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم وانه تعالى
وكبير ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين الزوج وزوجه اضيف اليهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتتبين الامر واصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله ومن اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وفي هذا وجه الاستحباب فلو نصبا من الا
جانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم ولا

ان

ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبين الامر ولا يلبثان الجمع والتفريق الا باذن
الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصد الاصلاح اوقع الله بحسن
سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل للاهما الحكمين اي ان قصد الاصلاح يوفق
الله بينهما التفرق كلتيهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اراد الاصلاح و
زوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اضمر نية
فيما اجراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف
يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا
من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
حق القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال نسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب
البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلث حقوق حق
الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعليم
وتصرف وصناعة وسفر فانه يجتلب وجهك ويحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل
المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون وامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه
اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما يجب عليهم وامرون الناس
بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهما لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان
كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما ان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة

وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار

من اليهود كانوا يقولون للانصار تشحا لا تنفقوا اموالكم كيلا يفشى عليكم الفقر وقيل في
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رياء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي
هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستحقاب الذم
او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر لتخرجا بالانفاق مرائيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه
لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم واي تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف
اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص
ههنا والتعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من
الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى ان ما هو اصغر قدرا عظم جزاء وان
تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على ان كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء اجزلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر من بدء عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود

وغيرهم

وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم ليشهد على شاهد عقائدهم وقبح اعمالهم
والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء العالمين على عقائدهم واستجماع
شرعك بجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم تبيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين
الكفر وعصيان الامر والكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا لا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين او روي
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم
فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من تعاطي الخمر او خمر حتى تفيقوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وحان وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي
بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس
المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر
من السكر وهو الشدة وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى
وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله
وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه مجرى مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله

بعقائدهم

الارض

قوله تشبيها بحروف العلة ولعل وجه الشبه في الخروج عن الهواء الخفيف

ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر
وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم وانما خص ذلك بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وقال ابو حنيفة
رحمه الله لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف
معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه
او على سفر لا تجدون فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او مسستم بشرتكم
بشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل اوجامعتموهن
وقرأ حمزة والكسائي ههنا لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء يريد فلم تمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا
التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه
ما يحدث بالذات وما بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لا
مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قال ابو حنيفة لو ضرب المتيمم يده على
حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد وان تعلق باليد من التراب لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ
لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض والبداهة العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى

المرافق

المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر
الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي الى لتضمن معنى
الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون
الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم من حصوله لهم بالاكراه يحمد
عليه السلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق والله اعلم بأعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم
وكفى بالله وليا لامركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتقوا عليه والكفاية
عن غيره والباء مزيدة فاعل كفى ليؤكد الاتصال الاسناد اي بالاتصال الاضافي من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منه او خبر محذوف صفته يحرفون
الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونه عما
انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصم او موت او اسمع غير
مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لانك
اذا لم تسمع عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا
سبه وانما قالوه نفاقا وراعينا انظرنا كلمة كانوا يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعينا الذي يقال بها لراعينا من الرعونة
موضع لا اسمعت مكروها او قلة ادب وشتما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب
والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهانة وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع
وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل فانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن
لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا

قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة
العدم كقوله قليل الشكر لهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا وسيسنون يا ايها
الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو خطوط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى
القلب فان الصورة والخلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغيرها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاستماع
الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ونخزيهم
بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود
والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء او عطف
على الطمس بالمعنى الاول لان حاصل المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد
على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب وكان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم
وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع ما توعد او ساسكم به وقضاؤه مفعولا
نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدكم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
يشاء الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا يتجاوز عنه اثره فلا يستحق العفو بحال غير
ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد با
لحافظة اولى من عمومه وتقييد لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب
قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا
ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

اركبه ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى القائم بينه وبين سائر الذنوب والافتراء
كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفرنا عنا
بالليل وما عملنا بالليل كفرنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وادعى عليها بل الله يزكي
من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه
الانسان من خبث وقبح وقدرتهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية
نفي ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا
ادنى ظلم واحقره وهو الخيط الذي في شق النواة ويضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياؤه عنده وكفى به بزعمهم هذا او
بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند
الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود
خرجوا الى مكة بعد وقعة بدر يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب
الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجد لنا لكفتا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الا
صل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا
لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وازكى طريقا
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من
الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الاحراق في بيان بخلهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا

متفاوتين وجوزوا ان يكون المعنى اخاراهم او نواصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون
الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا يشترك معه جاز فيه الالغاء والاعمال قال
قرى فاذا لا يؤتوا الناس نقيرا ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه او
العرب والناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كلهم ورحمهم
وتجهم وانكر عليهم الحسد كاذهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما اتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي المعهود
منهم فقد اتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة
واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من امن به
محمدا وبما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا
يوهن كفر قومك امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مستعرة يعذبون بها اي لمن فعلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعدهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كما بيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك
الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق بعود
احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل خلق كما
جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالغرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فيئا لا حر فيه وذا ما لا
ينسخه الشمس وهو اشارة الى النعم الثابتة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيده كقولهم حمس نابس وليل ليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب عم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار

لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه
فلوى علي يده واخذه منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة وامره العباس برده اليه فامر عليا
ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحي باقرار السدانة في اولاده ابدا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة
بيعظكم او مرفوعة موصولة والمخصوص بالمدح محذوف وهو ما مور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم
بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل على الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للعلماء
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف الامراء الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه
انما يكون بالقياس والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة
الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة واحسن تاويلا من تاويلكم بالارادة
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون

أن يتحاكموا إلى الطاغوت عن ابن عباس أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فحكم لليهودي
فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى
أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا
أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثره لأجله سمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبيهه بالشيطان أو لأن التحاكم إليه تحاكم
إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان
أن يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع لقوله أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول وقرئ تعالوا
بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا هو مصدر وأسم للصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السدود
أنه غير محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا
بحكمك ثم جاءوك حين يصابون للاعتذار عطف على أصابتهم وقيل يصدون وما
بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا التوسل
بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين
خصمه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكا
ذب من العقاب فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذ
رتهم وعظهم بليغ وكفهم عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم أي في معنى أنفسهم
أو خاليا بهم فإن النصح في السر أنجح يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن ذنوبهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الأنبياء

ولا لبيغا

وتعليق

وتعليق الظرف بليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة
لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما
أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذعانه في طاعته وأمر المبعوث إليهم
بأن يطيعوه وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقرير أن إرسال الرسل لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم
يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو أنهم إذ
ظلموا أنفسهم بالنفاق والتحاكم إلى الطاغوت جاءوك تائبين من ذلك وهو جواب
إذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص واستغفر لهم الرسول
واعتذروا إليك حتى استجبت لهم شفيعا وإنما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها
على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وأن عظم جرمه ويشفع له ومن
منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموا قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا
من الضمير فيه فلا وربك أي فورب لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا
يؤمنون لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجل أن
الشاك في ضيق من أمره ويسلموا تسليما وينقادوا لذلك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد أو اقتلوها كما قتل
بنو إسرائيل وأن مفسرة أو مصدرية لأن كتبنا بمعنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم
حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب إن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك
أو اخرجوا بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة
بكسرها على الأصل والباقون بضمها إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
إلا قليل منهم الآتي قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا

حق التسليم بنية على تصور اكبرهم وظهر اسلامهم والضمير المكتوب ودل عليه كتبنا
او لاحد مضمر دل الفعل وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لاستفادتهم لتحصيل العلم وتوالي الشك او تثبيتا
لثوابهم والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج ماء من الحرة كانا يسقيان بها
النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال
عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم
بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لانه جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلهم بسلوكه جناب القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مرية
ترغيب في الطاعة بالوعد عليها بمرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين بحال منه او خبر الضمير فيه فهم اربعة اقسام احب
منازلهم في العلم والعمل وحسن كافة على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل الجامعون حظ الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
بالرياضات الى اوج العرفان
بمراقي النظر والحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية
حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على
الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وذلك ان نقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكون كبرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او لا فيكون كبرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم

بالبراهين

بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان
يكون اما راب واقنا على نظمين اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد
والجمع كالصديق ولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه اتاه يوما وقد تغير وجهه وتحلل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
وجع غير اني اذا لم اراك لاذ عرفت انك ترفع مع النبيين وان دخلت الجنة كنت في
منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومرتبتهم الفضل صفة من الله خبره او الفضل خبر من الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة وكفى بالله عليما تمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر الحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر
به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة
من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف
من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن
يقتضي اطلاقها وعموم المنادى الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل القوا
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئ من ثقلوهم ثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء بطئا
وهو لازم او تبطئوا غيرهم كانبط ابن اتى ناسا يوم احد من بطاء منقولا كالثقل من ثقل الام
الاولى للابتداء وخلت اسم ان للفصل الخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم
جوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن الكاف تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من لم يكن منكم

وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما التنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه
وانما يريد ان يكون معكم بحرا لمال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم
وبين محمد مودة حيث لم يستصحبكم فتفوزوا وانما قال يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف لانه فصل بما ليس من الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان
مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم
ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف وقيل
بالاطلاق للتنبيه على الانتباه فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا
افوز في ذلك او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بقاء هؤلاء عن القتال فليقاتل الخالصون الباذلون
انفسهم في طلب الاخرة الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المقتولون
والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يجتهد في المعركة حتى يعرض نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وتعذيبهم
على العدوان او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم من الهجرة مستدلين مستحقين وانما ذكر الولدان

مبالغة

مبالغة في الحرب وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع ولد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فا
استجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خيرا ولي
وناصرا ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليها عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكيرها المسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل
يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون
بعد الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت لما ذكر مقصد الفريقين امر
اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم بخسهم قوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان
كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يعبأ به فلا تخافوا اولياءه فا
ن اعتمادهم على ضعف حتى واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان ينزل عليهم بأسا فاذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون
خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر والحال من فاعل
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه
ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لانه فعل التفضيل اذا اضيف ما بعده لم يكن من
جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اقول الاولى ان يحمل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشيته وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت وتعجلا

واستدفاع البلية؟

اعزه

فيما يبلغ بهم الى الشيطان

تقاتلوا اولياء الشيطان؟

لا يؤبه؟

مالغة

انفسهم ما تقولوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التفني
والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون اذنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا
يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ وانما تعمل لا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون
مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرج المرأة اذا ظهرت وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك كانتم الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المرادتان في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب شبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود لما دخل محمد المدينة تغيرت
آثارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله بسط وتقبض حسب ارادته فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا تاكيدا لا افهام لهم او حادثا من حدوث الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكاد في نعمة الوجود فكيف
يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل احدا الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانها السبب فيها لاخلالها
بها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قال عائشة ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
بيان كاترى لا حجة فيها للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال مؤكدة لما قبلها
على الجار والفعل والتعميم لان عليها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة

للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا حيار جاسا من في رؤوس كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ
والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارب الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان يتخذنا ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى فرطا عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ
عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف
ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او امنا طاعة واصلها النصب على المصدر
ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي
تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او بما قالت لك من القبول وكان الطاعة والتبييت
اتيان البيوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت لبيتها لانه يسوى ويدبر
وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته في صحائفهم للمجازاة او يحفظه ما يوحي اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم
قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها ستبا في شانهم وكفى
بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون
في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند
غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته
وبعضها تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل
لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل
ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف متابوجب الامن او
الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة

اذاعوا به لعدم جريهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء سببية او للتضمين الاذاعة
معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر الى رايه
ورايه كبار الصحابة البصراء بالامور والامراء لعلمه لعلمه على حقيقته يدركه الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بجاريهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف
المنافقين فيذيعونها فيعودوا الامر على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك الامر هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول والى الامراء يستخرجون علمه من جهتهم فاصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول
وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل
الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد
بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله
ان تنبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه
عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج ومامعه
الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا
تكلفنك الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على
القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا
وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة رامي
بها حق مسلم او دفع بها عنه ضرا وجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم
قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والنصيب الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها ومآبها

في القدرة وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات الشيء اذا اقتدر قال ذو رمح
كفيت الصغير وكنت على ما ناله مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه
يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
وذلك على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قال
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله ولا الآية فقال انك لم
تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب الثلاثة من
الصلاة وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم بعض التحية
وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في
الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل للكلام فغلب
في السلام وقيل المراد بالتحية العطية اوجب الجواب او الرد على المنتهب وهو قوله قدم
هنا فتى ان الله كان على كل شيء حسيبا محاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر
او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم
القيامة او مفسين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع
فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه
فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين
فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك
ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو ولاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
راحلين من منزلة منزلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت

اشارة

نفي الشر عنه

ورحمته

السلام

في المنافقين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا مختلبين باجتواء المدينة والاشتياق
الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها
ما كقولك مالك قائما او في المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي
فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي باشمام
الصاد الزاي والله اركسهم بكسبوا ردهم الله الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا كفرهم
فتكونون سواء فتكونون معهم في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا تتولوهم حتى يؤمنوا او يحققوا ايمانهم
بهجرة في سبيل الله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان
المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اي جانبوهم لا شاقا لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم الا الذين يتصلون وينتمون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام
وادع حين توجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن جاء
اليه قومه من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة
اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم
من تردد المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان يصلون او
استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم

سواء

اي من

اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وشجعهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم فان لم يقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا
الى الكفر او الى قتال المسلمين ارکسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم
يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي
التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم
في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ
فانه على تعرضه ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا لخطأ
او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان
نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يتعمده
القصد الى الفعل او الشخص وما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي
مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد
وخطأ كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام
لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكريم في الاحرار والرقبة
عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوما باسلامها وان كانت صغيرة ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته تقسم بينهم كسائر المواريث كقول الضحاك بن سفيان

يصاحبه؟

البلاد كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرفان اورثت امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها وبني على العاقلة فان لم تكن فوماله ان اجتمعوا تعاقدوا عليه بالدية
حتى العفو عنها صدقة حقا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل
معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله
الا ان يصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن
المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة
دون الدية لاهله اذ لا ورثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة
معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله انما اذا كان
المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على
المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي تاب الله
عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله مفعولها وكان الله
عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما
ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار
ولم يعلم قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم
فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الادلة متظاهرة على ان
عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم
وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا

فان لم تكن فعليه الدية

وغضب عليه

وشاهدوا

في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لمن حياكم بتحية
الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام
اضافة اي انما فعلت ذلك متعوذا او قرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون
عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا
مشعرا بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن مال من
قتلتم له ماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تعوذتم بكلمتي الشهادة فحقنتم
بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار
الايمان والاستقامة في الدين فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا
تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله
من قتل امرء مسلم وتكرير الامر بالتبين تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من علمهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به والغرض منه فلا تهملوا فتوقعوا القتل وتخاطروا فيه
روي ان سرية لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس بن نهيك باسلامه فلما رأى
الخيل الجياد غنمه الى ما قول من الجبل وصعد فلما لاحقوه وكبروا كبر ونزل فقالوا له الا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد
مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال وقد قرب اهله وماله وفيه دليل
على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الجهاد
من المؤمنين في موضع الحال من القاعدون او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة
للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر بالنصب على الحال
او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت
ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تحريض

السلام

الكفار

والكافر

ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة جملة مؤكدة
لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التفسير السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أي بدرجة
أو على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوي درجة
من القاعدين والمجاهدين وكلا وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقباهم
وخلوص نيتهم وأما زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
أجرا عظيما نصب على المصدر لأن فضل بمعنى أجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الإعطاء
كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل
واحد منها بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطا وأجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر بإضمار فعلهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه إجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الأول إشارة إلى ما خولهم في
الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل الدرجة الأولى
ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الأولى
هم الأصحاء والقاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل
المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه
السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم
رحيما بما وعدهم إن الذين توفاهم الملائكة بحمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفى
فاهم على مضارع وقيت بمعنى أن الله يتوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يكونهم من استيفائها
فيتوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فإنها
نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا أي الملائكة توبيخا
لهم فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الأرض اعتذروا
بما وقعوا فيه بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن إظهار الدين وإعلاء كلمته قالوا أي الملائكة
تكذيبا لهم وتبكيتا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها إلى قطر آخر كما فعل

التفاوت

المهاجرون

المهاجرون إلى المدينة والحبشة فأولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر إن والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد
أو الخبر قالوا والقائلون محذوف أي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستتبعة منه وبئس
مصيرا مصيرهم أو جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة
دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت
له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليه السلام إلا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة
إليه وذكر الولدان إن أريد بالمماليك فظاهر وإن أريد به الصبيان فللتغليب في الأثر
والاشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا يعذرون منها
وإن قدروا يجب عليهم أن يهاجروا إليهم متى أمكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه وحال عنه أو عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان أسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل
فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ذكر كلمة الإطماع ولفظ العفو إيذانا بأن ترك الهجرة
خطير حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويتعلق بهما قلبه وكان الله عفوا
غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسببه أي يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من الرغام وسعة
في الرزق وإظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت
وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه وبالنصب على إضمار أن كقوله وألحق
بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى ثبت أجره عند الله ثبوت الأجر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة جمد بنو
كنانة به وهو شيخ إلى المدينة فقال لبنيه احملوني فإني لا أهتدي الليلة فصفق يمينه على شماله فقال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات وإذا ضربتم في الأ
رض سافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها أو

يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع
رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت وانت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة
واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف ركعتين
الآية فان صحا فالاول يدل بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم ايفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر بالهم ان ركعتي السفر
قصر ونقصان فسق الاتيان بهما اصرا على انفسهم ونفي الجناح فيه لتطييب بها انفسهم واذا
سافرتم فيه اربعة برد فقد نا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد ظاهرت السنن على جواز ايضا في
حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو الفتنة والشر
بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده
وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حرزا وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى ليدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب
المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاستغناء الحراسة فليصلوا معك
ظاهر هذه الآية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام يوم ذات الرقاع
وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي الاولى ركعة
وينتظر قائما حتى يتم صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة

ركعتين

ان الكافرين

الثانية

الثانية ثم ينتظرهم قائما حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هؤلاء ويقف بازاء العدو وتأتي
الاخرى فيصلي معه ركعة ويتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتي فتؤدي الركعة الثانية
بغير قراءة ويتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم حال الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع
بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوأوا الدار والايمان ودوا الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان تنالوا منكم
غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان لما يحبه امروا باخذ السلاح ولا
جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة
لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذهاب اخذ الحذر كيلا يهجم عليهم
العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم تقوية قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحتاطوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير ويتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الا
حوال واذا اردتم اداء الصلوة واشتغلتم بصلوتها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقا
تلين وقعودا مراميين وعلى جنوبكم متخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من
الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واسقطوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها
في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فا
نهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتفريع على التواني
فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار

الاولى

الذين واستحقاق الثواب مما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر
عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة
النهي من الوهن لا علة الامر بالابتغاء والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بما عمالكم ومصالحكم حكيما فيما
امر ونهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جار قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما
اخذها وما له به علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقنا يا رسول الله فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل
بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم ولا مفعول
ثانية مفعول لا تكن للخائنين لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود اليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما لها
والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وحاولوا
عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان
طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستخفيه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان
الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم
في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعل موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذابه

الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بالمختص به ولا يتعداه وقيل
المراد السوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
لذنوبه رحيما متفضلا لا عليه وفيه حث للطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وآله لقوله وان اساتم فلها وكان الله
عليما بكل شيء فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد
فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووجد الضمير لكان
او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتسريه النفس الخاطئة ولذلك
سوى بينهما وان كان مقترفا احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلامه ما همت عليه بالوحي لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بالحال في الحالة حوالة لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء
فان الله عصمك وما انزل عليك كان اعتراضا مسلا على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء
في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور واسرار الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من مناجاتهم كقوله واذ هم
نجوى ومن تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا
نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع
وسائر القربات واصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بني الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل
ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وسيلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة
الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا

ووصف الاجر العظيم تنبيها على حقارة ما فات وتجنبه من اغراض الدنيا وقرأ حمزة
وابو عمرو يوتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين مخالفة من الشق فان كلا من المخالفين في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ونتبع غير سبيل
المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله والياه ما تولى من الضلال
او نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وصال
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على
المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او لحرمة الجمع
بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع
سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد
استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما
توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة
وابعدها عن الثواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان كل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكران تيمن فانثى سميدع او لانها كانت جمادات والجماد
مؤنث من حيث انها صامتة الا انه لا تعقلها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على
انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل

يكون دليلا على تاهيلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم بنات الله وهي
جمع انثى كرباب ورئق وقرئ انثى على التوحيد واثنا على ارجع انيث كحبيب وحبيب وقرئ
بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثناء بهما على قلب الواو لضمتها
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي اغرى
بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق
بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته
للناس وقدرته من سبحانه اولا على ان الشر والضلال في الغالب على سبيل التعليل وما يصير
كون به يفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله
ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل على انه عبادة الشيطان وهو اقطع الضلال
لثلاثة اوجه الاول انه يريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته
سوى الضلال والنعس والثالث انه في غاية العداوة والشقاق في اهلاكهم وموالاة من
شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول البقاء وان لا بعث
ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهو عادة عبدة الاصنام
العرب تفعل ذلك بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل وتنقص كل ما حلل كالفعل
او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله من نحته صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من تغيير
عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر
وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها
من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نظما اقاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا

من دون الله بايمان مايدعون اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى
طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبذل مكانه من الجنة بمكان من
النار يدعوهم مالا ينفع ويضرهم مالا ينال الوثن وما يدعوهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما
فيه الضرر وهذا الوعد اما للخواطر الفاسدة او لشيطان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا مخلصا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه
اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده
وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد
والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى وعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرآنه بوعد
الله الصادق واوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا
امانى اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب بتابعا لامانيكم ايها المسلمون ولا امانى اهل
الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين وبذا علم انه تم
ذكرهم اي ليس الامر بامانيكم المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما
يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر فمن يجو مع هذا
يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك الاذى قال بلى يا رسول
الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا كما يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله

وضرته

وضرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشانها
فانه كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات الكائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط القول
العمل بها فاستحقاق الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد
عقاب العاصي كان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب
قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه قول
بذل وجهه له في السجود وهذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية
وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تنبيها له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه وتخلل النفس وصفا
لطفها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخلة وهو الطريق في الرمل فانهما
يتوافقان في الخصال والخلق فاستعير لها تنبيها على جريها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في
الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الخليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للانبياء فوقعت
اصابنا ما اصاب الناس فاختار علما انه تعالى ابليسة فملؤا منها العرابيا من الناس فلما
اخبروا ساءه الخبر فعلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت لحوارى واختبزت
فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال
ليس عند خليلي الله عز وجل فاستاء الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يحتاج
من سيئاته وما بينهما وقيل هو متصل بذكر الخلة مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والا
رض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان

عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن او سبب
نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كانوا يورثون من يشهد القتال ويحوزون الغنيمة فقال عليه السلام
كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى
عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل
فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد
ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اعنا في زيد وعطاؤه او استيناف معترض
لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ او
ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم ويخفض على القسم كانه قيل واقسم بما
يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا
فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما
تقول كلمتك اليوم في زيد وهن من الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
يتامى على انه ايامى فقلبت همزته يا اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى
كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن
والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة
في نكاحها جواز العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
والعرب ما كانوا يورثونهم كالا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى ايضا عطف عليه
اي ويفتيكم وما يتلى فان تقوموا هذا اذا جعل في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا
فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي
وامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام
بالقسطة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان

امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من الخلائل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر
نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل
تسنيها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يصطلحا بان يحط بعض المهر
او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر
كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل
بيان انه من الخير كما ان الخصومة من الشر وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس
الشح ولذلك اعتبر عدم تجانسهما والاول الترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر
في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة
تسمح الا عن اعراض عنها والتقصير في حقها والرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي
اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وتفضلوا
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم
عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان
العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا
املك ولو حرصتم على تحري ذلك والغم فيه فلا تميلوا كل الميل ترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما
جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن و
تتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا
وقرئ وان يتفارقا اي وان تفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر

بيد الا وسلوى من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا
في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا وما في الاية لتاكيد الامر
بالاخلاص وايا كم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في الملك كله لا يضره
بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته لم
تزد ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثانيا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع
المخلوقات بدل لحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص
والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغني الله كلا من سعته فا
نه تعالى توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب وياتِ باخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم وخلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف
امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
مجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فالله يطلب اجرهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنب كلا شيء او فعند الله
ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية

وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين
آمنوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين شهداء لله بالحق تقيمون شهادتكم
لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة عليهما او لهما لصلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق
او حكومة العدل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلووا بسكون
اللام وبعدها واو ان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرا حمزة وابن عامر وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل
الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه او آمنوا به
بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما بجميع الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا
ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني للجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليه او
قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله

كونوا

وقرا الكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي

ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ استبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الا
يمان فان قلوبهم قد تمرنت بالكفر وجنايتهم عيت عن الحق الا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام
مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية
في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار
على النفاق وافتتاحهم الامر على المؤمنين ومنع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب والرفع على الذم بمعنى
اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة
لله جميعا لا يتعزز الامر عنه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني
في القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي الخفيفة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما للتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء
الشرط بما اذا كان من مجالسيه هازئا متعاندا غير مجتو ويؤيده الغاية وهذا يذكار ما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفران بضم بذلك وان الذين يقا
عدون الخائضين في القرآن من الاخبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقصود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او الاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثلما انكم تنطقون الذين
يتربصون بكم ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكا
فرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب

فانها

فانها اجمال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فا
بقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ فشذ استحاذ فجاء
على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذنا لهم تخييلا ما شغفت به قلوبهم وتوانينا
في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة
حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به
اصحابنا على فساد سبي الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو
ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا غاية لا يتيلا لا قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم سبق الكلام فيه في سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
مثقلين الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس يحاولهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعل كتعمر وتعام او للمقابلة فان المرائي يرى من يراائيه
عمله وهو يريهم استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يراائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل لاضافته الى الذكر بالقلب وقيل
المراد الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون الله اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل
الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم اي تهم
او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا نارة في
ذبة ونارة في ذبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكا
فرين ولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم
فلا تشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم

لاجهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا
الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واشار قوله عليه السلام ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات
لتداركه متتابعة بعضها فوق بعض وقراء الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالشغر
والشطر والنجد والوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فحال النفاق واعتصموا
بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه تعالى
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استفهام يستشف به غيظا او يدفع ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان
اصراره كسوء مزاج يؤدي الى المرض فاذا ازال الايمان والشكر وفي عنه نفسه تخلص
من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر
حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحقيقة
شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم
بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم
يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة
وبرا او تخفوه او تفعلوا سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفاءه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون

بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فما
لكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لاعترافهم بايمانهم هنا حقا مصدر مؤكد
لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث
انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصدير بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم وعن يعقوب يؤتيهم
على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا
ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا يحررانه
سماويا على الواح كما كانت التوراة وكتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعيانا بانك
رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم
لانهم كانوا يحذون حذوهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك
وان ما قترحوا عليك ليس باقتراح لانهم وحيا لانهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل
في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا آباؤهم والبينات

المعجزات ويجوز حملها على التورية اذ لم يأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور ميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه عرض السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ادغام
اصله لا تعتدوا افادت التاء في التاء واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو
قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فما نقضوا نقضنا بهم ما فعلنا
بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا
عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه صلة وقولهم لفظ
على الجر ولا يعمل في حاتم وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه
بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها مجبولة عن العلم واخذها ومنعها التوفيق للنظر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه
قليلا لا اعتبار به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على كفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف بجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما
قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا لتكرر كفرهم بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره قوله
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استيناسا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان
رهطا من اليهود سبوه واتعه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فاخبر الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل

وقرأ قالون اخفاء حركة العين وشعبة بالاشمام والنص عنه بالاسكان

الى قوله فبظلم اما واعلم قوله بل طبع الله عليها متعلق بقوله ما تعدوا وقوله فبما نقضهم قلوبنا غلف فيكون

فانهم كفروا الخ

ويصلب

ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل
كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل
طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظنوا انه
عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق لا يستبعد في زمان النبوة وانما نفاه
الله بما دل عليه الكلام من جزائهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتجويزهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه
قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل
احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا وان الذين اختلفوا في شان عيسى فانه لما رفعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وترددوا اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع
منه انه الله رفعني الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يرجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذا
اكد بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن النفس جزما كان او
فصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او
متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقولك ما قتلته علما اذا اخبرت عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمك اذا اخبرت من قولهم قتلت الشيء علما وخبرته علما اذا بالغ علمك فيه بل رفعه الله
اليه رد واكذاب لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما
فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية ووقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين يزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ

فلما خرج ظنوا انه عيسى

ان رفع الى السماء

الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كما توحيد ضمير والغرض منه
معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير لعيسى والمعنى
انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال
فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات وتلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبناء ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على ان الالف النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة
نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك وعطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء
اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او
على الابتداء والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه باحد الوجوه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من الشرائع
لانه المقصود بالايمان اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب
لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في
الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا خصهم بالذكر مع

اشتمال

اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقي
من اخرين الانبياء ومشاهيرهم وقرأ حمزة زبورا بالضم جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسر ورسلا قد قصصناهم عليك
من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا
صلوات الله عليه بما اعطاه مثلها اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او حالا ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
برجل صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبعها ونعمل بما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك الجزئيات المصالح والاكثر عن ادراك الكليات ايضا واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبرها للناس او على الله والآخر
حال لا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر ويتقدم لها اوصفة وكان الله عزيزا
لا يغلب فيما يريده حكيما فيما يفعله لكن الله يشهد استدراك لان مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه
بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال
انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على
نظم يعجز عنه كل بليغ او حال من يستحق للنبوة ويتأهل لنزول الكتاب عليه او
بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول
حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة
يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يجعلوا صحة دعوى النبوة
على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان
الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها

حكيما فيما قدر من امر النبوة
وفصل على نحو يتوقع من الوحي
والاعجاز

كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد
عن الاقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا تجاوزوا بانكار نبوته او الناس صدهم عما
فيه صلاحهم وخلاصهم او اعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان
من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا
لكم اى ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما ابتدئ منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط
وجوابه وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا
يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وتتمة على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو
يعم ما اشتملت عليه وما تركبت منه وكان الله عليما باحوالكم حكيما فيما دبر لكم يا اهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى حتى رموه
بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه
فى لفظ ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى
بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحققها فيها
وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى
روحا لانه كان يحيى الموتى والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا آلهة اى لا
الهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تع ءانت قلت للناس اتخذونى وامى

الهين من دون الله او الله ثلثة ادعى انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا يتعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد اى تنزيها من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يجانسه ويماثله
ويفتقر اليه فناه له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك
فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عن مخلفه
او تعيينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا تحينته باسبك
كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف
يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول
قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال سياقه لرد النصارى
فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى
درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية
للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا تحتمل ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله
اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين
هم حملة العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا
يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبا
دته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما
يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا

بجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للجازات العامة المدلول عليها من فحوى
الكلام وكانه قال فيحشرهم اليه جميعا ليوم يجتزى العباد بالجزاء اولجازاتهم فاما الذين
آمنوا بالله وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم بالنعم والحسنى يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان النبي
او رسول الله والقرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة
منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا اضاعة لحق واجب وفضل احسان زائد
عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة
في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في
مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو فيه للحال
العطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لا يجعل اخوها عصبة وابن
الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند قائله تعالى
غير ابن عباس انها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بها جميع ما لها والا فالمراد به الذكر اذ
البنت لا يجب لاخ والآية كالمدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم يدل على عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله يفتيكم في الكلالة
ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث لا الاخوة
وتثنية معمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنهما بالتثنية التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد

ونساؤهم

دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم
ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا اخلافه او
يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم
الكونين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا
واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين تجاوز
عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة واثنان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق فالحلفية قوم اذا عقدوا عقد الجار هم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكتاف واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان يراد الامر على المشترك
بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي
لا يميز وقيل كذوات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هنا المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واما
فيها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت
عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم
وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عنها استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد
من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة

وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا ستي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع
هدية كذكرى وجمع جدية الشرح ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على
الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي من احلالها مبالغة في
النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي
من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من
المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفا
بدم استكثار تعرض من هذا بانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا
بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد اشتاق فخرج المدينة
وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ يبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
اذن في الاصطياد بعد زوال المحرم ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر
الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على التقاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم لا يحملنكم ولا يكسبنكم شنآن
قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر
واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كالكلثان او
بمعنى بغيض قوم ونعلان في النعت كقرئ ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام
الحديبية قرأه ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض غني عن جوابه لا يجرمنكم
ان تعتدوا بالانتقام ثانيا مفعول لجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين كسب ومن قرأه
يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على
البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على

الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فاستقاموا له
حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير التذكية والدم
اي الدم المسفوح كقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى
موقوذة اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل
على ان جوارح الصيد اذا اكلت منه اصطادته لرجل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه
خبر مستقرا من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع تطلق
للطعن والمرئ تخدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى معنى اللام او على
اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصب وان تستقسموا
بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة
اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر
مضوا على ذلك وان خرج الناهي كفوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح
على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كحمل وزلم كضرب ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلالا عقادا ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان
اريد به ذبح الله وحالة وشرك ان اريد به الصنم والميسر المحرم او الى ما تناول مما حرم عليهم
اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الى الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد
يوم نزولها وقد نزلت بمنى عشية يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من
دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه
فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم

بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوفيق على
اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق والاكمال
الدين وبفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا
من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا
او مجاوز حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله
يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
سائغ في امثاله والمسؤول ما حل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر
عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلوا موصولة على تقدير وصيد ما
علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اصحابها
من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين آباء الصيد والكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون الزمه وآثر ولان كل سبع
يسمى كلبا كقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك واستصابه على الحال من علمتم
وفائدة المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التأديب فان العلم به الهام من الله ومكتسب بالعقل الذي هو منحة
منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم يأكل
منه كقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه

والنهي

والنهي ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير واما امسكن
بمعنى شموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما
جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم تنبيه على ان الذبح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رد نصارى بني تغلب
وقالوا ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحقون بهم المجوس في ذلك وان
الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير آكلي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال
ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها
لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسترين به واتخاذ الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرائع الاسلام والكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر
اليها بحيث لا يغفل الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام
اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على
خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه
السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم ابرزوا
الماء عليه ولا حاجة له الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم ومتعلقه محذوف تقديره

وهو ما لم يأكل منه

والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وكذلك بعث على هواه اولى

وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان معلوم
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا
دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها
احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله
نظرة الى ميسرة وقوله عم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تعتبر الغاية ههنا عن ذي الغاية
وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فان الفارق بين
قولك مسحت المنديل والمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الا
لصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو
قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس
لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو ربع من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجر الباقون
على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وجحر ضب خرب
وفي قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه
على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل مثلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه
وبين اخويه اياء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا
فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكرير المسح للاشعار بان الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم ليتطهركم
او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوز كم التطهير
بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد

الله

الله ان يجعل عليكم من حرج حتى يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان
ان لا يقدر بعد المزيدة ولاتم نعمته عليكم ليتم شرعه ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه اتمامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية
مشتملة على تسعة امور كلها مثنى لها ربان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان انتهاء ما نع
وحامد وموجب لحدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم وشكركم
في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة
العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في اتمام نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداء بعلى لتضمنه معنى الحمل
والمعنى لا يحملنكم شنآن بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كقتلهم وقذف وقتل نساء ومصيبة ونقض عهد تشفيا لما في قلوبكم اعدلوا هو
اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه مكان من
التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وذكر
هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذفت في مفعولي وعد استغناء بقولهم مغفرة
فانها تستبان بجنبه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه
قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا
من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد حث

للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا
رسول الله واصحابه بعسفان فاتفقوا على الظهر معا فقالوا صلوا بعد هذه الآية كانوا اكبوا عليهم وهلا
ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى
ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
يستقرضهم لدية قتيلين قتلهما عمرو بن امية الضمري تحسينا بهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلس وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني
فقال الله فاسقط جبرئيل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل
والاهلاك بقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم
عنكم بمنعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فانه الكافي لا سواه الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا
وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاتى ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط
كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم
فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا امرا عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة
لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
وأصله المنع ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير

وقرئ

وقرئ بالتخفيف المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر
بعد ذلك بعد ذلك الشرط الموكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا اشتباه فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة
وشوبة له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تعمل عن الآيات والنذر
وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما بالغة فاسية او بمعنى ردية من قولهم
درهم قسو اذا كان مغشوشا وهو ناقص القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة
قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من فاعل
لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من
التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت بقوم اشياء منها عن حفظهم لها
روي ان ابن مسعود قال قد نسي الرجل بعض العلم بالمعصية ولا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم
ان تابوا واسلموا وعاهدوا ليرموا الجزية وقيل منسوخ بآية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا من قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا ميثاقهم فالسنة قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشيء اذا لصق به

بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وخص الكتاب لانه الجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم
في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بخزيه قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه منهم سبل
السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقرير ان المسيح مقدور مقهور
قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو عبد لا اله ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير اذ لا حاجة
لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما
خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فيخلق من اصل ليس من جنسه كآدم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر واحد كحواء او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه

اتباع

اتباع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاتباع الزبير الحواريون او معتزون عنده
قرب الاولاد من الوالد وقد سبق تحقيق ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم
يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل
ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من
آمن به ومن يشاء ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة سائر
الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء فكيف
خلقا وملكا واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف للظهور انما كقد حذف لتقدم ذكره ويجوز
ان يقدر منصوبا على معنى ويبين لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او حين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير متعلق بمحذوف اي كراهة
تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال متتابعا كما فعل بين
موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون
سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل واحد من العرب خالد بن سنان العنبسي وفي
الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون
اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فاز
شدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
وجعلهم ملكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتيهم وقيل المراد بالعالمين

عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا
لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقولهم بعدما عصوا انها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم
ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا
ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ولا نرتد وانى يكم العصيان
وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين خوابا للدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على
العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبون لا يتأتى لنا
مدافعتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى
المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم اوعيده
انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب
باب قريتهم او باب عسكرهم وما غلبوهم في المضيق وامنعوهم من الاقتحام فاذا دخلتموه فانكم
غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها او لجزمكم
ان يكون علمه بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم وتما علما من عادته تعالى في نصر
رسله وما عهدا من صنيعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأ
كيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا
هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب انت وربك بعينك قال رب لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه

وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يرق معه موافق يثق به غير هرون
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد
باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويجوز نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه
عطفا على الضمير في لا املك وعلى ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في
نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم
بما يستحقونه او التبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة
يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر
قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد من بقي من بني اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم
بان يوشع بعده نبي وان الله امرهم بقتال الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل
واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل
لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل
الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من
الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكانوا في الغمام يظلهم من الشمس وعمود
من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماء هم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا ان كان ذلك رفعا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع
بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بعقبة عن كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفا
سقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر
فسخط قابيل لان توأمته كانت احسن فقال هما آدم قربا قربانا فمن اتيكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وحملا فقال لاقتلنك

بهما ابنا آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل الحق
صفة مصدر محذوف اي كتابة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في كتبنا او من بناء اي ملتبسا
بالصدق وموافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل من
حذف مضاف اي تل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى
الله من ذبيحة او غيرها كالقربان اسم ما يعلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك
لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وهابيل
ذا ماشية فقرب كل واحد منهما قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
لانه لم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخسه ما عنده قال لاقتلنك
يوعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة
الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من متق لئن
بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم لخوفا من الله
لان الدفع لم يحل بعد او تحرجا لما هو الافضل قال له عليه السلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا باسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا
الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل
ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي
لو بسطت اليك يدي وانك بسطت اليك ان ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي منهما
يعني المظلوم وقيل معناه اني ابائم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما
في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاءه
وانه لم يقصده بهذا فطوعت له نفسه قتل اخيه فشجعته له ووسعته من طاع له

الكلام الى تذكر اذا كان لا محالة
وانما انا ريد ان يكون الهلاك في الذات
لا ان يكون له الا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد
الاثم عقوبة وارادة عقاب
العاصي جائزة صح صح

المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه
الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فا
صبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتلها بيلا وهو
ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في مواضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في
امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او
للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى
اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لوا
رئيت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابده فيه من التحير في امره وحمله على رقبته ستة اشهر او كرها على ما قيل وتلك
للغراب واسوءتا ولويلتا ابوه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن
اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه
ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل جنى اذا جنى
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلت اي من ان جررت اي جنيت ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل

الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوة بعض او منع عن القتل او استنقذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم النفس قتلا
واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في الحماية عليها ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد
ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يحاموا عنها كثير منهم لمسرفون
في الارض القتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما
وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربة لهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد
بههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالقوة وان كانت في مصر ويسعون في
الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا
فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي من غير صلب ان افردوا القتل
او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال والفقهاء اختلاف في انه يقتل
ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض
ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع اذا اقتصروا على الاخافة وقرر
ابو حنيفة النفي بالحبس وان في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير
بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم
في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى وبدل عليه قوله فاعلموا ان الله
غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه و
تقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان

اسقطت

اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي
ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى
كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله محا
رة اعداء الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة
بمحذوف يستدعيه اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير فيه
والمذكور شيئان اما لاجراء مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان
الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزها خبر ان والجملة
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح
بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بذلك
وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عينه
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد
الفاء للسببية دخلت الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ
بالنصب وهو المختار في امثاله لان الاشتغال لا يقع خبرا لاتباعهما اياه وتاويل السرقة اخذ
مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما
يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاد
يث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي
الايمان وتؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك شاع وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه والبداءة باسم تام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتى بسارق

فرع في الطلب منه

فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبا على المفعول لهما والمصدر
وذلك على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
اى سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات والعزم ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند
الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبى او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير
قدم التعذيب على المغفرة آيثارا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى
الكفر اى يقعون فيه فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من
الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحالية والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن الذين هادوا قوم سماعون واللام فى للكذب اما
مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة و
المفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا لمجلسك وتخلفوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى
على الوجهين اى مستمعون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم
ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم
آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها
اما لفظا باهمالها او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة
صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع
الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون كذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا

قبول

قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوا مسلمة من رهطه الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله عنه وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوق
قلم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فيه
الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا ودفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم
فى الدنيا خزى هوان الجزية والخوف من المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين
سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته
اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب فى
المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم
وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لان الذمى اذ
ودفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بابعادك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين
يحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب
من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وفيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون

وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان
جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وثانيها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا
كموثاة ودوداة ثم يتولون بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد
التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين كتابهم
لاعراضهم عنه اولا وعناد موافقه ثانيا اولئك وهم انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي
الى الحق ونور يكشف به ما اشتبه من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل
او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وهذه الآية تشتمل الفاظها
الذين اسلموا اسلاما اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء وافتقاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل
او يحكم اي يحكمون بها في حاكمهم وهو بدل على الانبياء هم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب استرعاء الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء
يثبتون ما يخفى منه كما نقل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان
يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم
يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفر
هم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم خروجهم عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات
الثلث باعتبار حال اقتضته الاستنكاف من الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في
المسلمين لاصالتها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم
فرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي بان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها

جمل

جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فالكتبة والقراءة تقعان على الجمل كما تقول وجدت استاذه ومعنا هذا كذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن وعلى
ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه
بالظرف والجار والمجرور صار بمنزلة المعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأ الكسائي
ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال الحكم بعد التفصيل فمن تصدق به من
المستحقين بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به
ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه فهو كفارة له اي فالمتصدق كفارته التي استحقها
بالتصدق اي لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك
هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار
والمجرور والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين
يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب
الحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة
للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اي وآتيناه ليحكم وقرئ ان يحكم على ان ان موصولة بالامر كقولهم امرتك ان قم وامرنا بان
يحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون من حكم ومن الايمان ان كان
مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة
عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وخليا على ان يحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فالام الاولى للعهد والثانية للجنس
ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه من التغيير ويشهد لها بالصحة والنبات
وقرئ على صيغة المفعول اي هو مؤمن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والحفاظ

وكل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما
جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لاتبع لتضمنه معنى لا
تنحرف وحال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها
الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء يشبه بها الدين لانه طريق الى ما
هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من
نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ
وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله لجمعكم
على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكم الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات
فانتهزوها انتهاز الفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى ان يصدوك ويصرفوك عنه وان بدل من هم بدل الاشتمال او احذر فتنتهم
او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى
محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعتنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل فا
رادوا به غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله

فتعرضه

فتعرضه بذلك لنيلها على انه لهم ذنوب اخر كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قوله لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الكفر المعتدون فيه افحكم الجا
هلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى
متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون
خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى نحو اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف
ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حكم الحكام الجاهلية بحكم بحسب
شهوتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن
من الله لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض اى الالفة
النهى اى فانهم متفقون على خلافكم موالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على
مضادتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد
فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا ترآى ناراهما او لان الموالى لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى
واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بتقلب الامر
وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة ابن الصامت قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من
ولايتهم واولى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية

موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده بقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنا
فقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه
من الكفر والتثليث في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما يشعر بحالهم ويقول الذين آمنوا
بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على الكلام مستأنفا ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع
وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون ح وبالنصب قراءة
ابن عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتي بالفتح ويقول
الذين آمنوا او بجعله بدلا من اسم الله داخلا في حكم عسى مغنيا عن الخبر باعتبار كونه من الحدث
او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما منح الله عليهم من الاخلاص
او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قو
تلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الا
مام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق
مذحج وكان رئيسهم ذا الخمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غد هيا واخبر الرسول
في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب

مسيلمة

مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجند المسلمين وقائده الوحشي قاتل
حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث الله رسوله الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهزمه بعد القتال الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان
قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله تعالى امرهم على يده وفي امارة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر
وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم من اليمن لما روي انه عليه السلام
اشار الى ابي موسى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب عليه السلام
يده على عاتق سلمان وقال وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع و
خمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والواجع الى من يحذرون تقصيره
فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا
وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له تعالى ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على
المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على
انما للتضمين معنى العطف والحنو والتنبيه على انهم مع علو طبعهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون
لهم او للمبالغة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقوي بالنصب
على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين الجهاد في سبيل الله والتصلب في
دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش
المسلمين خائفين ملامة اولياءهم من اليهود فلا يجلون شيئا يلحق فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكيرها تهكم بالخائفين ذلك اشارة الى ما يعرفهم تقدم
من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفقه والله واسع كثير الفضل

عليم بمن هو اهل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو
حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياءكم تنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله و
للمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم
او بدل منه وجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون مخبتون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو
حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة وهم راكعون في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة
اليه واستدل بالآية على ان الركوع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته
زاعمين ان الولي المتولي للامور المستحق للتصرف فيهم وظاهره ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد
ايضا خلاف الظاهر وقد صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا جوائزه
وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون
وكرر وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه كانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
لمن يتولى غيرهم ولا بد من حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزل في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على
العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين
اتخذوا على ان النهي عن موالاة من لبس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه
الهوى فحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك
المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة وقت

والذين امنوا

المناداة

المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب ودخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرارة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والغرر به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح
القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون عطف على امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان
الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على اي وما تنقمون منا
الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا
الا ان امنا لفسقكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي و
لانتقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت
معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب لليهود
سالوا رسول الله ص عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له
مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم
بشر من ذلك اي من ذلك الدين المثوبة مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة
محسنة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او خبر
محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من اه
وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا

فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه
لفظين ويقظ وعبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت الكهنة
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله
او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا
لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا او بالكفر وبه حالان من فاعل
دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما
فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال الله
والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وقيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود
او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقولهم الاثم والعدوان الظلم او
مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى
الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا يعملونه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل
الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع على الانسان بعد تدرب فيه وتروى وتحرى اجادة و
لذلك ذم نحو اصنم ولان ترك المحبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة
اى هو مقتر يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحى تبسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعدوه وحاده ونظيره من المجازات المركبة شابت له الليل وقيل معناه

الحد

فقير

فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة بغلها
اسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك ستبنى سبت الله دابره بل يداه مبسوطتان تثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى
البخل اتبانا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على
منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد
لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته
لا على نعت سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر و
لانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت
فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة
يشوم تكذيبهم محمدا عم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا
وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول او نارة شر عليه
ردهم الله تعالى بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد
غلبوا فانهم ما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم قسطوس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض فسادا اى
لافساد او اجتهادهم فى الكيد واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب
المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا
ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وتنبيه فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم

قسطوس

وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلوة والسلام والقيام باحكامهما
وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانهم مذعنون بالايمان
بها كما انزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او
يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الارض
بيان ذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب
اي ما اسوأ اعمالهم وهو المعاندة وتحريف الحق واعراض عنه او الافراط في العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا
خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما
ادّيت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع
وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي واراحة لمعاذيره ان الله لا يهدي
القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثني الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي انك ان لم تبلغ رسالتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني
الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به

مصالح

مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه
باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية بكرها
آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا بتخطاهم وفي المؤمنين منذ وحة لك
عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما في حيز ان
والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كما عرفت من دل به على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها بينات عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح
كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرها
وخبر ان محذوف دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي
مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا
لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز
بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من آمن
منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر

والصابئون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا يصبا اذا الهمزة الفاء من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا الشرع ولا عقلا لقراءة نافع بن اسرائيل وارسلنا اليهم
رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم يخالف هواهم
من الشرايع وشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء
بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون فخففت وحذف ضمير الشان وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق
تنزيلا لمنزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان وان بما فى حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عن الدين
او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا مرة اخرى وقرأ ابا العمش فيهما على ان الله عماهم
وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل
من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدأ محذوف
اى العمى والصمم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفى اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اى انا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى
وخالقكم انه من يشرك بالله اى فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة بمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من الحرم فانها دار الموحدين ومأواه
النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم بظلم الاشراك وعدولا عن طريق
الحق وهو يجوز ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تلقينا

على انهم

على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاذ بهم بذلك ومخاصمهم فيه
فاطنبك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما
قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
من مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضع موضع
ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب عام من دام على الكفر ولم ينقطع عنه
فلذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن
تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول
بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويتجاوز عن فضله ان تابوا وفى هذا
الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فاحيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب والا خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير
اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن
الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا انتفاء الالهية بانتفاء الكمال
ودل على انه لا يوجب لها اولوهية لان كثيرا من الناس يشاركها فى مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب من يدعى الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت بين العجبين اى بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وانى ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة

عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فيعزل
عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم
بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه غير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في شريعتهم
واضلوا كثيرا ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل
الذي هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاولى اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانية اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما
وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة
واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراد وفعله
ونهيوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بعضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت
لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي
العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون

خارجون

خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتصلب عنفهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى
التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال في العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
هو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض
فان بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا
آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق
او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين
والدخول في زمرتهم وجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن من حال من الضمير والعامل في اللام
من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف
على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاول مقيدا
بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقادهم قولك هذا قول فلان اي معتقده
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت

مثلثين يا

في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه
لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات
عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى القصد بينهما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه
يوما وما بالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش وان لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم امر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم
والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اي وكلوا مما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم
الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة
لمصدر محذوف وعلى الوجوه اولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة

واتقوا

واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر اوما
منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر في رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اي الفعلة التي تدل عليه اثمه وستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال
قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ
اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالي
جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط
ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء وازار وقرئ
بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق اسير وشرط الشافعي رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا
وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته
صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل احد

او بان تبرؤا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خبرا وبان تكفروها اذا صنتم كذلك اى مثل
ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة
الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره
فى اول السورة رجس قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه للخمر وخبر المعطوفات محذوف
او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب
عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او للاخير او للتعاطى لعلكم تفلحون
لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الاية بان صدر
الجملة باننا وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها
على ان الاشتغال بهما يجب اولا بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى
منه الفلاح ثم فرد ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم
فقال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما
مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق
بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه
البلاغ وقد ادى وانما ضر ثم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان
والاعمال الصالحات ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا

على اتقاء

على اتقاء المعاصى واحسنوا وخيروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث
استمعال الاتقى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى
ولذلك جعل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره
او باعتبار المراتب الثلاث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك
المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا لنفس
عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشئ وفيه
دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله
بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش
تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل
والتحقير فى الشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس
والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب
ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة
ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء
بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى
حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اى محرمون جمع حرام كرداح ورداح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل
والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل
العقرب مع ما فيه من تنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يعطى حكم الذبح
فيحل مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره

ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد
فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراة الكوفيون
ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء بمثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء لانه فصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول والفحوى مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل
وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على تقدير جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل او فجزاؤه مثل
ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال
يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري
بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل
مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول او فريق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في فجزاء او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بجزاء مقدر
لمن وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع
تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او جزاء
وان نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بالغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء وان رفعته وان نصبته فخبر
محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي ان يكفر
باطعام مساكين مكاوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل
ذلك صياما او ما ساواه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق
للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام
وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم

ليذوق

ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام او ثقل الشدة على مخالفة امر الله واصل
الوبيل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل
التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه
ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر
على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه
السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل
السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه
الملح متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسياركم تتزودونه قديدا
وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي
اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها او اعاد البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر
معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج
والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع
اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق
تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرائنه
وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن اقلع
عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول الى بما امر به

من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين
الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك
كثرة الخبيث فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم
الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت
في حجج اليمانة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كقولهم تنتجان
ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه والاشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت
لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين او شيي
كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت
ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم
فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون
عنه مما لا يعنيهم فقال لا تسألوني عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار
وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
ليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا

كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا حمودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ورد انكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة
خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب
وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن
حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل
ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من النهي ولكنهم يقلدون لآبائهم فيه
الا منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا
به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار
المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك انفسكم وقرأ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم بتصحيح يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولاموه
ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرأ لا يضيركم والجزم على الجواب

او الهمز لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا
يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرأ شهادة بالنصب
والتنوين على لفظ اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة
حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف
حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم
ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير
باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض
اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعترض
فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم
او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة
صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى
صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا نقسم
عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم وبالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان
المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نكتم شهادة الله اى
الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على
حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا قرئ الملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف

فآخران

فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقربهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل
منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه
صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منهما واولى بان تقبل وما اعتدينا اى وما تجاوزنا فيها الحق
انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا
ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او
دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم
ثم ان وقع نزاع او ارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصدق في الوصي اليمين
لامانته او لتغليب الدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه لم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء
في ايديهما فاتاها بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد

ولا يعارض يمينه

لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهدين ان يأتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لان حكم يمين الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يهديهم الى مجده او الى طريق الجنة فقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا
بدل اشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر
او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال للتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة للتوبيخ
الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب
فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروه لنا وما لم نعلم مما اضمروه فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم
ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة
الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة وناد اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون
فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس بحياة
ابدية وتطهر من الآثام ويؤيد قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا
والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحال حال فى الطفولة بحال الكهولة
فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون

طيرا

طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة آل عمران
وقرأ نافع ويعقوب طائرا وبجمع الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين
هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه
السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز
ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون مخلصون اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الايمان
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل
هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى
سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذ كان عليه الطعام من ماد
المائدة اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم
فى ادعائكم الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لداعيهم الى السؤال وهو
ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقنا فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا شهدنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك
او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد
او قرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذ النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لاولنا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك
دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير من

يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز
ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب اني اريد به ما يعذب به على حرف
حرفا يا احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع
جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا او من طعام الاخرة قال لم تسألوا عن
شيء حتى عرفه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا
من هذه الاية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا قاموا طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه
السلام ان اجعلها مأدبة للفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا
وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله للمقترحين المعجزات وعن بعض الصوفية
المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها لغذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن
وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه
السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا
عن السؤال والمحاورة فسأل لاجلهم فاجابهم فبين الله تعالى ان انزالها سهل ولكن فيه
خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله

ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني واميّ الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الدمية
عبادة غيره كلا عبادة فمن عبدها مع عبادتها فكأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم
لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله عز وجل وكأنه قيل اتخذوني واميّ الهين متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي
ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
في نفسك للمشاكلة او المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير
للجانبين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه
بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه
وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر
لمضمر او مفعوله مثله هو او اعني ويجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول
القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي
وربكم والقول لا يفسر بالجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان ما امرتهم
الا مثل ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم منعهم
ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع
الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع
منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم
المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها
بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما

مطلب كيفية المائدة

مطلب بيان معنى التوفي

يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعفو الذى
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل
وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع التردد
والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه
ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى عليه السلام
واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف
اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد
دعويهم فى المسيح وامه وانما لم يقل من فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اشعارا لهم
غيرا ولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية والاهانة
لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق مثنى ولا لاجناس كلها فهو
اولى بارادة العموم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر
حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس الدنيا

سورة الانعام مكية الا ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا الى ثمانية وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق
بالحمد ونبه على انه المستحق على هذا النعم الجسام حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم
يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة
الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور
انشاءها والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل
فيه معنى التصيير ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما
كما زعمت الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها

وافرد النور بيانه

اولان المراد

اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم
الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم
الملكة كالاعمى ليس صرف العدم حتى يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف
على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكونون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم
فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل
وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به
هو الذى خلقكم من طين اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل
البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل
القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق
لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى
والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستثناء
به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه
عنده لا مدخل لغيره فيه يعلم ولا ذريعة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد
لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وابداء الحياة فيها وابقائها ما شاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى واستخراج
اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والخبر فى السموات والارض متعلق باسم الله والمعنى هو
هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما
كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى

كما تعمى

انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما وبعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر
ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالكسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من
المعجزات او اية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعنى القرآن وهو كالدليل على انهم لما اعرضوا عن القرآن كذبوا به وهو
اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزئون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة
او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من زمان والقرن
مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او قائم
فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض جعلناهم فيها مكانا وقرناهم
فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل
لكم فى السعة وطول المقام باهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار
بالعدد والاستيلاء وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فما شؤن الخصب والرى بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى
انه تعالى لما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وجنسهم مكانهم آخرين يعمرهم بلاده قدر ان يفعل
ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم فرأوه وتحققوه
للدلالة التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يفقد معه الابصار
حيث لا مانع ويتقيده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للتحقق كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا
انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم

ملك صح

وبيان

وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا
لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الباء للتعدية وان جعل
للآلة فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء
ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لجعلناه رجلا كما مثل
جبرئيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته
وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا
بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزئون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله وانزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى
تعبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولذلك صدر
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظرة آثارها لكن قل لمن ما فى السموات والارض
خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقريرا لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى
القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شركم او فى يوم القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من
الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى

التقليب واغفال النظر اذى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع على الايمان وله عطف على الله ما سكن
في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما
اشتمل عليه او من السكون اى ما سكن فيهما او تحرك باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير
الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى
المعبود لانه ردلى ودعاء الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانا اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها
وجره على الصفة لله فانه بمعنى الخالق ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب وهو يطعم ولا
يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشرف الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبكسر
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض مالكهما ومنزلهما وعن رتبة ظهورهما
وبنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته في الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ بالظاهر والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير
بنعمة الصحة وغيرها فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فهو يقدر على رفعه كقوله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده مقصور لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره
وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك ذكر ولا صفة فاتنا من يشهد لك انك
رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة

ثم ابتدأ الشهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر
شئ شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن
بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه عن ابى ذر لتشهدون ان مع
الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى بل اشهد ان لا اله الا هو وانى برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتصميمهم على ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب
بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكرا وهم قد جمعوا بين امرين تنبيها على
ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير لشأنه لا يفلح الظالمون فضلا
عن ان يكون احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر هو بلا امر ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب نحشرهم بالياء ويقول بالياء الذين كنتم
تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم و
آلهتهم حينئذ ليفتضحوا في الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويجوز ان يشاهد وهم ولكن
لم يفضحوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم يكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم واسماه
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا وانث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله

انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها حملا على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم
ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب
على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما
ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا يمنع
من استماعه وفسر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك
يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا محل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين فان جعلا اصدق الحديث حكاية الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير
الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر او اسطر السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جواب محذوف اى ولو تريهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم رعنى ولا اخونى اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد
او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقولوا انهم لكاذبون راجع الى تضمن التمنى من الوعد ونصبهما حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان

المفهوم

قدر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة

المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك تحسرا لا عزما
على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه من الكفر
والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او
على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا القصرى للحياة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ ويحتمل معناه وقفوا على قضاء ربهم
او جزائه وعرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والهمزة للتقرير على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لا يخلو الامر غاية الاخلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او بدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية له
بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعال فهذا اوانك
على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحياة الدنيا حضرت وانما يحضر ذكرها للعلم بها وفى الساعة بين فى شأنها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاكتناههم آصار الآثام الاساء ما يزرون بئس
شيئا وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا ولدار
الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقرأ الذين يتقون تنبيه
على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر والدار الآخرة افلا يعقلون
اى الامر بين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والباء فى انه للتعدية وقرئ ليحزنك من احزن فاهم لا يكذبونك
فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم

ظلما بجحودهم او جحدوا انفسهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان
يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئت فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك بسبب تكذيبهم
مطلق فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا
فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين الذين قصصهم وما كابدوا من قومهم وان
كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية
او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية
من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء
الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حين لم يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه مع
بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة
انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد
وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان
ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية
اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر
على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كفلق الجبال او آية ان جحدوها
هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء
وان لم فيما انزل منذ وجد عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصف به قطعا لمجاز السرعة

ولقد كذبت رسلا

على والمعتزلة الخ

ويخرجها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمق
من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل
آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على
ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون
فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان
فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون لا يعني
الامم كلها فيخصص بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها
موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال
علمه وعظم قدرته سماعا ينتفع به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث
اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون
حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح
لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل
ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محله من الاعراب لانك
لا تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قال الكوفيون لعدت الفعال
ثلاثة مفاعيل والتزم في الآية ان يقال ارأيتكم بلا مفعول معلق او المفعول محذوف تقديره
ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وارأيتم وارأيت وشبه
اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها وحمزة
اذا وقف يوافق نافعا اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهو لها ويدل عليه
اغير الله تدعون وهو شبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه
بلا اباء تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه الله ما تدعون الكشف ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة
وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول من ان القادر على كشف
الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك

ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا زجاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع
النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن وافقه يعقوب فيما عدا هذا
والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحيرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا
اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من تخليص
لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان اغطى عليها ما يزيل به عقلكم
وفهمكم من آله غير الله يأتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد الامور المذكورات
انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم
لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة
او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اى
ما يهلك به هلاك كخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار وما
نرسلهم ليقترحوا عليهم ويتهكموا بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم

فلا خوف

فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم والمستغنى بتعريضه عن
التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن
الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب حتى يلزمكم ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليلا وهو من جملة
المقول ولا اقول لكم انى ملك انى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا
ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى او الجاهل
والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتعلموا
او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى محالا يخص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون فى العمل او
المجوزون لحشره مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين
الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا فان الخوف
هو الحشر على هذا لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال لا اطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك
قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وعلى
رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف يريدون وجهه حالان من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على ان ملاك الامر وربط النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم
وتنبيه ايجادهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ اى ليس عليك
حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسوء الظن فى ايمانهم
لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اشتهروا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن

غير صحيح كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليهم
لا يتعداك اليهم وكل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وجزاء الشر للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهلك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا في ايمانهم فتطردهم فتبعدهم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب فيه
نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور
الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقد منا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي هؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية
والتوفيق لا يسعدهم دوننا وهم الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار
لان يختص هؤلاء من بيننا باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه الآية
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلان اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الجميع بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله
اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون للفضيلتين العلم
والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يعز ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والآخرة
وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد
عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتقرير الرحمة وقرأ نافع وعاصم
ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمله جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر رضي الله تعالى عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى
الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعد ذلك اي من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي
فامره او فعله غفران وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن
في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع

بالتاء

بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا
التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم
والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي
نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل
علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله من عبادة ما تعبدون من دون
الله او ما تدعونها آلهة او تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لبعد ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس
بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي والحجج العقلية او
ما يعرفها من ربي من معرفته انه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير
لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله
في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويديره من قولهم قص الرقيم
اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع كانه منع
الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر والخبر وهو خير الفاصلين اي القاضين
قل لو ان عندي ما في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن يستحق ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم
وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتيح التي هي جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتح والمعنى
انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها او تأخيرها

من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم
الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفان
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب
المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة
او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان
اصل قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المنتبه آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه وقيل الاية خطاب
للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى يطلع
على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل
وكسب الاثام بالنهار ليقضى اجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين
عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرئ تحمزة توفاه بالف مالة وهم
لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق
وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين

يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمات لشدة ما يكتنفهما من الهول وابطال الابصار فيقال
لهول الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او علانية وسرا
وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون
لئن انجيتنا وقرئ انجانا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدائدها الكوفيون وهشام وحفص الباقون ومن كل كرب ثم انتم
تشركون تعودون الى الشرك ولا تفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون
تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده قط قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما غرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم و
عبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فيشب القتال بينكم قال و
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض
بقتال بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به
قومك اي بالعذاب وبالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامتعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبأ خبر يريد به اما العذاب والايعاد به مستقر وقت استقراره ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد
الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين

يفقهون بيان

من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يحاسبونهم من حسابهم من شئ شئ مما يحاسبون
عليه من قبايح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى و
يمنعوهم عن الخوض وغيره من القبايح وينهوهم عن ارتكابها وهو محتمل النصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم بايان ولا على شئ
لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تتثلم بمحاسبتهم
روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطيع ان نجلس في المسجد
ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتتبعوا
بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب واتخذوا
دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادة
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض ولا تبال باضغالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال
والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من
قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب و
ان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء
وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها الا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ
منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب
اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد
وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يخرج من بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب
كفرهم قل انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام

كالذى

استهوته الشياطين كالذى صح

كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ
حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى
استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن
الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان
هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك وقيل هى بمعنى
الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اى كالسلام
واقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن
بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه و
اظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق
جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه
الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على
السموات او على الهاء واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر وفاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
وجودها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحيائها وله الملك يوم
ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو
عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالعلة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف
بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كما سر اسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى جعل على موازنة او
نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم

صنم يعبده فلقب به لزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا
او بدل عليه ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرئ يعقوب
بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر
الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير تبصرة وهو حكاية حال ماضية
وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه
للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل او ليكون اوضعنا ذلك ليكون فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك
نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم
على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره
بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل
على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يلزم عليه بالاف واو على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين
فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى
الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى
ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى
اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية
وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكره باسم الاشارة
تذكيرا لخبره وصيانة عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة
الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث
يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما

من المشركين

من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته
ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه
وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرئ نافع وابن عامر بتخفيف
النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم
فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها
ولعل جواب تخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون من علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك لمصنوع بالصانع
وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر القاهر الذى لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل بشركته
كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون ان كنتم تعلمون
ايينا اقامة انتم احرازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه عليه السلام او من الله بالجواب عما
استفهموه عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى انه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان بان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى الى حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه
اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدلا اى آتيناها ابراهيم
حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرئ الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه ويستعد له ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم عد هداه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم

ذا الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان للابراهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا
داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع
درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام
فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما السلام
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع ابن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع على القراءتين علم اعجمي ادخل
عليه اللام كما ادخل في اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو لوط بن هاران ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على
كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم
من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط
مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دل عليه بهدى به من يشاء
من عباده دليل على انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء الانبياء مع
فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا
فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة عليهم
السلام اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم

فبهم

مطلب الذرية تتناول اولاد البنات

مطلب في الصلاح

٣٦

فبهديهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على ما للكلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل
مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على التبليغ
او القرآن اجرا اجعلا من جهتكم كالرسل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر
بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او العرض الا ذكرى للعالمين الا
تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوا حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وجحدوا الرسل وذلك من عظيم
رحمته وجلائل نعمه اوفي السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه
المقالة والقائلون هم اليهود كما لو اذ لك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانا قرا بالياء ابن كثير
وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم
على تجزئتها بابداء بعض وتخبئة وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي
ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى اباكم الذين كانوا اعلم منكم وفيه بيان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه مختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش
قل الله اي انزله الله وانما امره بان يجيب عنهم استعجازا بان الجواب متعين لا يمكن
غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في الباطل

وتضمن

فلا علينا بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم
او يلعبون او حال من المفعول الاول او من هم الثاني والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر
او على محذوف اي فلتنذر اهل ام القرى انزلناه ولما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل
القرى ومحجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وفضلا لان الارض دحيت من تحتها او لانها
كانت اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي ليتذكر الكتاب ومن حولها
اي اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد
الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العنسي والحلق عليهم احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي
ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد
الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي
اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول للدلالة الظرف عليه اي ولو ترى
الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطو ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم ان يقولون لهم اخرجوها
الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم واخرجوها من العذاب وخلصوها من
ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون عذاب
الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة اهانة واضافة العذاب الى الهون لعراقته وتمكنه

وتمكنه في بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الشريك والولد او دعوى النبوة والوحي
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا فرادى للحساب
والجزاء منفردين من الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او من الاعوان والاوثان
التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كسكارى وقرئ فرادى كرجالى وقرادى
كنذكى وفرادى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه على الحيثية التي ولدتم عليها في الانفراد
او حال اي شبيها جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة
حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقتنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا تشغلكم عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتموه منه سدى ولم تحملوا
نصيبا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد
يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع
التقطع بينكم ويعضده قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوف واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به نامي
من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت الحي
ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح
حتى الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به
او يسكن فيه الخلق من قولهم سكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه بمعنى الماضي

وبه أعلنه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق
ولذلك قرئ بها وبه على ان المراد منه جعل مستمرا في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان
يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى يجعلون حسبانا اى على ادوار مختلفة تحسب
بها الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب الفتح كالحسبان بالكسر مصدر
حسب بالكسر وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبير ما لا يعلم من التدابير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم تعلقها لكم
لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليها للملابسة
او فى مشتبهات الطرق وشبهها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر
بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بينا ها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المستفيدون
وهو الذى انشأكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب
او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض وموضع استقرار واستيداع وقرأ
ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم
مستودع لان الاستقرار متأخر عن الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع
ذكر النجوم يعلمون لان تأثيرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة
وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى
انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شىء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهرنا القدرة فى انبات الانواع المختلفة بماء واحد كما فى
تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر
يقال اخضر واخضار كاعور واعوار وهو الخارج من الحبة المنتشب منها منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل بدلا من طلعها قنوان
او من النخل بتقدير طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه

والمعنى

والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم
القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة
من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لكمال نهايتها
وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شىء وقرئ بالرفع على الابتداء
اى ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لخروجهما عن الصنفين عند هم
متشابها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه
فى الخلقة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى
بضم الثاء والميم وهو جمع ثمر كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر مثل الايناع يتنفع به وينعه والحال انه حال او الى تثميره ونضجه كيف يعود
ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر
وقرئ الثمره هو لغة فيه وايناعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون اى آيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة المتشابهة من اصل واحد ونقلها من حال
الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ما يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتنزيه من اشرك به والرد
عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وتسميتهم
جنا لاجتنانهم وخفاء امرهم والشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وعبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير والشر وكلا نافع والشيطان خالق الشر وكلا ضار كما هو رأى
الثنوية ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن والجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ
وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا لله اختلاقهم
للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا وقرأ نافع بتشديد الراء

للتكثير وقرئ وخرقوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقوا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان لولد او شريك بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثمت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيها وقيل بمعنى المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد
اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان
الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل
لتطرق التخصيص الى الاولى وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعات
السموات والارض ومبدعها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأ عنها لاستحالتها
وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد له والثاني ان
المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث
ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له من وجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق
من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار
جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات
فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا الاكل يبصر يدركه
مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علما بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار

لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به الدلائل لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر فلنفسه
الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا
كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو
اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وليقولوا درست اى وليقولوا اخترتنا والاعلام العاقبة والدرس القراءة والتعلم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست هذا الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدرس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست
بفتح الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجازاهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ودرس اى عفون
ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات او ذات درس كقول عيشة راضية
ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى
او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المستفيدون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدبر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع وحال من الكاف
من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا
تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم
ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر
وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم
بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دونه اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وعما يجب ان يذكر به
وقرأ يعقوب عدوا بفتحتين كالعدا والعدا وعدوا وعدوا وروي انه عليه السلام

كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجونّ الهك فنزلت وقيل
كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركه فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل
امة عملهم من الخير والشر احدثنا ما يحملهم منه ويجعلهم عليه توفيقا وتخذيلا لا يجوز
تخصيص العمل بالشر وكلامه بالكفرة لان الكلام فيهم والشبه بتزيين سب الله لهم
ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والباء في لهم الهذا القسم والتاكيد فيه الحكم على الرسول
في طلب الآيات واستحقارهما واقامتها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل
انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي ولا ادري
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكاري انها ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على ان الله
انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ انها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء
الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت فيكون الخبر لهم على حكايتهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم
حين لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب
افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونذرهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ونقلب ونذرهم على الغيبة ونقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا
الملائكة فاتوا آبائنا واتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما يقولونه

كفلاء

واندروا

واندروا جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعة او مصدر بمعنى مقابلة كقتيل وجوزه
نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق
عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة
الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا
بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم
مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية
طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا عدو لك جعلنا لكل نبي
سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس
والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعول الثاني ولكل خلق
او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر
في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء والايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف والغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم
وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا اي جعل
ذلك او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة ولام القسم كسرت لما بعدها الفعل والنون اي لام الامر وضعفه اظهر والصغو
الميل والضمير للزخرف وقيل للوحي وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني
وبينكم ويفصل المحق من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه وتقديمه وتنكيره للتعظيم
من حاكم فلذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز
مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن
باعجازه وتقريره يغني عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق تاكيد لكونه لا محالة على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه

ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارسكتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم
لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه باذنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب
وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك
او في انه منزل تحقيقا لكثرتهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب
الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخبارا واحكاما صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما على التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق او اعدل ولا احد يقدر ان يحرفها كما حرف
فانها كما نعمل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له
لحافظون او لا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب
كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله اي عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه
ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق وحجهم الاتهم او آراءهم
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة البحيرة وتحليل الميتة وتحريم الحوامي او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اي بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل
عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك واستفهامية مرفوعة بالابتداء
والخبر يضل والجملة معلق عليها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضل الله فيكون من منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قول من يضل الله او من اضللت
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها وان وصفه وكونه
بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون

الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله عليه دون ما لم يذكر عليه اسم غيره او مات حتف
انفه ان كنتم به مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احل الله واجتناب
ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم ان تحرجوا عن اكله وما لكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم بما لا يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما
اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه يباح حينئذ لحال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال وقرا الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بشهوتهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحد في الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا
في الحانات واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا ونسيانا واليه
ذهب داود وقول احمد مثله وقال مالك والشافعي خلافا لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واول الميتة او ما ذكر
غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله والضمير لا يجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وتحرمون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله لطاعة
غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف العائد فيه لان الشرط بلفظ الماضي
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثله من هداه الله واتعبه
من الضلالة وجعل له نورا يهتدي به الآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والحق
والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ وخبره في
الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله لفصل
وهو مثل لمن بقي على الضلالة ولا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين

ما كانوا يعملون والا يعزلك في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عتبة وابي جهل وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ
اكابر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا باغسهم
لان وبال المكر يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي انه ابا جهل قال تزاحمنا بنو عبد مناف حتى
اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه
فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال
وانما هي فضل الهي يختص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم وتمرنهم على مكر
تقدير من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم وتمرنهم على مكر
فمن يرد الله ان يهديه يرد طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح
مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه ويتاباه
اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له
وينفسح فقالوا هل لذلك امارة تعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر
عن عاصم حرجا بالكسر على تقدير الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يمتنع
عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما

يتصاعد

يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعد عنه الهرب منه ولعل يصعد بتصعد وقرئ به
وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان عليهم ووضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او الى ما سبق من
التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه وعادته وطريقة الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقدرة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون انه القادر وحده
وانه كل ما يحدث من خير وشر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما
يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة اليه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره وهو وليهم مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متولهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او بقوله والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اي ممن اغويتموهم واضللتموهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشرتم معكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على ما لهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا
الا ما شاء الله الا اوقات التي يتقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل
الدخول لكانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما شاء ربك ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال

واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض ونجعل بعضهم يتولى بعضا
فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك وتطبيقه يخرج منها اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بحث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل
الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستحقاق العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين لهم عاشر
نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المحدثة واعرضوا عن الآخرة
بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو
خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وظلمها غافلون تعليل للحكم وان
مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء ربك او لان الشأن لم يكن ربك
مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا
برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب من ثواب او عقاب وقرأ
ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان
ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل للترحم على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله
ان يشأ يذهبكم اي يهلككم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه انشأكم ترحما عليكم
ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن بلغ التمكن
او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر

عن عاصم مكانتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني
عامل على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعويقه فيحمله الامر على ما يغضبه اليه ويحمله ان
المهدد لا باق منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يفيد ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من يكون
له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اي يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي
فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالتاء لان تأنيث العاقبة
غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي
مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي
انهم كانوا يجعلون شيئا من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا
منها لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما جعلوه لله ازكى بدلوه بما
لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها جميعا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق لمخلوقه جماد لا يقدر على شيء ثم رتبوا عليه بان جعلوا الزكي
له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اختلقوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالوزن ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك وكمثل
ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد وغيره لآلهتهم
شركاؤهم من الجن او من الشياطين وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي
هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعول وهو ضعيف
في العربية معدود من مضرورات الشعر كقوله فزججتها بمنكب زج القلوص ابي مزادة وقرئ
بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه

او ما وجب عليهم ان يتدبروا واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين والمعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء الزين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افترائهم وما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعلوا لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى كالذبح يستوى فيه المؤنث
والكثير والذكر والانثى وقرئ بضم العين وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر
والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام
عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على
الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق
او المحذوف سيجزيهم ما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
اجنة البحائر والسوائب
ان ولدتا الولد وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة
للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء
وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كثير هما والتاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر او
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على ان يكن مضمر وكذا الجر لذكورنا
او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا لان الذكور لا تتقدم على العامل
المعنوى وكذا صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب مخالصة بالرفع والاضافة
الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد بما كان حيا والتذكير فيه لان المراد
بالميتة ما يعم الذكور والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب
على الله فى التحريم والتحليل او قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بدل من العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ
ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقولهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم لا هم وقرئ نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر

وغيرها

وغيرها افترا يحتمل الوجوه المذكورة وهو الذى انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات كالنابت
فى البرارى والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير وكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حاله مقدرة لا لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينته بعد وقيل اذا
نخسه المالك فى الاكل منه قبل ادائه حق الله وآتوا حقه يوم حصاده ما كان
يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل
الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
ولعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ
من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للمنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما
رزقكم الله كلوا مما حل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان فى التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول لكلوا او
لا تتبعوا معترض بينهما او تعليل لما يليه او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع والمراد الاول من الضأن اثنين وجه اثنين الكبش
والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين وهو فعيل مثل غائب وغزى وبحى وعن ابن عامر انه كحارس وحرس وجمع مثل كتاجر
وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو

وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب أو عارز وحرس وقرئ بسكونه
قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم أم الانثيين أم انثيهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم
أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أو ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني
بعلم بأمر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه
أرحام الانثيين والمعنى كما ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما حملت اناثها
رزقا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين
ان الله حرمها أم كنتم شهداء بل كنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم
بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة استحالة ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المفترون
لذلك وعمرو بن لحي الموسوم بذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا أجد فيما أوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما يطعمه طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء
ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقرأ أو دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه
اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة أو حيث نجست أو فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما
ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور
رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في وحي آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد

مشاهدين

ولا على حل الامم الاستحباب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل
والنعام والطير وقيل كل ذي ظفر اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل السبب
من الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاماء
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على
الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما او على الواو او ما اختلط بعظم من شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلا تعجلوا
بانتقامه فانه يمهل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او قد ورحمة واسعة
للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه النفيه
على انزال الناس عليهم مع الدلالة على انه لا يرد بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا
اخبار عن مستقبل وقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء اي لشاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقولهم لو شاء الله هدايتكم اجمعين لما
فعلنا نحن ولا آباؤنا اراد وابذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه الفضائح بارادة الله اياها منهم حتى يتمسك به دليلا للمعتزلة
ونوقشوا بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك فان الله
منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذبه من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا
من غير تأكيد للفصل حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن مما في الاصول ولعل ذلك تعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة
البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة

وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين فهلم شهداءكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وتميم يؤنث ويجمع عند بني تميم
عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هلم الم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هلم لا يدخل
الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقولهم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني فقهاءهم واستحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر انقطاعهم ضلالتهم وانه لا مستند لهم
لكن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسلم موافقتهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان تكذيب الآيات
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله
من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل
وما محتملة للخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل
لانه بمعنى اقرأ اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا به شيئا
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحله النصب بعليكم على انه بدل او البدل
ما او من عائد المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام والرفع على تقدير المبتدأ تقديره
لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا محتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة
في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم وايا هم منع الموجبة ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج
عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب والزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله

ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به اي بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون
فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالخلة التي هي احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كعمر واعمر
وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما تسعها ولا تعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق غير فعلتكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل
وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باشرها اذ اسباب التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح
الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار والتفاوت في
كان قبل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به وتؤيده ان قرئ على الذين احسنوا اي على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع او زيادة
على علمه تماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما وفيهما
محتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون

اى بلغاته للجزاء وهو الكتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما
انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص بهما لان الباقى المشهور
من الكتب السماوية لم يكن عند غيرهم وان كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها او تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على الاميين فقد جاءكم
بينة حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب
بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضلا عن التامل
سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم
هل ينظرون اى ما ينظرون يعنى اهل مكة وهم بما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان
يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب
وقرا حمزة والكسائى بالياء او ياتى ربك اى امره بالعذاب او كل آياته يعنى آيات القيامة
والهلاك الكلى لقوله او ياتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن يوم يأتى بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء
لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير متقدمة ايمانها او متقدمة ايمانها غير كاسبة
فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم
بذلك اليوم وحمل التردد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت

عنها

عنها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان
كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم او انتظروا اتيان احد الثلثة فانا
منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بتدوه فآمنوا
ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
وفرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها
فى الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائى فارقوا اى تابعوا وكانوا شيعا فرقا يشيع
كل فرقة اماما ليست منهم فى شىء اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم ومن عقابهم
او انت برىء منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم
الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين
امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة
وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
تخصيص للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انى هدانى ربى
الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى
وهدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه
قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا قل ان صلاتى
ونسكى عبادتى كلها او قربانى او حجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حيوتى واموت
عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله
رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت
وانا اول المسلمين لانى اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا فاشركه

حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه

في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع
العلة للانكار والتعليل اي وكيف اتخذ سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس
الا عليها فلا ينفعني في اتباع رب غيره اثم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام
او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب
لمن ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور لذات معاقب بالعرض كثير الرحمة سابغ فيها قليل
العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية يوما وليلة سورة
الاعراف مكية الا ثمان آيات منها فسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل كلها الا
قوله واعرض عن الجاهلين وهي مائتان وخمس آيات بسم الله
الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب
او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه
اي شك فان الشاك حرج الصدر اوضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفا يحتمل العطف والجواب
وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر متعلق بانزل او بلا يكن
لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم وعلماء موقن للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير

والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم بعد القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله
اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم تنصب قليلا
يتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر
تذكرون على ان الخطاب بعد ما التفت وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها اهلها بأسنا عذابنا بياتا
كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او ظرف وهم قائلون عطف عليه اي نائمين نصف النهار
كقوم شعيب وانما اخذت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف
استعير للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وامنهم
عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما
اقطع فما كان دعواهم اي دعاءهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعون من دينهم اذ جاءهم
بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اي لا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم من قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام والاول في موقف الحساب وهذا
عند خلوهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا بك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم بما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فنخفى علينا شيء من احوالهم والوزن
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدل وقطعا للمعذرة كاشفا لهم
عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل توتى به

الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليؤتى العظيم السمين يوم القيامة
لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر بعد خبر
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها في اقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وورودها
والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع
انه همز تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم ثم خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم
ثم صورناكم بان خلقنا آدم ثم صورناه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد
لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل
الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن النهي مضطر
الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق
الامر للوجوب والعزم قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا
لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن لهما فضل ان يسجد
للفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال الحسن والقبح العقليين
اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى
الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه

من روحي

من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملائكة ولذلك امر الملائكة بسجوده
لما تبين لهم انه اعلم منهم وان الخواص ليسوا اخص ولا ادل دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام
كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاضع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره
لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه
الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيامة فلا تميتني
او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين تقتضي اجابته الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على
ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله
فيه وفي استعاذته اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني
اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم
تسمية وحلفا على الغي وتكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بـ
لاقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم لاترصدن لهم كما يقعد
القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقولك كاعل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصد
اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من جهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه
ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه توحش وعن ابن عباس من ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منها
واحيانهم

ستوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم
وتطيره توهم جلست من عمته ولا تجدا اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قال ظنا كقوله ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه او رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه
من الملائكة قال اخرج منها مذءوما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مدءوما كمسؤول مسؤول
او مكؤول في مكيل من ذأمه يذأمه ذيأما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لموطئة
القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر
اللام على انه نحو لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم
فتكونا عطف الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة
لاجلهما وهى في الاصل الصوت الخفى كالهمسة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد
سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا بان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري
عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة الهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف همزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا
وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاستراحة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك

واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله
ايمان الناصحين فاقسم لهما فحملهما ذلك مقاسمته فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
بغرور على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشئ من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها
اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا
وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى خصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين عقاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول
العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اعترفا بالمعصية
والتعرض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع
اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير
من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما
او لهما ولابليس كرر الامر تنبيها لتعلم انهم قرناء واخبر عنهما قال لهم مقرونا بعضكم لبعض
عدو في موقع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع الى حين الى تقضى آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
للجزاء يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى تصد
الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تعلة

لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول ما اصاب الانسان من الشيطان وانه اولهم
في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل ما لا من
ترييش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
خشية الله وقيل الايمان وقيل الاتمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزلنا اللباس من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتوقون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يختدعنكم بان يمنعكم كدخول الجنة باغوائكم والنهي
في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم اياهم من حيث
لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون بما اوجدناه بينهم من التناسب او بما سلطناهم عليهم ومكنهم من اغوائهم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن
الاول للظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال والآية فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب
الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا قيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما

تعلمون

تعلمون انكار وتقبيح للنهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المنحرف عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
اتم عبادة عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان
وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق
لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم والعقاب وان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم التي تواري عوراتكم
عند كل مسجد لصلوة او طواف ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني
عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم
المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك اثنتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب
وسائر ما تجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل
على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجمل الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة

يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاية وما يوجب الاثم بعد تخصيص وقيل سر بالخمر والبغى الظلم
او الكبر فرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا حكم بالمشركين وتنبيه على عظم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم
او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر
وقيل لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتى شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كاثباته اهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك اكدفعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى
للمبالغة فى الوعد والمسارعة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته من يقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب ما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا
اين ما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما موصولة
بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا

اى قال الله لهم يوم القيامة ادخلوا حال من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين
فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضين من النوعين فى النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى
اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا ولاحق بعضهم ببعض فى النار قالت اخريهم اى دخولا ومنزلة
وهم الاتباع لاولاهم لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا
الضلال فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم
لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم وترتيبه عليه
اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله تعالى للفريقين ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لا دعيتهم واعمالهم او ارواحهم
لا ارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتصل الى الملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى ويعقوب بالياء لان
التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى
يدخلها هو ذلك فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقفل والجمل كالقنفذ والجمل
كالعنب والجمل كالجبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم الخياط
والكسر فى سم المخيط وهو الخياطة كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء نجزى المجرمين
نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين للبدل
من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اشغلوا

السقا

بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الحرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في القرآن بتشفيع الوعد بالوعيد
ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب الخير المقيم بما
يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ ولا يكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل نخرج
من قلوبهم اسباب الغل وقلعها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ وعن علي رضي الله عنه
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة وزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم
وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاوه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انه مستينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اعتذارا وتحسرا بان ما عملوه تعبا في الدنيا صار لهم في الآخرة
عيانا ونودوا ان تلكم الجنة اقاموها مقام اورثوها
بما كنتم اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر
والجنة صفة تلكم وان في الموقع الخبرية هي المخففة والمفسرة لان المنادى والنادين من
القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
وعد ربكم حقا انما قالوه تشفيا لهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقولوا ما وعدكم
كما قالوا وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم به كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل
هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر
وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا ومميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة
والفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين

كقوله

كقوله فضرب بينهم بسور وبين الجنة والنار ليمنع وصول احديهما الى الاخرى وعلى
الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهور اعرف من غيره رجال
طائفة من المؤمنين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء
وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة
يعرفون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي
اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من سيم
على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو
على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجهين واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم
المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق
الوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
انضموا الى الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان
اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا
ودخلوا على الاستيناف وتقدير دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم من المكلف الذين اتخذوا

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت والتهوم فرحا بالهمز بالاحسن ان
يفرحوا به والتعب طلب الفرح بالاحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فالیوم
ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا
فلم يخطروا بالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها
من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء محكما وفيه تجلى له تعالى عالم
بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فصلنا على سائر الكتب عالمين بانه
حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون
الا تاويله الا ما يؤول اليه من تبين صدقه بظهور ما ينطق من الوعد والوعيد يوم يأتي تاويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم
جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا او بمعنى الى ان فعلى الاول السؤال احد الامرين وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما الاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم
في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات لقوله ومن يومئذ دبره
او في مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ
وفي خلق الاشياء مدة تجامع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار والاعتبار للنظار وحث
على التأني ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة لله بلا كيف والمعتزلة استواء على الوجه الذي يقتضيه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتمله ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع

النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد
للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يطلبه سريعا كالطالب له لا ينفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف وحال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى الله بالوحدانية في الالوهية وتعظم
بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا يتخذون اربابا فبين لهم ان
المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين وعدد ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين
اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشاء انواع الموالید الثلثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما اتم عالم الملك عمد الى تدبيره
كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو ذلك التقرير وتلخيصه فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوهم متذللين مخلصين فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وعن نبيه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما
لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاتيان فيه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول
اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها

من قول وعمل لم قراءة لا يحب المفسدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد وطمع
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لظهور رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيع للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان
الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي
هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة بشرا جمع بشور بمعنى ناشر وقرأ
ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي بشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشير جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى ابشره
او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملته واستقلت من
القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او السحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به
ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني
واذا كان لغيره فهو للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت او كاحيائه باحداث القوة النامية
فيه وتطريته بانواع النبات والثمرات تخرج الموتى من الاجداث وتحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلموا ان من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته
وتيسيره عبر به عن كثرة النبات والثمرات وحسنه وغزارة نفعه لانه اذا وقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع وضربه على الحال

وتقدير

وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا منصوبا ونكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف لا كاهما وجملتي
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صلة بها ونوح
بن ملك بن متوشلخ بن ادريس وقيل بعد عيسى بثمانمائة سنة وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره
بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم
تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال
الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملأون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق
مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات
وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على
هدى كانه قال ولكني على هدى غاية لانه رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء
قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على تخاص النصح لهم وفي اعلم من الله
تقريرا لما افتتحهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اي
لا علم لكم بها وعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل على لسان رجل منكم
من جملتكم ومن جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب
الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة ترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب

والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه
فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا وقيل تسعة
وهم بنو سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال
من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين على القلوب
غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى
عاد اخاهم عطف على نوحا الى قوم هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن ابن عم عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في انقاذه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
استانف به ولم يعطف كما جوابا لسائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا
تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين
كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة
متمكنا في حمقه عقلا راسخا فيها لحسبت فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين اوجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره
وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وضبط النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامر به واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم
من رمل عالج الى بحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ملك
الارض بخوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة وهو خبيم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد

رجلا واربعين

وحتما لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على
التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يستبق فائتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد
للكل وانه لا يستحقها كائنا استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان تسميتهم
تحجيرهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق
الى مؤثره بقوله انها اسماء لغاية جهالتهم وفرط عنادهم واستدل به على ان الاسم هو
المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال لانها اسماء حق
لم ينزل الله سلطانا في جعلها آلهة فانتظروا لما وضح الحق وانتم تصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا
عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم
كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله
القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس جيئة فيسلمهم ومتى كهم اذا نزل بهم
توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهز اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد
في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله وانسباءه
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهول هؤلاء عما بعثوا
له اهمته ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الابيات لعل الله يسقينا غيثا فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
ما يبينون الكلاما حتى تناسى فاز عجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان

يستغيثوا

عنادهم

اطمعتم بشكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية اخبسه عنا لا يقدر من معنا مكة فانه
قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاد اما كنت تسقيهم
فانشأ الله سحابات ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم سحاريج عقيم فاهلكتهم وتخلصوا هود والمؤمنون معه
والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
بن نوح وقيل سموا بقلة مائهم من الثمد وهو الماء وقرئ مضروفا تاويلا للحي واعتبارا بالاصل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد
بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي قوله هذه ناقة
الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم
بيان لمن هي آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية ولما
اضافها الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط اسباب معهودة ولذلك كانت
فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة
الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب
اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر
تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها اي في سهول الارض ما تعملون منها
كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة والمفعول كما ان التقدير من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي علية
للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين
استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على سبيل الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب

السوقا الذي هو نعم تنبيها على ان ارسال الطهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي
راء وانما الكلام فيمن آمن بمن كفر فلذلك قال للذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم موضع ارسل ردا لما جعلوه مقولهم مسلما
فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعض للملابسة او لامكان برضاهم وعتوا
عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو امر الله صلح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
ميتين روي انهم بعد عاد عمروا البلاد وخلفوهم وكثروا واعمروا اعمارا طوالا لا يفي
بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية
آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبع فخرج
معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم فقام شاب منهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال
لها الكاثبة وقال اما تخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت سقيلها في العظم فآمن بجندع جماعة ومنع الباقون من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورئاب بن مبرم كاهنهم فكانت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فتاتي فتحلب ما شاءت لبنا يكفي لشربهم كل ماء فيها ثم تنتج فيحلبون ما شاءوا
حتى تملأ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم
وتمت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرق
شقيها جلا اسمه قدار فرغا لها فقال صالح لهم اذركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه فاذن الصخرة بعد رغاء فدخلها فقال لهم تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام يعد غد مصفرة ويعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان مخصوص اليوم الرابع تخطوا وتكفوا
الاطباع فانهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم
كان بعد ان اخبرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او اذكر لوطا
واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد فقط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفي
والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه قيل لهم اولا بأي
الفاحشة ثم اخترعها فانا سوا انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص ائنكم على الاخبار
المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية
الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي اوقعت
بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع
معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما كان جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم ولا استهزاء بهم فقالوا انهم
اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امرأته واهله
فانها تستر الكفر كانت من الغابرين من الذين في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوطا بن هاران بن تارح لما هاجر مع
عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم

ليدعوهم

ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله
عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على سائر
قريهم والى مدين اخاهم شعيبا وارسلنا الى اهلها وهم اولاد مدين بن ابراهيم
شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن ايها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى
للثعبان وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم عليه في المدارس الشنيع متأخرة عن هذه المقاولة تحتمل ان يكون
كرامة لموسى وارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل
ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا
مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلحها
اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع واصلحوا فيها والاضافة في اصلاحها والنهار
ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاخلاق وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق
وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى
في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتنك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطرق وتصدون
عن سبيل الله يعني الذين قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط
ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به

اى بالله وبكل صراط على الاول ومن مفعوله تصدون على اعمال الاقرب ولو كان
مفعوله توعدون لقال تصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير
فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها
للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة
فى النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية
او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها نعود فيها ونحن
كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه
ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا
وهو معنى المستقبل لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه
من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث تزعم ان
لله تعالى قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب
قسم محذوف وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا خلافنا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل
اراد به حثهم طمعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شىء علما
اى احاط علمه بكل شىء فما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا على
الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا

الجزء التاسع

والفتاح

والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
وتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال
الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لا تستبدلكم ضلالته بهداكم او لغوايات ما يحصل لكم من الكسب والتطفيف وهو
ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
فى دارهم جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين والتنبيه على هذا
والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وانى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لا تحقا فيهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف
آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كى يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة
السلامة والسعة ابتلاء لهما لا من بين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا
النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما زالنا النعمة
الله ونسينا الشكر واعتقدوا انه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول
العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى
وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل

الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من سببها

الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا لان لم يغنوا والمعنى المشترك بهم

فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على
قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتا او من اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر اوبات بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل
ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما
لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه
بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم عطف على مادل عليه اولم نهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى عاد المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعلت القرى خبرا ويكون
افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي
نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوا من قبل الرسل بل
كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم فقادعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد
النفي والدلالة انهم ما صلحوا للايمان لمنافاة حالهم في التصميم على الكفر والطبع

على قلوبهم

على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالآيات
والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض لاكثر الامم المذكورين من عهد
وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجج وما عهدوا اليه حين كانوا في غمرة وعافية من مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا لاكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا
ذا الحفاظ له خوان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لملك مصر كقيصر لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره للدلالة قوله فظلموا بها عليه
وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الابن كقوله وتشقى الرماح
بالضيا طرن الخمر ولان مالزمك فقد لزمته او للاغراق في وصف نفسه بالصدق
والمعنى اني حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي اطلاقا او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال
حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق بان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم
فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم
وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلت
فأت بها واحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى
فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل

على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى اسئلك بالله
ارسلك عليه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه
او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بياضا كان بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظار او بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء في حلتها روي انه كان آدم شديد
الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلبت شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قبل قاله فرعون واشراف
قومه على سبيل التشاور في امر فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء
التاخير اي اخر امره واهله ارجيه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت
وكذلك ارجئهم على قراءة ابن كثير على الاصل في الضم وارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية
ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
عنها وقراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه و
كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلان تنبيه الهاء
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب
ياء اجريت مجراه وقرأ حمزة والكسائي بكل ساحر فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه
في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين استانف بكانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير
ونافع وحفص ائن لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسد نعم وزيادة
على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا

عليها بتخيير العظيم الى ما هو ابلغ وتعريضا الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا لوارد رأيهم ووثوقا على شانه فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما ليس بحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم
ازهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان ألق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل
بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين
فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت الظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين
او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وألقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يتمالكوا
تمالكوا وان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى يكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى
وينقلب الامر عليه او مبالغة في خضوعهم وسرعة قال فرعون آمنتم به
بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح
عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان اذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها بعني القبط وتتخلصوا لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه
اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط زجره قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي

قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول للايذان بتوهم ان اراد ايمان فرعون

او انا المنقلبون الى ربنا وتوابه ان نعلت بذلك كانهم استطابوه شوقا على لقاء
الله او مصيرنا او مصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس منا بانى العدو انه
طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا انجرنا
كافرغ الماء وصب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا فى الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف
على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جار كم ويكون بينى
وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع
على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل ليفسدوا ويذرك
كقوله فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
الاهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا
نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انا المولود الذى
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده من قبل وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم
ان الارض يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والثبات فى الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصر وتذكير لما وعدهم
من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا
على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل
ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك

عدوكم

عدوكم ويستخلفكم فى الارض تعريضا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك
ولعله انما فعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد
روعى ان مصرا انما فتح لهم فى زمان داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى تعملون
من شكر وكفران وطاعة وعصيان لتجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به لما اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا اقحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكى يتنبهوا بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا
من الخصب والسعة فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا ويقولوا
ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فانا الشدائد
ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل القساوة سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر
فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم الفضل لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم
عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده
فانها التى ساقت اليهم ما يتشاءمون وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل جمع ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها
ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذى يهدد به الكف وما الجزائية ومحلها الرفع او النصب بفعل يفسره ما تاتنا به
اى ما تجئنا به من آية بيان لمهما وسموها آية على زعم موسى لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحرنا اعيننا وتشبه علينا
والضمير فى به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل

وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان
وقيل اولاد الجراد قيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
وظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بني اسرائيل في بيوتهم ولم يدخلها قطرة وركد على ارضيهم فنبعت من الارض وكبت
والخمر فيها وقام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا رجزه ونحن
نؤمن لك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه كما هو فيهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر فادع لنا الله عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم
العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فقال لهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء
ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الزعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على العاقل انها آيات الله ونعمة عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم او كان بين كل آيتين منها زمان امتداد كل واحد اسبوعا وقيل ان
موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل
او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عنده
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كالجابة في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد او متعلق بفعل
محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز

الى اجل

الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق والموت وقيل الى اجل يتوبون لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا
عنهم فاجأوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل الخلج بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
الاستعباد وذبح الابناء ومن مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا نواحيها التي باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدة بانهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يبنون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر
ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام وارائهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلعم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء
بعد هلاك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على
اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي
يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة لكلمات
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق ولكن لتعدد ما صدر عنهم بعد ما راوا من
الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه

يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويعظم اصنامهم ويجعلهم رضاعا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا
الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عنهم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق بما هم فيه لا محالة
وان الاحباط الكلي لا بد لمسعى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم
الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم
وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من اسلافهم بالرسل
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعته معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف
لبيان ما انجيناهم او حال من المخاطبين او آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب
نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب
من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأله ربه فامره بصوم ثلثين فلما
اتم اكره خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشتم منك رائحة المسك فافسدته
بالتسوك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى للتبين بالصوم والعبادة
فنزلت عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم ولا تكن مصلحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما كلم الملائكة وفيه دليل على ان موسى عليه السلام كان يسمع
ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدث

قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك وتجلي لي فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله قال لن تراني دون لن ارى ولن
اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد
فيه بعد وجعل السؤال والتمكين قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا
الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال المجوز
على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على الاجراء ابدا
وان الابراء عنه اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني استدراك يريد بان يبين انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بما هو دليل الجواز
ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قد قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية رآه جعله
دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي
دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
جمع دكاة وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال
تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن
وانا اول المؤمنين من قومي وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون
وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان
سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح

من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل
من الجار والمجرور اي كتبنا لكل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح
كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرذ او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها
الله تعالى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية وغيرها فخذها على
اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء بان
بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا بأحسنها
باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب
والحث على الافضل كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن
من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو
المأمور به كقولهم الضيف اجمل من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا
او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند
وساوريكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس
الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلائها او باهلاكهم بغير الحق حيلة يتكبرون اي يتكبرون بالبس بحق وهو
دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرأ حمزة والكسائي بفتحتين وقرئ الرشاد وكلتاهما لغات كالسقم والسقم
والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات
ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسبب
بسبب التكذيب والغفلة

بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة واتخذ
قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروها من القبط
حين همّوا بالخروج من مصر واضافها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد
هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر لاتباع كدلي
ويعقوب بالافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح
ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى فيه
من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه
ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وفعله انما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقرئ خوارا اي صياحا ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط
ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على ارشاد سبيل كلحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم
فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل
بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا
باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين قرأهما حمزة والكسائي بالتاء ورفعا على النداء ولما رجع
موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني
من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا
العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس
والمخصوص الذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتموني بها من بعدي خلافتكم ومعنى
من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه
والكف عما نهيت فيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي

تعديه او لجهلتم وعدتكم الذي وعدنيه من الاربعين وقد لم تموتوا وغيرتم
بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها
المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حموليا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل
قال يا ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي بحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا
كالمنادى المضاف الى الياء وقرأ الباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر اقبل القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني لتوهم التقصير في حقه
والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي
الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا
في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه
وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على
انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به
من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية
وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الحكم وآله موسى ولعله
لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وبما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كعبادة العجل وكفرهم لما سكت ولما سكت سكن وقرئ به عن موسى
الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه

جعل

جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله واخوه والذين تابوا اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب نقلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ
منها اي من الالواح المتكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين
هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول
واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا ميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ائتلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام
بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل
فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل
ان يرى ما رآى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بمثل فرعون
على اهلاكهم واغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منهم فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل
السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى عليه السلام لميقات التوبة
عنها فغشيتهم هيبة فلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا
على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى فدعا فكشفها عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك
حين سمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او وجدت في العجل خوار افرأغوا به تضل
بها من تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخائل وتهدي من تشاء هداية فتقوى
بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما فارقنا وارحمنا وانت خير الغافرين

تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بالكسر من هاد يهيد اذا امال وتحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول اي مبلنا
انفسنا او ملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول على لغة من يقول
عوذ قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره فساكتبها فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة
خاصة متكلم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اعز عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الامي مبتدأ وخبره يأمرهم او خبر
مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن
منهم محمد عليه السلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد
والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كماله مع حاله احد معجزاته الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير وكالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص
في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحركة لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه وقوموا اتبعوا النور الذي
انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره
او لانه كشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس

المرض

وقرأ ابن عامر آثارهم

اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا
الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة له وان حيل بينهما بما متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح
منصوبا ومرفوعا ومبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته انا انزل عليه
وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمه على ارادة الجنس او القرآن او عيسى
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن الكلم الى الغيبة
لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامر به تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة
يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم
في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وميزناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعولا ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز
على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر
السين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذف للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف على الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس

هو

هو الاله الاخير

كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باختيار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا سلمنا في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض
له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين
وعدنا امر وابو قرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطاياكم
بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو وخطاكم فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو علومهم
التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع
باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على ساحل البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود
الله يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او لمحذوف او بدل منه بدل
الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداء اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر
سبت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيده الاول ان قرئ ويوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدخلون في السبت
وشرعا حال من الحيتان معناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم

وقيل

وقيل كذلك متعلق بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية صلحاؤهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخربهم او معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ تقعه وكانه تقاول بينهم او قول من ادعوى عن الوعظ لمن لم
يرعوا منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة لاجابوه وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا اياهم معذرة الى الله حتى لا نتسب الى
تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذارا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذا اليأس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد من بؤس
يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بيس بكسر الباء وسكون
الهمزة على انه بيس كحذر كما قرئ لخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء كقيد وناقع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل للذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيئس كريئس على قلب الهمزة ياء مفردا عنها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا لاولى الناهين لما ايسوا على تعاظ
المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم
يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم
ولكن القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسابها ثم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد
ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان

بعناه كالتوعد والايعاد وعزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
للمعنى واذ وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فقتل مقاتليهم
وخرب ديارهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل بما فعل فضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تمنعه لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة
او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم
ناس دون ذلك منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على
الواحد والجمع وقيل هو جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين
كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى
يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى
تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز
عنه وهو محتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على
الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على الثبات من حيث المعنى فانه تقرير او على درسوا وهو اعتراض والدار الآخرة

خير للذين يتقون مما يأخذه هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك لا يستبدلوا الادنى
للموذي الدني الى العقاب بالنعيم الخالد وقراء نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على للذين يتقون وقوله افلا
يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم ووضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقراء ابو بكر يمسكون بالتخفيف
وافراد الاقامة لانافتها على سائر التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه
واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك لانهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي
وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل ما فيه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهورهم بدل من بني آدم
بدل البعض وقراء نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى نزل تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الانطاق والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقراء ابو عمرو وكلتاهما
بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم بالطريق عذر افتهلكنا
بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلون بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم

اخرج من ظهر ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك كما
رواه رضي الله عنه وقد حققت الكلام في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا
الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص
والاحتجاج بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل
عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي
الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله سيرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان
يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به او بلعم بن باعور امر الكنعانيين
او توفق علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فتحول في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا والى الشهوات
واتبع هواه في ايثار واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشية
الله كما استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها لا لانتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو
المشية وان ما يشاهد من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان
المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة
فمثله فصفته التي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حملت عليه بالزجر والطرد
او تركت ولم تتعرض له بخلاف سائر الحيوانات تضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من النفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع

موقع

موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل الدعا
على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة فانها اخق قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا
يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين اي مثل القوم وقرئ مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله
لاحاطاتها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض
دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في
الاخبار عن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعقبى
لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه
لهم قلوب لا يفقهون بها الا يلتفتون بها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا
يبصرون بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
تامل وتدبر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر وفوات
منافعهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
ما يمكن لها ان تدركه من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم
ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى لانها دالة
على معاني محاسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بلا توقيف فيه او عابوهم معنى فاسئلكم لهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او كانوا

بانكارهم ما شتى به نفسه كقولهم ما نعرف الرحمن اليمامة او ذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز
ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله يجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون
وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر الله تعالى بعد ما بين انه خلق للنار طائفة صالحين ملحدين
اعني الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفات كقوله عليه السلام
لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان قال اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن
لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا
واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما يريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام
علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقالوا ان صاحبكم لمجنون بات
يصوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين توضيح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها وسلطانها ليظهر لهم حجة ما يدعوهم اليه
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت
ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية

في البيان

في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر
وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقرآن او ما فانتظروا بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه
يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم
في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل
الله وحمزة والكسائي بها والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد
غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى رساؤها
اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان الابعاض تأوي الى الكل
قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها
لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها
بغتة واللام للتاقيت كاللام في قولك اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لخوفها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها
لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها من قولهم حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ
في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه فلذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة كأنك حفيه اي تكرمه لانه من الغيب الذي استأثر الله
بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما يظهر به من هذه الزيادة ولبلاغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا
ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لما لحقني حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب

حتى لا يستحي يقول ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم
يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ويتعلق النذير بمحذوف
هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جنسها من ضلع من اضلاعه
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان النفس الى جزئها وجنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى لمناسب فلما
تغشاها جامعها حملت حملا خفيفا خفت مثلا ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل من الثقل
ذي وهو الحمل خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف
وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به
فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا صالحا بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة الجديدة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فتعالى عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله تعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك
من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة
فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث واتيا ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب لاقصى من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية
قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة فسميا بهم عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي
وعبد الدار ويكون في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي ذوي
شركة باشراكه اياه او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جاء على تسميتهم آلهة
ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل

الخطاب
المشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل او صمتم لمبالغة وعدم
افادة التعادل من حيث انه يستوي بالثبات على الصمات اولانهم لما كانوا يدعونها لمجهم
فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة وتحتمل انهم لما عنوها بصور الاناسي
قال لهم ان قضاء امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا تستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية لم يبطشوا
ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وانتم وشركاءكم
فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا
انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد اي خذ العفو
من المذنبين والفضل والتسهل من صدقاتهم قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تقابلهم ولا تكافئهم بمثل
افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق امر الرسول باستجماعها وان ينزغنك
من الشيطان نزغ يستخفنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به

كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والخنس الغرز بشبه وسوسته للناس اغراء
لهم على المعاصي وازعاجا بغرور السابق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك
عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيملك عليه او سميع باقوال المستعذ اذا عليم بافعاله
فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم
فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كميت وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما امر الله ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد
الشيطان فيحترزون منها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين هم اخوانهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه
وقرئ يمدونهم من امد وامد ونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء بمعونتهم
بالاتباع والاستمالة ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون
الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم اية
من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها تقولا من نفسك كما
تاتي اولا هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست مختلقا للايات او
لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها تبصر الحق
وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا
له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا بالاستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا
وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على الماموم وهو
واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة
سرا بعد قراءة الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة

متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه
ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدوة والعشيات وقرئ والا
وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملاء الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
ينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلم من قرا سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآياتها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى
وفضل كما سمي ما يشترطه الامام لمتقدم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله
والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم لمهاجرون منهم او الانصار وقيل
شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا رداء لكم وفيئة تحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول
للشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله سالتني السيف

وليس لي وانه قد صار لي فاذهب وخذه وقرئ يسالونك على نقل الحركة الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالك اصحابك ما شرط قسمته
فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمسامحة
فيما رزقكم الله وتسليم امر الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر
والانتهاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون
الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن
او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان تحلوا
اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال
الجوارح التي العبارة عليها الصلوة والصدقة وحقا منصوب بصفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقون بها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعدلهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب
وكراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها
مهاجره ومسكنه او بينه فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها

تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب
ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه
حجر منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبأ حتى
تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ما كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه بوادي ذفران
فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام
سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين
بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوفوا ان لا يروا نصرته
الا على عدو هجم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطينا على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فانا الذي نعطيك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا

وانا لصابر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك مناما يقر به عينك فسرنا
فسرنا على بركة الله فلما قطعه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد
وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثار الجهاد باظهار الحق لا ايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
انما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم
كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى
ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يخوفها
ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال
او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما الله يجعل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي ما فعل وليس فعل
بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان
الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا
على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي

ما وعدتني

ما وعدتني ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اي عند دعائكم
باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او لاجراء
استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انهم
المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وفتحها
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف لتوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او ردوهم
واعانوهم او من قال منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله
الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول بها عن الخيل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله من ورائه وامداد الملائكة وكثرة
العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا بفقدها
اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
عند الله من معنى الفعل او بمحذوف اضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم عناء والامنة فعلة كالغلبة وتجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعلة المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه اذ كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لامنة
من الله لولاه لما غشيهم كقوله يهاب اليوم ان يغشى عيونا مهابته فهو نعاس ورود وقرئ
امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ليطهركم من الحدث والجنابة ويذهب

عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخيله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
روي انهم نزلوا في كثيب اعفر يسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام
وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اي المطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك
بدل الها او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او تكثير
سوادهم او محاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك حمل الخطاب فيه مع
المؤمنين اما على تغير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون
المؤمنين به كانه قال قولوا لهم بعد ذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس
واضربوا منهم كل بنان اصابع او مفاصل او مقاتلهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب
او الاسر والخطاب للرسول او لكل واحد من المخاطبين قيل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق
الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بالعقاب في الآخرة بعد ما عاقبهم
في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر
ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا وعليكم لتكون
الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة

على ان الكفر

على ان الكفر هو سبب العذاب الاجلا والجمع بينهما وقرئ ان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى كثرتهم كانهم زحف
وهو صفة من زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف
وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب
زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم ويدبون
اليهم فلا تنهزموا ومن الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين
حين ولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر
بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان عمر انه كان
في سرية فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم واصاب متحيزا ومتحيزا على الحال
والا لغو لا عمل لها والاستثناء من المولين اي الا حالة متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفعل
لا مستفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية
وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم ولكن
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما
طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها تكذب
رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
ثم لما انهزموا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وفعلت والقاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت بالمحذوف

ولم تقدر عليه اذ رميت اى اثبت بصورة الرمى ولكن الله رمى اى ما هو غاية الرمى
واوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ
يطلق على المسبب وعلى ما هو كالة والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعمة طعن بها ابى
بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور خوير الثور او رمية سهم رماه يوم حنين
الحسن فاصاب كنانة بن الحقيق على فرسه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا
ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع
اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
الخطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنتهين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصره ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاشياء
او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كاية ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة
عما يستاثر به الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو
ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم
ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان
المراد من الاية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه

على ان

على ان طاعة الله فى طاعة الرسول كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد والامر الدال عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم
وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم
لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر
ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم عن النطق الذين لا يعقلون اياه عدهم
من البهائم لتعاميهم عن تدبر حججه شرها لابطالهم ما فيه وابه وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا
سعادة كتبت لهم وانتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم
ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا ابدا التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى اخرج لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى نشهد
لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم بالطاعة وعد الصبر فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام
مر على ابى وهو يصلى فدعاه فخفف صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى
قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته
لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تحسبن الجهول حيا لكنه فذلك ميت
وقيل كفاه او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة كقوله تعالى بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل
عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه
وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتمثيل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرء

بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة
من يشدد فيه واليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكرين بين اظهرهم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافشاء الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط مترتب
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم
او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجهين الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا
اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب
للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا
معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة وجعلكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او مظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول
في المغانم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح
كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد

فاشار

فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فتاب
الله عليه فقيل له قد تيب عليك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول
الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدقت به واصل
الخون النقص كالوفاء التمام واستعماله في عهد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
امانتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم
تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله
ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر
رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانبطوا همكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين الحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بطل فعل
كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويستر عليها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر
لانها في اهل بدر وقد غفر لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعد
لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقويهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر
نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك
الوثاق والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لاجراله به ولا يبرح وقرئ
ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك

وتابعتهم

من تكلة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار وبيعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امر فدخل ابليس عليهم في صورة شيخ وقالوا من هذا سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال
الشيخ بئس الراي بايكم من بقائكم من قومه وتخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد
قومكم غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنوها على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل
النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه
وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله يردّ مكرهم عليهم
او يجازيهم عليه او يعامله المكر معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون
مكره واسناد امثاله هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول
النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قائمهم
او قولوا لذين اثمروا فاذا امر عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو
استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل البالغ في الجحود روي انه لما قال المنضر هذا
الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك لمحمد

عذاب

ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه هو
مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه
النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والموقع في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم
في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك مهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
مستحقين ولايته امن مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم نصد
من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه
غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه على
ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم
عند البيت اي دعاءهم او ما يسمونه صلاة وما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدى
او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن
هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشتبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون
عليه ويروون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب

فاللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود اثنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور وفي ابي سفيان اشار
ليوم احد الفين من العرب سوى من اجتاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن
انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وان لم يقع بعد ثم تكون عليهم
حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها نفس حسرة وبين عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين
كفروا اي الذين بقوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكموا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما آل الكافرين فيجعله
في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل
للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالياء والكاف
على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت

سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء
على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي انتهاءهم
للمؤاخذة يستدعي اثابة مفاعليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير سهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل
الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر مفوض الى راي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة
اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة
فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلم
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم

وحرثنا فأما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقوا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى
والفقر فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الكل
لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص
والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وكانت
ايام النصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله
متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العالم العملي اذا امر
لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد من الآيات والملائكة المسلمين والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر
القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث
الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير وقوادها
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو
واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتباس امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال من الله خارقا
للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد

والنصر وقرئ عبدنا بفتحتين
اي الرسول والمؤمنين يوم
الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه
بين الحق والباطل يوم التقى
الجمعان هم

ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله
مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام
والمراد بمن هلك ومن حي المتارك للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه
وقرئ ليهلك بالفك وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حي بفك الادغام
للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدرا ذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك في رؤيائك ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال
وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انه سبحانه من الفشل والتنازع اي
علم بذات الصدور علم ما سيكون فيها وما يعتقد
احوالها ولكن اذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حالان الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال
ابن مسعود لقد اجتهد اراهم سبعين فقال لهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور
قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى
يروهم مثليهم ليفاجأهم الكثرة فيبهتهم ويكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات
تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع
التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل
اولا ان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال
الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم
جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال

فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ليفيض
عليه سر الصبر ورباط الجأش وفارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او الحد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد
بها الحقيقة فان النصرة الا بريح تبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء
الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا
ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر
بضده ويصدون عن سبيل الله معطوفا على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه
واذ زين لهم الشيطان مقدرا باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انه قربات يجيرهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وانصر الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه

رجع القهقرى اي بطل كيده وفار ملخيل اليهم انه يجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم
لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة
تنزل نكص وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني
اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ راى فيه ما لم ير قبله والا ولما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل
هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يقوى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم
يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان
لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يبدر وافاظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منهم او من الملائكة ومنهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم وانما
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق

عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه
للدلالة على ان سببية مقيدة باضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعظيم وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عادتهم وطريقتهم الذى داوبوا فيه اى داموا
عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوى شديد العقاب
لا يغلبه فى دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الى الحال السوء كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض
الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم
والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما اخذوه بعد المبعث وليس السبب
عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم واصله يكون فحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد
ولما ينطوى به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذه آل
فرعون وقيل الاول للتشبيه الكفر والاخذ والثانى للتغيير فى النعمة بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرق فى القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا

اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار
عن قوم مطبوع عليهم على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق
المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم فى كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة
عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم
عاهدهم فنكثوا وما لئوهم عليه يوم الخندق وكعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن تضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
شيئا العذر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصرة المؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تثاقفنهم وتظفرن بهم فى الحرب فشرد بهم فرق عن مناسبتك
وتكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم يذكرون لعل
المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد
فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء الخوف والعلم
بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى نابذا على طريق سوى او منه
او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ
وللنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريق الاستئناف ولا تحسبن
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول
الاول انفسهم فحذف للظهور او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا يحذف وعلى ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر
وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر تعليل النهى اى لا يحسبنهم

سبقوا فاقلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكانا
ان كسرت ان الآية تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يخدش من
العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا لهم
المؤمنون لهم لنا تفي العهد وللكفار ما استطعتم من قوة كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها
ثلثا ولعله عليه السلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
ترتبط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا وارتبط
مرابطة ورباطا وجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به
تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او الاعداد عدو
الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة
وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاءه وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد
يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها
وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطائهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب
لانها لمقاتلتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله فان يحسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا
والف بين قلوبهم مع ما بينهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك

على الانتقام بحيث لا يكاد يالف بينهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال
لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه الملك
للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعجزه شيء مما يريده حكيم
يعلم كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لا تدخلها وقائع هلكت فيها سادات هم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تحابوا وتصافوا وتواصلوا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك
والضحاك سيف مهندا والجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا
على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل
اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال
ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم
عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرض من الحرض
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا يغلبون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر يكن بالتاء في الآيتين وابو
البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا وقتلوا فلا
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم

وكرر المعنى بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير والجمع والضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا سبعمائة وثمن فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصرة والمعونة
فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان
بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حمية
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واضعفه الثخانة وقرئ
يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد
الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه
وقرئ يجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل
نارا والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها
كما امر بالاثخان ومنع عن الاخذ اذ حين كانت الشوكة للمشركين وحين يثخن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم قال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغنانا عن الفداء مكني من فلان لنسيب لعمر ومكن عليا
وحمزة من اخويه فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين دياره فخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانهم قد يكونون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله

سبق اباحته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها مستحقة لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجى
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه انما اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانه من جملة الغنائم وقيل اشكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للسبب والسبب محذوف
تقديره اغنمت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تسبب من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازالة ما وقع في نفوسهم
منه بسبب تلك المغالبة او حرجها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه
رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال لا تجحفا
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث لي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي تعالى قال
فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه
الماخوذ بالعقل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون لما هاجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها

على المجاورة والفسهم في سبيل الله بما شرع القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعلو والصناعة بالكتابة والامارة كانه يتولى
صاحبه يزاول اعماله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او
الموارثة وهو مفهوم يدل على عدم التوارث او الموارثة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوا
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم
المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم
بحصول مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد
الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة فيه ولا منة فيه ثم الحق بهم
في الامرين من سيلحق بهم وينسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه
او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة وشاهد ذلك الا واعتبار
القراءة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع

يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له اياما حيوة سورة براءة مدنية
وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي تبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما
يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وايهاما انه ثانية وثلثون وقيل
تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه سورة او آية بين موضعها
وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها شابه قصة الانفال وتشابهتا لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة في انهما سورة
واحدة هي سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة من الله ومن لمبتدأ متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله
واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا
منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين فامهل المشركين اربعة
اشهر ليسيروا اين شاءوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة
وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر والتبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد

ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فدعا ناقة
على فجمع ابو بكر الرعاء فوقف وقال هذا رعاء ناقة رسول الله فلا يلحقه فالامير او
مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الكل ذى عهد عهده ولعل قوله لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلم
بعث كان يؤدى عنه كثير لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات
لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان
انه
انهلكم وان الله مخزى الكافرين بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة
وأذان من الله ورسوله الى الناس اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لانه فيه تمام الحج ومعظم
افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه السلم وقف يوم النحر عند الجمرات
فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلم الحج عرفة
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقى اعماله او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيده عيد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله
اى بان الله برئ من المشركين من عهودهم ورسوله عطف على المستكن فى برئ
او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا يكرر فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة

اوتيتم على التولى عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه فتطلبا
ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فى الآخرة الا الذين
عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد
ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يعينوا عليكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اى اتموا مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه
من سلخ الشاة الاشهر الحرم التوابع للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيها نزل نبذ ما يمنعها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل مترصد لا
يثبت طوارق البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله
غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد
لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمورين بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره فآمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبر
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم ولا تدفع
بفعل يفتر ما بعده لا بالابتداء لان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا تدنس امانهم
ربما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله

استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يكون مع عدم مشاهدتهم
او لان يؤمنوا بالله ورسوله بالعهد وهم يكفرون وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او
للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على
الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا تبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام المستثنون قبل وصله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان
الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم وان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انهم مطلق وهذا مقيد وما يحتمل
الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم
على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله وخيل
تمر واما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف تمات وان يظهروا
عليكم اى يحالهم انهم ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا ولا
قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كالسقب من رال النعام وقيل
الحلف ربوبية لعلها مشتق الحلف من الالى وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وتظاهروا فمن استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما يعقده الحلف
من الربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الك الشئ اذا حدده او من الالى البرق اذا لمع
وقيل انه عبرى بمعنى الاله لان قرئ بالاكبر وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب
على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف ببيان حالهم المنافية لثباتهم على
العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم
بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم الى عدم مراقبتهم المؤدين
بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث
ان ظهروا لم يرقبوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض

الكفرة

الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والقاء الملائكة على
ان استرداهم اذاهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه قوله
لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وان تابوا
هم المتقون فى الشرائع فان تابوا من الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون
اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال الاشقياء نبين وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود
وطعنوا فى دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم
فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او لمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى
وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم
لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان
الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس بيمين وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان
نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان ولا اسلام وتشبث به من لم يقبل
توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين
او ليس لهم ايمان فتراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم
فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لا الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل

نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول او المؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امر بدار الندوة على ما مر
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتعادوهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم
مؤمنين فان قضية الايمان الا يخشى الا منه قاتلوهم امر القتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ووعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله
بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة
ما اجيب به الامر فان القتال كان سببا لتعذيب قوم وتوبة قوم آخرين والله
عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم ونفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به يستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين ولجة بطانة يولونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فيها
من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم

منه وهو كالمزيل لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ناصح لهم
ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما
جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ
له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها
لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لا يزين له كحديث الدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به
ولذلك قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين
فان الخشية عن المحاذير جبلي لا يكاد العاقل يخلو عنها فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين ذكر بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا تشبهان بالجثة بل لا بد
من اضمار تقديره اجعلتم سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد

الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة
بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله وفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عند كم
واولئك هم الفائزون بالثواب وبنيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم والمرو قراء حمزة يبشر بالتخفيف وتكرير
المبشر استعارة بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم تستحقر دونه ما استوجبوه لاجله
او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين
فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن
الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر
وعشيراتكم وقرى وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها نوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ
عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة

وقيل

وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد
عظيم وتهديد لمن تخلف عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين وحنين واد بين مكة والطائف سارت فيه رسول الله
والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء
هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم
واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة
على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا حتى عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم
اخذ كفا من التراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
اي الكثرة شيئا من الغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
اي مع سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكان ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على
رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالتيهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها يعني
الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية آلاف وستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم

في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم التوفيق للاسلام والله
غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس واتربهم وسبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فمن
كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما
المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه
دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كا
الكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كبدن في كبد والكثر ماجاء بالفتح
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقرب للمبالغة او للمنع عن قرب
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم
من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل جدة بالحج وجرت عادة الحج
وانتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة ليقطع الآمال
الى الله وليتنبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفي عام دون عام ان الله عليم بما حولكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا

يؤمنون

يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه واو الا البقرة
فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر
الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن
مواتية يعني منقادين او عن يدهم يعني مسلمين بايديهم غير راعين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم يعني عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فانا بقاؤهم بالجزية نعمة عظيمة
او على الجزية يعني نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
تؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب
وقوله ان عمر لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلم
اخذها من مجوس هجر واذا كان سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلم صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة
وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما
احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا
الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم
يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين

على انه عزير مخبر عنه بابن غير موصوف وصفته في القراءة الاخرى اما للمنع صرفه
للعجمة والتعريف والالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو ضعيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوا استحالة
لان يكون ولدا بلا اب ولان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اتانا كيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز
عنها او استعارة بان قول مجرد يعني قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله واليهود على الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيلاء
التي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم فان من قاتله الله هلك
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله
وتحليل ما حرم الله والسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا
الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على
وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بتحريه وانما صح الاستثناء المفرغ
والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله

عليه

عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع
المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير
في ليظهره للدين الحق والرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال لانه الغرض الاعظم
منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون تنبيها
في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال
ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقرانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل
عليه انه شق كبير على المسلمين فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكوته
فليس بكنز او كنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فينا امر الله
ان ننفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه
وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
اي يوم توقد النار ظرف يحمى وحذف عليها واصل يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه عشرة آلاف ومادونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول وللفضة وتخصيص القربها ولا لتحكمها على ان الذهب قوله

بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم واسكانهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه ولو لم ظهورهم لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد ولانها اصول
الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن ومآخره وجنباته هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اى وبال كنزكم او ما كنزتموه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ
او فى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر
منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو
الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن
انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها
منسوخة واقول الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم
وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عليه السلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
فى شوال وذى القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهو مصدر وكت عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان
الله مع المتقين بنصره وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسئ اى تاخير حرمة
الشهر الى شهر آخر كما كانوا اذا اجابوا شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسى بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنساء والنسأة وقلتها مصادر نسأه اذا

اخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر مضموم الى الكفر
يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون المنسئ من الاشهر
الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل
اول من اخترع ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان
آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة الاربعة
فيعدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا اعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل
الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأأنفرتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق بما ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الآخرة فى جنب الآخرة الا قليل
مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك
بسبب قطع كفيه وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا
فان الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله وعده له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل
واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله

له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسند الاخراج الى الكفرة
لان همتهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف ثالث لصاحبه
وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته
امنه التي تسكن عندها القلوب على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه
وهو الاظهر لانه مسنر بها وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار
او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله
نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة
الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك تخليص الرسول
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او تاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او حفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين
والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا
ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة مالكم وكثرتها
او ركبانا ومشاة شبانا وشيوخا او خفافا من السلاح او صحاحا ومراضا وقيل لما قال
ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله

صدق

صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا
قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون
بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا
استطاعة العدة والبدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة لخرجنا معكم سادّ مسد جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاكات وحال من فاعله والله يعلم
انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك كناية عن خطئه
في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة
عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب هلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار لا يستأذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين
ان يستأذنوا في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه
فضلا ان يستأذنوا في التخلف عنه ان لم يستأذنوا في التخلف كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه الايمان بهما وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة
اهبة وقرئ عدة بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي فعلوا
وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن ثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين

تثبيطا لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر القعود
او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم
وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا لا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التعميم جعل الاستثناء منقطعا وليس
كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولا سرعوا ركابهم بينكم بالنميمة والتفريق
او الهزيمة والتخذيل من اوضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون لهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم لينقل اليهم والله
عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم لقد ابتغوا الفتنة تفتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كانوا تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي حدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا الى احد وقلبوا لك الامور ودبروا
لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر
امر الله على ما يشاء وهم كارهون اي على رغم منهم والاتيان لتسلية الرسول والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكرا بعاثهم او هتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوتت الرسول المبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا تورطني في الفتنة اي المعصية
والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم يأذن او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او فيه اشعار بانه في الفتنة
بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني
ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي
سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لانها احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة
بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض

غزواتك

غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر وشدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحفظنا
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا عن مجلسك بذلك وهم فرحون
او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
انما اختصنا بالاصابة وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير
هو مولانا نصرنا وتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على
غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل
انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدة المبالغة في تساوي الانفاقين وعدم القبول كانهم
امروا بان يتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول الجد بن قيس ائذن لي
اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم
كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات
غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون
على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال
لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها

قل هل تربصون بنا

الوارم

وحفظها من المتاعب وما يرهقون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالقنع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يدخلون فيه متفعل من الدخول
وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مندخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا
ومندخلا من تدخل وادخل لولوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يرده شيء
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب
يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج
كان رسول الله يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون فان يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز
الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تعليما
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون
الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه انسيب
فقار والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كانه اخرس سكنه

لا قبلوا نحوه

وابن كثير بالادغام

لو اعدل نحوه

وبدل

وبدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتتألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلعم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذي كان خاص ماله وقد عدمته منهم من يؤلف قلبه ليسلم منها على قتال الكفار ومنها
نفي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله وكثر اهله سقط
وفي الرقاب والصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل
بان يشتري الرقاب فيعتقهم وبه قال مالك واحمد او بان يفدي الاسارى والعدول عن
اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المدينين لا لنفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات
بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل
الله او لعامل او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق المسكين فاهدى
المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله والصرف في الجهاد بالانفاق على الغزاة
واشتراء الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية
ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان
يفتي شيخي والدي رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب تصريحا

على

عند ابي حنيفة

عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدق
سمي الجارحة لمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس
عينا لذلك واشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشمل روي انهم قالوا
محمد اذن سامعة تقول ما شئت تبلغه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم
تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ظنوه بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان منكم
حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بما لكم
بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة عطفا على خير وقرئت بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ واذن خير على ان خير اضافة لها وخبر ان والذين يؤذون رسول الله
بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا وتخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بارضائه بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين ولان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه ولان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشأن
وقرئ بالتاء من يحاد الله ورسوله ملحد فان الجزاء محقق له وعلى تكرير ان للتأكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحاد الله ورسوله
يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمير
للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرر ومحتج به عليهم
وذلك يدل على تردهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على يقين في امر الرسول يستهزئ
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل

استهزؤا ان الله مخرج مبرز ومظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
توبيخا على استهزائهم من لا يليق الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاركم فانها معلولة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن
طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم النون
فيهما وقرئ بالياء الفاعل فيهما وهو الله وان نعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى
المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كالبعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال
المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبارة وقبض اليد كناية عن البخل نسوا الله
اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين
هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع دائم
تأويله ما سوى عذاب النار من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين وقعلتم
مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتهواتها

من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها من النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الحقيقية تمهيدا
او كالخوض الذي خاضوه واولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبؤا الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابرهيم اهلكوا بمرود ببعوض واهل مدين اصحاب الايكة واهل مدين وهم قوم
شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قرى قوم لوط ائتفكت بهم
اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قرى المكذبين والمؤتفكة
جمع وانما كهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات يعني الكل
فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشارك به ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قول المنافقين والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة يستطيبها النفس ويطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلم عدن دار الله
التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود
لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو اسنى الاماكن التي تصرف نفوسها اليه طباعهم اولا ما يقرع اسماعهم ثم وصفه

تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم وخضتم
وخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا صح

بانه محفوف

بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن نحو منها
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة ثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا يعتبر ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
عليه السلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك
قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذي تحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلم قام في غزوة تبوك فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد
اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو اثنا عشر منهم
توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا استسلم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا واخبره واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله وما نقموا وما انكروا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
اثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فامر رسول الله بديته الى عمير الذي رماه فاستغنى
والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل
الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم

الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
فيجيرهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي
الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومر بثعلبة فسألاه الصدقة
وقرآ الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا
حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال انما انا منه فان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل
الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل
والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله وجزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او للمقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم
يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن وتسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم

المطوعين

المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له
حتى بلغت احدى امرأتيه نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر الجرير على صاعين تركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا
جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان
عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض
ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلم لازيدن على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لان عليه السلم
فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك مخالفا لحكم ما وراءه
فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول الاستغفار لك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل العدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي
القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر
بالاقلاع عن الكفر والارتداد الى الحق والتمسك به وكفر المطبوع عليه لا يقلع ولا يهتدي
والنفي على عدد الشيء لا استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم

مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه بقال اقام خلاف
الحي اي بعده ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ايثارا للدعة والتقاعد على طاعة الله وفيه تعريض بالذين
آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم
لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون حالهم
في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حقيق بان يجاب ويجوز ان يكون
التهكم والبكاء كناية عن الشرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى
طائفة منهم فان رده الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان
كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج
الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان استصلاحهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واقرارهم على الحرمة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين جمع
اياتهم للرجال كالنساء والصبيان وقرئ مع الخالفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان بخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لابي
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له
وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب دون النفع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن
او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او تابيد الموت

ولا تعجبك

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير
الاول واذا انزلت سورة من القرآن وتجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله
بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين تعودوا
لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين الجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان
غزونا سلبت غارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذرات من عذر في الامر اذا قصر
فيه متوهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ
بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو من اذا التاء لا تدغم في العين وقد اختلف
في انهم كانوا معتذرين بالصحة او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين

فلذهبهم الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب ومن المعتذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
والسر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح اوما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم مخرطون فى سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسئ فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله وقالوا لا نجد ما نحمل عليه فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا احملكم
عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد قلتم جوابا اذا واعينهم تفيض تسيل بالدمع
اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر
لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا وتفيض ما ينفقون
فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون
للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على
قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مضرته يعتذرون اليكم
فى التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن
نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض

من حقائق شرط

اخباركم

اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد ويرى الله عملكم ورسوله
انتهوا عن الكفر ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة اى الله فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على
سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التاديب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستدعوا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وصدد
عقابه او ان تمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يفتضح سرهم ولا تنزل الهوان بهم والمقصود من الآية
النهى عن الرضا عنهم والاعتذار بعد ما ذم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم
لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر بان لا يعلموا الا
حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق نصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان وتقلبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر اسم
نحو ما يتربصون به

عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا

الا

رسوله

فاعل من دار يدور وقد سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة
كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات
وهي ثانى مفعولى يتخذ وعند الله اظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين وهم يستغفر لذلك سن للمتصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه السلام اللهم صل
على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق رجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله فى رحمته وعدهم بادخاله
الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقرير قبول الاولى
فى السد وعطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل
العقبة وكانوا سبعين والذين آمنوا عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ الرفع
عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من التابعين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجرى تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر المواضع خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم ومن حولكم اى من حول بلدتكم يعنى المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا حولها
ومن اهل المدينة عطف على من حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق
وتقديره وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر وكلام مبتدأ

وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء
ههنا وفى الفتح بضم السين

صفتهم

وقرأ ورش قربة بضم الراء

حين قدم

لبيان

لبيان تمردهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنويه فى تحامى مواطنهم الوحدا خفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم وتطلع على اسرارهم ان قدروا ان يتستروا عليك لم تقدروا ان يتستروا
علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او احدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة وبالكآبة
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد ربطا
لانفسهم مما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اؤمر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو
التخلف وموافقة اهل النفاق والواو بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاة شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم
ان يقبل توبتهم وعسى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وخبث المال المؤدى بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى
بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للتائب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لجميعهم والمراد به التخصيص عليها ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات

يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وانه هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا
كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المخلفين
مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأه اذا اخره وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
مرجون بالواو وهما لغتان اما يعذبهم في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما
يتوب عليهم ان يتوبوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تع
والله عليم بحالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور والمراد بهؤلاء كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يكلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي ومنهم وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضرة
للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا قصدوا ان يصلي
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعلوا طحنه كما كناسة وكذا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله
ورسوله يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قومي
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن ومن
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل

كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام وقيل متعلق بحارب او
باتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبل غزوة تبوك فسألوا
رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل
كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلوة والتكن والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله
وصلى فيها ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اول من وضع للقبلة او مسجد رسول الله
لقول انس سعيد سألت رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم
من ايام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقولهم لمن الدار بعقة الحجر قرين من حج ومن دهر
احق ان تقوم فيه ولي بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا يأتون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويثيبهم
من جنابة اذ ثناء المحب حبيبه فلما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال المؤمنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام ترضون بالقضاء
قالوا نعم قال الصابرون على البلاء قالوا نعم قال الشاكرون في الرخاء قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا عليهم ان يتطهروا ان يتطهروا بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان
خير من من بنى بنيانه على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فاذري به الجرف وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف موضع
جرف الوادي لما في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانتقاض من غير تحقيق بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك

على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وانس
هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم الى النار بالخلود
وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرأ اساس بنيانه واسس على الاضافة واسس بنيانهم
واساس واساس بالكسر وفتحها جمع اسس وتقوى على ان الالف للالحاق كالتاء في كنتري
وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر حرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوه هدما اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم
اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانهم يحملهم
على ذلك ثم لما هدم الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول ونسبه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار
وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما امر بهدمه بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان جعل لهم
الله ايام الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
استيناف وبيان لما اجمله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند
الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل
والقرآن مذكورا فيها كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده مبالغة في الايفاء وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وانه

بالتنوين م

صلاحهم ونجاتهم

من الله

لم يجاهدوا الكفار وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما تقدم اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جر اضافة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون له على نعائمه ولما انابهم من السراء والضراء السائحون
الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه به لانه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد
او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة
واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه
وفيه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل ومنا تجملها
وقيل انه لا يدان بان التعداد قائم بالتابع من حيث السبعة العدد التام والثمان هو
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني بهؤلاء الموصوفين
بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم
الى ذلك وان المؤمن الكامل كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك
بها عند الله فابى وقال لولا ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك فنزلت وقيل لما افتتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستغفرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبرها
فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل الآية ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل
على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب لتوفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار
ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وعلى الوعد

لم يجاهدوا

لقوله

بيان

فلا تتبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او وحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع
استغفار ان ابرهيم لاواه بكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع نكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم
للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
الرسول في قوله لعمه ولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا
على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الخطاء غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راشا بين لهم ان الله مالك كل
موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او تاب لهم
عن ملقى الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي
اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلهما بانهما مقام الانبياء والصالحين من عباده
الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة
الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء
حتى نحروا الفطر من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول وزيغ كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ
حمزة وحفص يزيغ بالتاء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب
فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على ان تاب عليهم من اجل
ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم

وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون

وعلى

وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحزن
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعودوا لجملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليهم بالنعم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم
وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم
وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يرض نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امرأتان حسناوان فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته ثم اخذ سيفه وروحه فجرى كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزجيه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان فعرج به رسول الله فاستغفر له ولا يرغبوا
مجزوم النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف
او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار
يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على

الحيرة؟

اصحابهم

المتابعة

وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سوق بحبلهم
الى ما يكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش
العسرة ولا يقطعون وادياً في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل
من ودى اذا سال اتساع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعاً لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتبطلوا جميعاً فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاقها وتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم وليجعلوا غاية سفرهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكر من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يتشفى ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل قبيلة نفر وانما نفر طائفة الى التفقه
لينذروا فرقتهم لكي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر اخبارهم لم تتواتر لم يفد ذلك وقد
اشبعت القول فيه تقريراً واعتراضاً في كتاب الحصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انه لما نزلت في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للباقي بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذروا الباقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم باحتشاد
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امر

بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله ولا بأس بتقديم الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم بنو حنظلة الذين كقريظة والنضير وخيبر
وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبراً على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين
من يقول انكاراً واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايماناً وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجساً الى رجسهم كفراً بها مضموماً الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين
وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون
ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكاراً لها وسخرية او غيظاً لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم
احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان رآهم احد اقاموا ثم انصرفوا
عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو محتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم
عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومنهم
رؤف رحيم فتم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على القول
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله
الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل

القرآن على الآية آية وحرفا وحرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا
على رسول الله وحولها سبعون الفا صف من الملائكة **سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات**

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تقدم ذكرها ابن كثير ونافع وحفص واماليها الباقون اجرى الالف التي هي منقلبة من
الياء **تلك آيات الكتاب الحكيم** اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لكلامه حكيم ومحكم آياته لا ينسخ
نحو **أكان للناس عجبا** استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمها **أن أوحينا**
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان أوحينا بدل من عجب واللام
للدلالة على انهم جعلوا عجبهم لهم لوجوه نحو انكارهم واستهزائهم **الى رجل منهم**
من اثنائهم ورجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العادية
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر
الا في المال وخفة الحال اعون نحو في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام **أن انذر الناس** ان
هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعولا وحينا **وبشر الذين آمنوا**
عم الانذار اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخص البشارة اذ ليس للكفار
ما يصح ان يبشروا به **أن لهم** بان لهم **قدم صدق عند ربهم** سابقة ومنزلة رفيعة
شبهت وقد الان السبق بها كاثبات النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية **قال الكافرون ان هذا** يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول **لسحر مبين** وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة آيا منهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا سحر مبين **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض** التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر بتقدير امر الكائنات على ما اقتضته حكمته

وسبقت به كلمته وهيأ لتجريه اسبابها وترتيبها منه والتدبير النظر في ادبار الامور ليجيء
محمودة العاقبة **ما من شفيع الا من بعد اذنه** تقرير لعظمته وعزته وجلاله ورد على من زعم
ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له **ذلكم الله** اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية **ربكم** لا غيره لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وخصوه بالعبادة **افلا تذكرون** تتفكرون ادنى تفكر فيتبين له على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه **اليه مرجعكم جميعا** بالموت او النشور الى غيره
فاستعدوا للقائه **وعد الله** مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه **انه يبدأ الخلق ثم يعيده**
بعد بدئه واهلاكه **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** اي بعدله
او بعدالتهم وقيامهم على العدل في اعمالهم وايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم
عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب**
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم يكفيهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب والاخ بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه ساقه اليهم
سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه بدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب
وعد الله او بما نصب حقا **هو الذي جعل الشمس ضياء** اي ذات ضياء وهو مصدر
كقيام وجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين
في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** اي ذا نور وسمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وبالعرض نور وقد
نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب

وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر سير كل واحد منهما منازل
او قدره ذا منازل والقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وانا طة احكام
الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام ومعاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص نفصل بالياء ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانهم الذين يتامل
والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا
اليها مقصرين جهدهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يبرح عنها
والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات والانهماك
في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم يرض الا بالحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل في الآجل والاستعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما
واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او الى ادراك الحقائق
كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والمراد بهدايته في الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والتزيين له تجري
من تحتهم الانهار استيناف وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
في جنات النعيم او حال اخرى منها او من الانهار او متعلق بتجري او بيهديهم

دعواهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اى يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياءه تجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلام عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله فيروت واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة
من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيل الله لهم بالخير استعجالا بسرعة اجابته لهم في الخير
حرصا كاستعجالهم به تعجيلا لهم وان المراد شرا استعجلوه لنفوسهم فاسقط عليها جارة
من التاء او تقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاستراحوا
والهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضي على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه
الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع الاحوال والاشعار بالمضار
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع
اليه كان لم يدعنا الى ضر مسه الوكشف مثل ذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد
او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم

بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينتحل فرضا
ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا تفاديا اضافة اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه اتخذ ولدا
وقولهم وكذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا
ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا
شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الصانع النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله
المخبرون بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده
وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحققا في السموات ولا في الارض حال
من العائد المحذوف موكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما
كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد
آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلالة في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى كاهابيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم والعذاب للفاصل بينهم الى يوم القيامة
فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم فاصلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها

تجري القوم المجرمين تجري كل مجرم او تجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال
جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او
شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام
يجاب بما يعلق به ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها
لا من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر
تقرأه ليس فيه ما تستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما تكرهه
من معائب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم
سألوا ذلك كي يستعفوه اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يسوغ لي ان ابدله من تلقاء
نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للمقترح بنسخ بعض الآيات ببعض
وترد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب
وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني ومن اين اكثر ولا ادراكم بلام التاكيد
اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص
عنه لو لم ارسل لا ارسل غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب
الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع او ولا جعلكم تدرءون
خصماء تدرءون بني الجدال والمعنى ان الامر مشيته الله لا بمشيتي حتى اجعله على حسب
تعنتكم ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدارا عمر اربعين سنة من قبله
من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش

من اظهرهم

قل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مبادي
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزولها اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس
رحمة نعمة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يأكلون
قد رحمهم الحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا
منكم قدرة وعقابا بكم قبل ان تدبروا كيدكم واغاد لكم سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لا يخفى
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يجعلكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وفي السفن
وجرين بهم عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم ليتعجب
من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها
جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة
الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم
اهلكوا واستدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له
الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا
بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول او معمول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم
يبغون في الارض فاجؤا الفساد وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق متطاولين
فيه وهو اخراج عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بالحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم لا يتعداكم الى
اسالكم وابنائكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحيوة لا تبقى وشيء عقابها ورفعه

وقرأ ابن عامر بالنون والشين من النشر

او سدة

الدنيا

على انه

على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوفا تقديره بغيكم
متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلالا ومفعول فعلا دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر
ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فانبت بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزيينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازينت كاباضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب
زرعها ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان
لم تغن كان لم تغن زرعها اي لم تلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ
بالتاء على الاصل كذلك نفصل الآيات نبين فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والمثل مضروب للحكاية
وهو زوال الخضرة النباتية وذهابها خطاها بعد ما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح الا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله
يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التفضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا
الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدبر
لمباشر التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة
وان الحث على الصلاة لم يرد الله رده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم

بجعلناها

والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة
فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك
من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال لها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا ونضارتها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على
ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم
مانع احد يعصمهم من سخط الله او من نقمة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما الغطا سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لان العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في
الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى وبعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال
السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصلة التى كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم اياانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بذلك

الوصل

فانهم

لانها

لانها اشركوا به وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين وقيل
ينطق الله الاصنام فيتبرأ منهم بذلك مكان الشفاعة التى توقعوا منها فكفى بالله
شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان
هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما
اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو
من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلوى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار
وقرئ تبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر
لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان
يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبة بنزع الخافض ورد وا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم
ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يعبدون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان
من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من
يستطيع خلقها وتسويتها او من يحفظها من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها
من اذى نحو ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت
او من يخرج الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر
العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لعزها وضوحه فقل افلا تتقون اشركه عقابه اشراككم اياه مما لا يشاركه في شيء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر امركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكارى ليس بعد الحق الا الضلال فمن يخطئ الحق الذى هو عبادة الله ويقع في الضلال

فأنى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء
يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم ترجع نحو على سبيل الاتفاق ولذلك
عدى بهما ما اسند الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع
ام من لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى نفسه
اذا اهتدى ولا يهدى غيره الا ان يهدى الله وهذا حال الشركاء لهم كالملائكة والمسيح
وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وروى الا ان
يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق وادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتهى
منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم
والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن ان يفترى افتراء من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه

مطابق لما

مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها لا يكون كذبا كيف وهو كونه
معجزا دونها عيارا عليها شاهدا على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقديره ولكن تصديق وتفصيل الكتاب
وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو
كذلك داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان
يكون اعتراضا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق
بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير فيه وما فى الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه وابهام عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فأتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وفوق المعنى على وجه الافتراء فانكم
مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه افتعله بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم
بمعانيه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما
يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولما يأتهم
تحقيق ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان
القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فيما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم
التحدى فراز قواهم فى معارضته فتصاغرت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر
طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم
ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند

او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط عناده وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع
الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه
تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم
وهو كناية اي لا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة
الوهم وشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بتردد الالفاظ عليهم عبثا ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
ويعاينون كآياتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هداية تهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعبرة وذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما
لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا واثرا ليس مسلوب الاختيار بالجبر
كما زعمت الجبرية ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يجري بهم يوم القيامة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقترافهم اسبابه ويوم يحشرهم كأن
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم
يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا

وكلم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون لا تؤاخذون بعملي

البصر عدم

وقرأ حمزة والكسائي
بالتخفيف ورفع التاء

اولما نشرا لم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان
لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون
في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها الجهالات ادتهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك بنصرتك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب توفينك
وجواب نريك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازيهم عليه وذكر الشهادة
وارادة لجهتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم
القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فنجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة
يوم القيامة رسول يشهد اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك
لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله
ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون تبيينا وقتكم ومجيء وعدكم قل ارأيتم
ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين انتم
مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل به المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكلمة ما للاستفهام والاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا اليه من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه

فلا تستعجلوا

وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بالرايتم او بقوله آلئن اذا
ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجلهم اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم للانكار والتاخير آلآن على ارادة القول
اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد والوعيد والبعث تقول بعث
انه لحق اى قال حيى بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله
لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار وبؤيده انه قرئ الحق هو فانه تعريض باطل والحق مبتدا
والضمير مرتفع به سادا مسد الخبر وخبر مقدم والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك قل اى
وربى انه لحق ان العذاب لكائن وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وقيل كلا الضميرين للقرآن واى
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال
اى وحده ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدى
على الغير ما فى الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما ما خطر
بالحسبان من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها والله تعالى سر النجوى لخلوصه من حيث انها تخفى وتصون بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ واسره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين
على الشرك والحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير اما بينا ولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان
وعد الله حق ما وعد من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون

لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا الظاهر من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت فى الدنيا
فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة
لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكم العملية
الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة
النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق والدين ورحمة
للمؤمنين من حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليغتنموا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال والايجاز باختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشئ فبها او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وقد روى مرفوعا وبه
انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو خير ذلك وقرأ
ابن عامر يجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعون اتها الخالطون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محلل
باسباب منتظمة فى موضع النصب بانزل وارايتم فانه بمعنى اخبرونى وكم دل على ان المراد
منه ما مر ولذلك وقع على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث حجرتما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم
فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون فى نسبة ذلك اليه ويجوز
ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار

وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ايهام الوعيد تهديد عظيم ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شان ولا تكون ذا شان
الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلوا منه لله لان تلاوة
القرآن معظم شان الرسول ولان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلوا من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى او للقرآن واضماره قبل
الذكر تفريعا له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه عن هو
راسهم تعميم للخطاب بعد تخصيصه ولذلك ذكر حيث خص ما فيه لخاته وذكر حيث عم
ما تناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه
تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا وفى سبا من مثقال ذرة مؤازن نملة صغيرة او هبائه
فى الارض ولا فى السماء اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما لبين ذهنها
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه هو البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر
لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدلا الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار جعل الامتناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من طوارق مكروه ولا هم يحزنون
بنوائب ماضية والاية كالمفسرة قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا
يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه
وعلى لسان نبيه وما يبشرهم فى الرؤيا الصالحة وما يتيح لهم من الكرامات ويبشر الملائكة

عند النزع

عند النزع وفى الآخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
خبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
اى كفرهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزن وكلاهما بمعنى انا العزة
لله جميعا استيناف بمعنى التعليل وبذلك يقرأ بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم فينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزائمهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اعرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى وما
يتبعون حقا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع و
موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم
فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعده معروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رأيهم وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما يسندونه الى الله او يخرزون تقديرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المؤكد
هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه
تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع
تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى ابتداء سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا من محتاج

الولد

وتعجيب من كلامهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مستتبع الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لما
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيق البطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا
تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقاب لا تبطها من قائله وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار
يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراهم متاع في الدنيا يتمتعون
بها مدتهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا
لمكان فلان او كوني وقيامي بينكم مدة مديدة واوفيا مرمى الدعوة وتذكيري اياكم
بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم وتؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل بجاز من غير ان تؤكد الفصل
وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل
محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اتم وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة
بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا
من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غمة اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا اليّ ذلك الامر الذي تريدون بي وكيدوني اضفوا بالقاء اي انتهوا الى شركم
او ابرزوا الي من اقضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن
تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لتعللوا عليكم وانما سألكم اجري لا اجله الا بمعنى
اوجه

ان اجري ما نولني على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به ان شئتم او تولتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه
فامر واعلى تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا لجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له
ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان
يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تقدم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين مثل ذلك
الطبع لانهم اعتادوا الضلال واتباع المألوف وفي امثال هذا دليل على ان الافعال
واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا الآيات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا بآيات الله
ولجوا واعلى ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا لمن فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه
واضح فيما بين اخواته قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر فجزم الحكي المقول لكلامه
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم تلوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوا
الهمزة ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى القول
للقول اعني من قولهم فلان يخاف القالة كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن
المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاستحال ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم اجئت
اسحرنا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا

احجتنا لتلفتنا لتصرفنا والتفت والفتل بمعنى واحد عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لانصاف الملوك بالكبر والتكبر
على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره آلذي
السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان يجب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر فساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
بكلماته بآياته وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى
ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به اي
موسى آل فرعون وامرأة آسية وخازنه وزوجته ومشاطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر والذرية والقوم ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان
بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين به يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل
فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام خلوصه فانه لا يوجد مع التخليط وتظهر ان دعاء لزيد
فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك

سحقه

اجيبت

اجيبت دعوتهما ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم شاهدتهم وفي
تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني
الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اولا لما يهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصر في الدنيا
والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير ولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يعاطاه
رؤس القوم بشأنهم ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة
الدنيا واعواما من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من رسالة
احوالهم انه لا يكون غيره كقوله لا لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة
بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفرة استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال كانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا
وتنبيها على ان المقصود غرض ضلالهم وكفرانهم تقديره لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن على دعائه
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى لقوا الشطا فظفروا بهم وقرئ جوزنا وهو من نقل المزيد لما على الضعف وصاحبه
فاتبعهم فادركهم يقال تبعه حتى اتبعه فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين

مبوأة تقوم مكانا بمصر يبوأ يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة وجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة

دعي

وقرئ اطمس بالضم

فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته وروي انه مكث فيهم بعد الدعاء

وعادين والبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه
اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائى
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فتكب عن الايمان اول القبول
وبالغ فيه مصمما لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الصالين المضلين عن الايمان
فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض لئلا يراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب نجيك من انجى وقرئ بالحاء اى نلقيك بناحية
الساحل ببدنك فى موضع الحال اى بدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا
من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء
البدن كلها كقولهم هوى باجرامها او بدروعك كانه كان مظاهرا بها لتكون لمن خلفك
آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما حملهم انه لا
يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على متن
من الساحل او لمن بعدك من القرون اذا سمعوا ما لك لعبرة ممن شاهدك عبرة ونكالا
عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك اى لمن الفك آية كسائر الآيات
فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعالى تعهدته لكشف تزويرك واماطة
الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على الشهور
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا
انزلنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا
من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او فى امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين

من القصص على سبيل الفرض والتقدير

يقرأون

يقرأون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها
او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
طمأنينته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب
للسامع والمراد بامته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضح انه لا مدخل للريبة فيه بالاضافة
الى القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لا يؤمنون
فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها كما اخر فرعون
فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم
يونس لما آمنوا اولئك اذ شارفوا اشارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض
معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمنت اهل
قرية من القرى العاصية فينفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل
ومتعناهم الى حين الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه وامروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود فادخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم

وسبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرة فانه
تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة
الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الانكار على المشيئة بالفاء والايذان بحرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير
على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا
عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
فنزلت لذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته
واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هدايتها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب
او الخذلان فانه سببه وقرئ بالتاء وقرأ ابو بكر ويجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب
صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم
ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا
كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي
المؤمنين كذلك الانجاء او الانجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل

ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا
فاعرضوها على العقل الصرف والنظر وافيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم
ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد
مع ان وان وان يكون من غير كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك
ذا مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان يكون غير ان
صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى
المصدر ليتأتى عطفه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى
وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح
او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت
فانه دعوة فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة
الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله
وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي اراد لك به ولعل ذكر الارادة مع الخير
والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما
مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم
من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته ولا تيأسوا
عن غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن
ولم يحق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه
لها ومن ضل بالكفر بعدها فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم

بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي
مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب محذوف خبر مبتدأ احكمت آياته نظمت نظما محكما لا
يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكمة منقولة من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على انواع الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من القصص
والاحكام والمواعظ والاخبار او جعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها وخص بجهاته
ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت
على البناء للمفعول ولم للتفاوت في الحكم والتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها
على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل
ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء
على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا
او اتركوا ترك انني لكم منه نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا اليه بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا
يتفضل عليكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب
الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مستتبة بالايمان
معلقة

الى

الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء
فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد
ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو يأذن عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
ويحرفونه عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم
وقرئ تثنوني بالتاء والياء من انثوني وهو بناء المبالغة وتثنوني وتثنوني واصله
تثنوين من الثني وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوية صدورهم
للنبي وتثنوين من الثني كاباء ض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسترهم فلا
يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا اردنا
ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت
في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى
عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او القلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او ما
من الارض حين وجدت بالفعل وودعها من المواد والمقار حين كانت بعد في الوقوع
كل كلا واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه
اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها كونه قادرا على الممكنات باسرها
تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض

في ستة أيام اي خلقهن وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف وما في جهتي العلو والسفل
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لامكان موضوعا على متن الماء
واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول الحادث بعد العرش من اجرام هذا العالم
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق
بخلق اي خلق ذلك لكذا من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي احوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه ودلائل واعلام تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى بما فيه من معنى العلم من حيث انه
طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة المفضل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على المحاسن والتحذير على الترقي دائما
في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يتم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي
عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم
اكمل عملا وعلما ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على الاشارة الى القائل
وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى لعل اي ولئن قلت
عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكار لعلكم تعتبرون من قبل ما لا حقيقة
له مبالغة في الانكار ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة

اعمالكم

ووضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد

ولئن

ولئن اعطيناه نعمة تحيث تجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة منه
انه ليئوس قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران
ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد مضرة مسته كصحة بعد سقم وغنى
بعد عدم وذا اختلاف النعمتين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني الى المصائب
التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم
والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والطغيان في حالتي الذوق
ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا للآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام
افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لم يستبعد ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك ترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وتبليغه لمخالفة رأي المشركين مخافة رميهم
واستهزائهم به كالمنزل من توقع النبي لوجود ما يدعو اليه وتوقعه لجواز ان يكون يأيس
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقصير في التبليغ ههنا وضائق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلو عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
ينفقه في الاستتباع او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به لمبهم يفسره
ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك رد ما اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم
بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهمزة
لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور
ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب
فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاخبار

لقضائه

تارك

والاخبار

وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على
المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم بايان ما دعوتم اليه
وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بالجملة الا الله لا يقدر عليه سواه وان
لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره والظهور عجز آلهتهم والتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجاز عليه
وفيه تهديد واقناط من ان يجيبوا لم من يائس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون
خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لم لم يستطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المطلوب
لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وانما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام
بعد قيام الحجة القاطعة في مثل هذا الاستفهام الجاري لمبلغ ما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبه نوفي اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء ونوفا الله
ونوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه
كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استووا فيما يقتضيه سوء اعمالهم وحبط وبطل لهم ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله في العبادة

لا يعلم

الحسنة

في اشتراط ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي فكان كل واحد من الجملتين
علة لما قبلها وفرق باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام وتقديم الفعل
برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هؤلاء المقصرين همهم واقتصارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقدير افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله ينتهد لصحته
وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها
ايضا تتلو في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير يتلوه
اما للمنزل او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلوا القرآن شاهد من كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة اماما
كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوسيلة الى الفوز بخير الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهو الحق
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة تدبرهم واختلال فكرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل به او نفى عنه ما انزل
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او كجمع

قيل

هنا

قيل

في اقتصار

كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم
متاحيق بهم حيث ظلموا بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يرتدوا
بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اى ما كانوا معجزين الله
في الدنيا ان يفوتوه وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب
ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد واذهم يضاعف لهم العذاب
استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصاممهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله
وما كان لهم من دون الله اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها وخسروا ما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون لا احد اخسر منهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والمعنى مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر
بالاعمى لتعاميه عن آيات الله والاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى
وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى
والصمم والمؤمن بالجامع بين حدتيهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقولهم الشاعر فالغائر فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
والطباق

هل يستوى الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بانى لكم وقرأ نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان
يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم
كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول
الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمز
واتباعه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه
اتبعك وانما استرذلوهم لذلك ولفقرهم فانهم لما لم يحصلوا الا ظاهرا من الحق
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
لانكم تدعون النبوة وانتم دون دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة
دعواى وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم
فخفيت عليكم فلم تهتدوا وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان
خفاءها توجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها
للاختصار او لان كل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اى
اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها اكرهكم على الاهتداء بها
وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تنقادون لها وحيث اجتمع ضميران وليس

احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا خفلا ان اجري
الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا
طردهم انهم ملاقوا ربهم فيجازيهم بطاردهم عنده او انهم لا قوة
ويعوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم
او باقدارهم او في التماس طردهم او تستسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله يدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان ليس بصواب ولا
اقول لكم عندي خزائن الله رزقا واموالا حتى تجدوا فضلي ولا اعلم
الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا او تحققوا علم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب
وعطف الله بجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك ولا ازدراء
افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى
الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او فاتيت بانواع
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد
فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
وجزاء وجواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم

خزائن م

ان شاء م

وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان تجادله كلام اتم بلا طائل وهو دليل
على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم
ان يهلكم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم
وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه
من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس
الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والرعاية على طريق التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ سخروا منه استهزؤا به
لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء او ان عجزة فكانوا يضحكون منه
ويقولون له قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعذبه اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم
وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما من الشرط
او حتى حالية تبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
او في الهند وعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع

في الحفظ م

من قومه

حاله م

فيها

قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل
زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامته واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام
ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها
في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي
اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان
المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جعلا
من مبتدا وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلته والخبر محذوف وهي
اما جملة مستقلة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء وروي انه
كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي
وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما
يحتملان الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي
ولولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه
اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها
كالجبال

وما قيل

وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
ليس بثابت والمشهور انه علا سوانع الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك
قبل الطبق ونادى نوح ابنه وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله خانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على التثنية ولكونها كناية
نسق عن حذف الحرف وكان في معزل عزل نفسه عن ابيه او ابنه مفعل
للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقفه عليها
في بعض المواضع الاولى باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه
فتحها اقتصارا على الفتحة من الالف لخفة من باب الاضافة واختلف الرواية
عنه في سائر المواضع وقد ادغم التاء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما
ولا تكن مع الكافرين في الدين او الانزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تع
او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون ردا لقوله يكون اليوم معتصم من جبل
ونحوه يعصمه الا الذي اعتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله
يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودينا بما ينادى
به اولوا العلم وامرا بما يؤمران تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما
بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية
من اليمه عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت على الجودي جبل بالموصل
وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم

فسام ذلك اليوم وصار شدة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم
يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك
وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة
على تعظيم الفاعل بانه متعين فى نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره
للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه
واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فان النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى
فما حاله اوفما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالمتبرع
من التبرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فان تعليل النفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى
اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب
انه عمل اى عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اسوأ هو
ليس كذلك فانما سمى نداء سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استخبارا فى شأن ولده او
استفسارا لمانع الايجاز فى حقه وانما تاما جهلا وزجر عنه بقوله انى اعظك ان تكون
من الجاهلين لان استفتاء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه
عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح
اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنى
فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسر المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة
وانثها نافع برواية ورش فى الوصل قال رب انى اعوذ بك ان اسألك فما يستقبل

مستغنى

ما ليس لى به علم ما لا علم لى بصحته والا تغفر لى وان لم تغفر لى ما فرط منى من السؤال
وترحمنى بالتوبة والتفضل علىّ اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط
بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك وزيادات فى نسلك حتى تصير امما ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة وهى الخير النامى وعلى امم ممن معك وعلى امم ممن معك سيمتعون
امما لتحقيقهم وستعقب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اى ممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم
فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع
بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها
اى هى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق بها او حال من الهاء
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك
من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت
وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على ان لم يتعلم اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لم يسعفوا فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا
مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا
ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتحبيبا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا
الحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا
مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله

والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير المطر ويزدكم قوة الى
قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع
وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود عليه السلم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالنتاج
ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهولم اعتادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك نهذي وتكلم بالخرافات
والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير
انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة القتالين العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتبكيتهم عن اضراره ليس الا بعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تعرض له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلائه وهو مالكي ومالكم لا يخفى
ما يريده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالناصية
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي على الحق والعدل لا يضيع عنده مستحقه

ولا تمكن

ولا تضره

ولا يضره ظالم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت
ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما
آخرين في ديارهم واموالهم وعطف على الجواب بالواو وبتاء القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تولوا يعذبكم ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن
جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم وحافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء
ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو
السموم وكانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اشارة الى الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا لهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا باطاعة كل رسول
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنادا
وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما نجيهم واطاعوا من دعاهم
الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايذان الى ان
استحقاقهم للبعد لاجرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وهو انشأكم من الارض هو كونكم منها لان
فانه خلق آدم وسواد النطفة التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها اعمركم فيها

بالتاء

اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين كما انهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم بجحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار

واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى يعني
اعمركم فيها دياركم وبرئها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب رحمة مجيب لدعائه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
لما فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور او ان
نؤانسك في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من اراب اذا اوقع ريبة على الاسناد المجازي
من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما يمنحني الله به والتعرض لعذابه
او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة
ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم وفي داركم الدنيا ثلاثة
ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فاتسع فيه باجراء المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيامة وقرأ نافع والكسائي هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح

على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز
القادر على كل شيء والغالب عليه ولما جاء امرنا الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا
ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله وقرأ حمزة وحفص ان ثمودا هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح
الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا
سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
امركم او وجوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ ومجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر
عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر
ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل
اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريدوا به مكروها وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا
له لما احتس منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم
بالعذاب وانا لم نعد اليه ايدينا لنأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال المخيفة او بهلاك اهل الفساد او بسلامة
لوط فانها كانت تقول لابراهيم اضم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسارة صاحكة في شبابه ولم تعد حيضا
تدريها ان تحيضا ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه

الشجرة بضم الجيم من ضحك الظل وهو شجر الفوه

الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع
باسحق وعلى لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى ولدا لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته
الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتملان وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتملان وقوعهما فى الحكاية بعدها ولذا
فسرناه بوقوعه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة
حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل ءألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى شيخا
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها
معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخا او خبر بعد خبر او هو
الخبر ويتجلى بدلا ان هذا لشىء عجيب يعنى الولد من هرمين وهل استعجاب من حيث
العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم
اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب اقل
فضلا عمن نشأت وثابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء
لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستحق
الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة
واطمأن قلبه بعزتهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط يجادل
رسلنا فى شأنهم ويجادلنه انا ثم قوله ان فيها لوطا وهو انما جاء لما جرى مجرى
على حكاية الحال ولانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جواب المحذوف
مثل اجترأ على خطابنا او شرع فى جدالنا ومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ فما قبل
يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسىء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب

والتأسف

الله
والتأسف على الناس منيب راجع الى المقصود من ذلك بيان الحامل له على
المجادلة وهو رقة قلبه ورفة رحمته يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة
يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف عن حلول
ولا دعاء ولا عزة لك ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم ساءه مجيئهم لانهم
جاءوا فى صورة غلمان ظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيخجل
عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائى سىء وسيئت باشمام السين الضم وفى
العنكبوت والملك والباقون باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد يسمى عصيبا اذا شد وجاءه قومه
يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم يزعجون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها
ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى قد ابهن
اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل ولا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفائتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ ومبالغة فى نصائحهم
حيث ما يرومونه على ذلك اهون منه او اظهار الشدة استعاضة من ذلك كما مر قوله
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فانه نبى ابوا منه من حيث الشفقة والتربية وفى حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم اطهر فعلا قرئ بنصب
كقولك المية اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن جمع
بناتى كقولك هذا اخى هؤلاء فصل فانه لا يقع بين الحال فاتقوا الله بترك الفواحش
او بما يجرى عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزى او لا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء
فى ضيفى فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق
ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق بحاجة وانك لتعلم

كل م

وصاحبها م

ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي
الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم عشيرته بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان
كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه عليه السلم
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا
الى مضرتك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان
في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل
حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد
ولا يتخلف ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك هذا وهذا
انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فاذا ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض
ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد لا يصح حمل القراءتين على الروايتين
في ادخلتها مع قومها اظرفيتها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه وا
فادركها حجر من السماء لا يصح حملها على المعارضة والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين من قوله ولا يلتفت منكم في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك انهم بالالتفات بل عدم نهيها عنه استعجالا
ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يصح جعل
الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس
الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطاء العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او اتيانه
وتوحيد الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها
فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الى فعله

من حيث انه

من حيث ان المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلم دخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم وامطرنا عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة
من طين واصله سنك وكل معرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى
من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الاذرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال يتتابع بعضه على بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
والصق مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز عن حجارة
الارض او بأسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم روي عنه عليه السلم سأل جبريل عليه السلم
فقال يخبرني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو يمر من حجر يسقط عليه من ساعته
الى الساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد الى اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلم واهل مدين وهو بلد ناؤ فشعيبا اخوهم قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما
اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس
او بنعمة حقها ان تستفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بنعمة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهذه الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب
الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انهم لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم التحري لايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها
بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب

غيرها موريه وقد يكون تحظوظا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص لانه
اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان
العثو هو تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال الاخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب هو النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي وقيل البقية
الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي
تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد
آباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاه اليه خطرات وسواس من جنس ما كان
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على
الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليفنا ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل
غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا
وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء
وقيل كان ينهاهم عن قطع الدراهم والدنانير فاراد بها ذلك انك لانت الحليم الرشيد
تهكموا به وقصدوا نسبته بتردد ذلك او علقوا كاذبا سمعوا منه واستبعدوه بانه موصوف بالحلم
والرشد لما يخيل عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي اعادة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اعادة الى
ما آتاه الله من الحلال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا

واراد بها

الانعام

الانعام الجامع للتمتعات الروحانية والجسمانية ان اخون في تخييره والخالف في امره ونهيه
وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والغيرة منه لقصاص عنده
وابانة بلاكة مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه عن م
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولي عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي
عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انهاكم عنه لما نهيتكم عنه وهذه
الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه
ويذر اربعة حقوق حق نفسه اهتماما واعلاما حق الله وتابعها حق النفس وتابعها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان امركم بما امركم وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل
خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف
وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة
الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق على الفعل
لاصابة الحق فيما يأتي ويذر من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشرح
وصدره لطباع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان صلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي واحد
الى مفعول والاول افصح فانا جرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالرفع لاضافته
الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فهم او ليسوا ببعيد منكم فاعتبروا به

في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد بها اهلاكهم او
وما هم بمنجى بعيد ولا يبعد ان يتوجه اعماله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر
كالتضليل والتهديد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم
الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يودّه
وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا
مما تقول كوجوب التوحيد وحظر البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم
وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة
نفرتهم وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك تمتنع منا ان اردنا بك سوءا ومعينا لا عز
لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته برده التفسير بالظن ومنع بعض
المعتزلة اسناد الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باشنع وجه وما انت علينا
بعزيز فيمنعنا عزتك عن الرجم وهذا تبكيت السفيه المجروح بقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وفي لاء الضمير حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم
عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على نبيه
ويبقون على رهطه وهو تجهيل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي
عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي حالتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
سبق مثله في سورة الانعام والقادم فسوف تعلمون ثم التصريح بان الامر لا يكون
فيما عليه سبب لذلك وحذفه هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو
ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا داخل فيه له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل انهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب

منا ومنكم وقيل كان قبائله ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم
اني معكم رقيب منتظر فيكون بمعنى الراقب كالقريب والمراقب كالعسير والمرتقب كالرقيب
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كالذي
قبله لما اذا سبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصة صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعد ذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين باركين على الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد ضده
المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالنبوة والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرة او العصا وافراده لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا ولقد ارسلنا بالجامع
بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واتحادهما في نفسه او موضحا آياتها فان آياته جاءت آيات
ومتعددا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يختص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة البالغة في
طريقة فرعون المهلك في الضلالة والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهلهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد
وانما وصف بمعنى وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا
الى الضلالة يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه وبئس
النار منزلا المآل فسمي موردا تهكما وقال وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي وردوه
يراد به تبريد الاكباد وتسكين العطش والنار الصدى والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون

برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشدا وتفسيرا له على ان المراد بالرشيد ما يكون
مآله العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلحقون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد
ما يضاف الى غيره لتقويته والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك
القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عاف في الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة
وقيل حال من الضمير في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاكا وتخسير وكذلك ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون على الكاف النصب على المصدر
اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي ومن ظالمة حال من القرى وهي
في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
لظلمهم وانذار الكل بان ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع
غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك فيما نزل بالامم
الهالكة او فيما قصصناه لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عليه
لعلمه بانها من آلهة مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء
هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام
لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم يجمع
له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في مجلس من نواحي الناس مشهود اي كثير

شاهدوه

شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتهويله فان سائر
الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها لا لاجل لا منتهى لها فانه غير معدود يوم يأت
اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى كقوله هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله وغيره وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء
عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع ونحو من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف
ويحتمل نصبه باضمار اذكر او الانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر والمأذون فيه هو الجوابات الحقة والمسموع منهم الاعتذارات الباطلة فمنهم
شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد
والضمير لاهل الموقف وان لم يذكروا لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم والناس فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعارتهما
في اول النبق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن يتأوه
الحزين على قلبه ويحشرج فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ يشقوا
بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار
بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد
والمبالغة بما كانت العرب تعبر به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات
الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الآخرة لا يخلو من ظل ومقل وفيه نظر لان تشبيه بالا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك

كان في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله من البعض وثم المراد
بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ
معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان تخلدوا بعصيانهم
فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا
لان من شرطه ان يكون صفة كل صنف منفية عن قسيمه لان ذلك الشرط مرجع
التقسيم لا انفصال حقيقي ومانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين اولان اهل النار يتخلصون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا
وكذلك اهل الجنة يتنعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقاءه او من اصل الحكم والمستثنى زمان نفي تخلدهم في الموقف للحساب
لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يجوز ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر
لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثناء في العذاب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي عطوا عطاء والحال من الجنة فلا تك في مرية
شك مما ينزل هؤلاء من ما آبائهم ما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين فانها
ضلال مورد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل استيناف

معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبده من الاوثان وقد بلغك ما لحق
آباءهم من ذلك فيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف الدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عدة لتاخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن
قوم وكفر قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الانظار الى القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل بتمييزه عن المحق وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل
المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كلا لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء عنه وان حقه فاستقم كما امرت لما
بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع
كانزال والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط فيفوت الحقوق ونحوها وهي في غاية
العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام

وافراطهم

ومن؟

الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف واعراض بحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا
اليهم اذ في ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتشريف بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم
النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي المؤسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والاخلال
بحقوقه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها
بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم لنفسه وقرئ
تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم
من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون
اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصرهم اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى
الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم اتبع ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه
وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانها زلفة اذا قربه وهو جمع زلفة
وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بفتحتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما
بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم
وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات

وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون
الاخلاص فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل اي
اولو فضل وانما سموا بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا
كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما نعموا فيه من الشهوات وانهمكوا تحصيلا لاسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم الهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف
على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر
المشهور ويعضده تقدم الاتجاه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها
مصلحون فيما بينهم لا يعصون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته وسماحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع
الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك
خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة واليه والى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا نقص كل انباء

نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا وبذلك نسبه وتلاوة
النبي على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه
على اداء الرسالة احتمالا اذى الكفار ومفعول ولا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل جاءك في هذه
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية ما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع الاعمال اليه وانزل اليه
وقرأ نافع وحفص يرجع واعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر العبادة
على التوكل تنبيه على انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم تجازى
ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة من الشهداء انشاء الله

سورة يوسف مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات
السورة الظاهر امرها في الاعجاز والواضحة معانيها والمبينة لمن يتدبرها انها من عند الله
او لليهود حين سألوا اذ روي ان علماء مكة قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو
في نفسه اما نعت للحال الثاني عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعوله وعربيا صفة له او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم تفهمون وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك من لم يتعلم القصص معجزا يعسر الاتيان نحن نقص عليك احسن

القصص احسن الاقتصاص لانه قص على ابدع الاساليب واحسن ما يقص لاشتماله على
الغرائب والحكم والآيات والعبر وعلى معنى مفعوله كالنقض والسلب واشتقاقه من قص
اثره اذا اتبعه بما اوحينا باعلامنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا
مفعولا لنقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا به لا الاحتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها
على التلقيب بكلمة على انه مضارع بني للمفعول والفاعل من آسف لان المشهورة تهدف بحمله
لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها وكانت يا ابتا فحذف
الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه لا يجمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ
بالضم جرا له مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يكن كاسلها
لانها حرف صحيح منزلة منزلة الاسم فيجب تحريكها كما في الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من
الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن النجوم التي
رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم
فقال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف ببيان عالمهم التي رآهم
عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره
للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن عشر سنة وقرأ حفص هنا وفي والصافات بفتح

لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم
يعقوب عليه السلم من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فحاذ عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بمجرد التانيث
كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المتخيلة من افق المخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من تدبير البدن فرائها
ادنى فراغ فتصور فيها ما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به
تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة كما فعل بآدم وحوا فلا يألوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل
الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان تنيل نعمة الدنيا وهو
بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على بقيتهم
بضوء الكواكب وتسلية كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلوص
من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل
هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات
دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم

والمراد

والمراد باخوته غلاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر
ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج لختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون
كان ويفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان
افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق
واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق المحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة
روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من الخلال وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف
له المحبة فحينئذ لم يصبر عنه فنبأ الحسد حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله
جمعون اودان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم
الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار
ان من بعده بعد يوسف والفراغ من امره وقتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعد ما تهدونه او
صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا
وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابت الجب في قعره حتى يهلك الغيبوبة عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات
في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين

بموثقا وان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير اراد وابا استرالة عن رايه في حفظه منهم بما تكتم من حسدهم والمشهور
لا تامنا بالادغام باخمام وعن نافع تريد الاشمام ومن الشواذ تريد الادغام لانها من كلمتين
وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها
من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي نلعب وقرا الكوفيون ويعقوب
بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ونرتع
بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان ينال مكروه قال انى
ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته على وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية بن ذكوان وابو عمرو وقفا
وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا
يؤذونه ويضربونه حتى كاد ان يقتلوه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا ما عاهدتموني
ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقالوا له اخوه رد واعلى قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الشمس والقمر والكواكب يؤنسونك فلما بلغ نصفها القوه وكان

يلبسه كرامة لابيه

فيها ماء

فيها ماء فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبرئيل عليه السلام
كما قال واوحينا اليه وكان ابن عشرة سنة وقيل كان مراهقا واوحينا اليه في صغره
كما اوحينا الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القي
في النار جرد عن جسده فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتخبرنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى
ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشرهم بما نزل اليه
امرا يناشاله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي اوحينا
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا ابا هم عشاء يبكون آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشايا بالضم والفتح جمع عشي اي عشوا من البكاء يبكون شباكين
روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وابن يوسف قالوا يا ابانا اذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالاتصال والتواصل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لشدة تهمتك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه
بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكذب بالذال غير المعجمة اي كدر
او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال
من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع خبر يوسف صاح وسال
قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يخرق عليه قميصه ولذلك قال
سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول

وهو الاستيناء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر
الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفون
من هلاك يوسف وهذه كانت قبل استيناسهم ثم وجاءت سيارة رفقة
يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القاءه
فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى
فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل
هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة
واما فتحة الراء حمزة والكسائى وقرا ورش بين اللفظين وقرى يا بشرى الادغام
وهو لغة وبشراى بالتسكين على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر
الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك انه يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه بعد
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة
واشتقاقه من البضع فانه ما يقتطع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم وصنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى مرجع الضمير
الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس ناقص او نقصان دراهم بدل
من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين
صفة الراغبين عنه الضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
باثمن فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشىء متهاون به خائف عن ان يطلبه
مستعجل فى بيعه وان كانوا بائعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق الزاهدين
صفة ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين

لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو
العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقى وقد آمن بيوسف ومات فى حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء وعن ابن اسحاق اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة
ولبث فى منزله ثلث عشرة واستوزره الريان وكان ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة
والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به
من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملئ
فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما
اى هنيئا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به
فى مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل
اول الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين
استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وكما مكنا محبته فى قلب العزيز
او كما مكناه فى منزله وكما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره لنصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد
فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتب الله واحكامه
فيتدبرها او تعبير المنامات المشتبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بما
قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شىء ولا يمانعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
اشده منتهى شدة جسمه وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن
الشباب ومبدأه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعنى علما بتأويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه

ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو
في بيتها عن نفسه طلبت منه وتحيلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او لمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر وتهيأت والكلمة على الوجهين
اسم فعل بني على الفتح كاين والام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء
وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء من غير همز كعيط
وهي لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ
هئت كجئت وهيئت كجيئت من هاء بمعنى اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي الذي
قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل
الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون الخائنون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء
قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد به
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مسارعة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء عقبته لحاك لها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان
يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جزاؤها
بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبر عليه وقيل تمثل له يعقوب عاضا
على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين

الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
وكلا القراءتين اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا انفسهم لله واستبقا
الباب وراءه لتمنعه للخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من وراء فانقد
قميصه وانقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها قرفته
تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييرا على يوسف واغراء به انتقاما منه وما نافية او
استفهامية بمعنى اي شيء جزاء الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني المواتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها
قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه انزع خلفها فتعثر بذيله فانقد
جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فتقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان
فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان
على تاويل ان يعلم ان كان ونحوه وتقديم قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك
من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسانك السابق وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما
جعلا علمين للجهتين فنسيا التعريف فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان
قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلكن
والخطاب لها ولامثالها ولسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف
واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به
اعلق

الذين

سارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض
عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطأ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي
اسم جمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها في المدينة ظرف لقال اي شعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا
زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب
الملك واصل فتى فتو لقولهم فتيان والفتوة عادة قد شغفها حبا شق شغاف
قلبها وهي حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا نصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ
شغفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين
في ضلال عن الرشد وبعد من الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما
سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن فيه دعت اربعين امرأة فيهن
الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن
سكينا حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفسهن
فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يطالبهن بيوسف من مكرها
اذا خرج وهدد على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس
طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جبل
وظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان
القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة كسراج
ومتكاة وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكاة من يتكئ اذا اتكأ وقالت
لما خرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رأت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان

يرى

يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا
حاضت لانها تدخل الكبر الحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام
اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خفت الله واستر ذا الجمال بمرط
فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الف الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاش لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشرى اي عبد مشترى لهم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال
البشر ولا يقوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد
الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان قبل ان تصورنه حق تصوره او صورته بما
عاينتن لعذلتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة
المعاتب اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الاتيان عليكن ولئن لم يفعل ما آمره
اي ما آمره فحذف الجار وامري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن
وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا او
الصغير من صغر الضم صغرا وقرئ ليكونن وهو مخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه
بالالف كنظائرها على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن
وقرئ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها

زنا نظرا الى العاقبة وان كان تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعوة الى انفسهن وقيل
انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ولا تصرف عني وان لم تصرف عني
كيدهن فتحبب ذلك الي وتحسنه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل
الى جانبهن او الى انفسهن بطبع ومقتضى شهوة والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من
الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح ومن الذين
لا يعلمون ما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي
تضمنه قوله ولا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه
على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ظهر للعزيز
بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
ان المجرم قلبت في السجن سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم
او العزيز ومن يليه وعني بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي دخلا يوسف
السجن واتفق ان دخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام
بانهما يريدان ان يتمالئا عليه قال احدهما يعني الشرابي اني ارانى اي في المنام وهي حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني ارانى
احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من
المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما
رأيا في السجن يكرم الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا

بتأويل

بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله
اي بتأويل ما قصصتما علي وبتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم
قبل ان يسعفا الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلك اي ذلك التأويل
مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل الكهانة والتنجيم اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني
تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز للخاطب ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير
للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء
ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك التوحيد من فضل الله علينا
بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيعلمونها لكن يكفرون النعمة ولا يشكرونها يا صاحبي السجن يا
ساكنيه او يا صاحبيه فاضافهما اليه على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار ءأرباب متفرقون شتى متعددة متباينة الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
بالالوهية القهار الغالب الذي لا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها
من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها
فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعاني كم تهيتم مالم يدل على استحقاقه الالهية

عقل ولا نقل آلهة ثم اخذ تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في
امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانهم لا يعلمون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا بانجاء التوحيد على اتخاذ آلهة واما بالغير وكلا القسمين منتف
عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشراني فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود اليها كان عليه واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحد
فانهما وان استفتيا امرين لكنهما اراد استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو
التاجي لان يقول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني وانسا
الشيطان ذكر ربه فانسى الشراني ان يذكر ربه فاضاف اليه الضمير لملابسته
له او على تقدير ذكر اخبار ربه وانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره وبوبه
قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كان محمودة في
الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين ما بين الثلث الى التسع
من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر فلبن عليها وانما
استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى البيان على المميز دون المبين

على طريق الخطابة ثم برهن على
ان ما تسمونها آلهة وتعبدونها
لا تستحق الالهية فان
استحقاق العبادة اما بالذات

لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها
من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل متأخر عن مفعوله ضعف فتقوى باللام كما في
الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي اخلاطها
جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل والتنكير
اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين بتعبير الاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة
ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشراني
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان
يقال امه يأمه اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتأويله
فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف
وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب اخواله
وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه
لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يرتب الكلام فيهما لانه لم يكن
جاز ما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا

اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى
تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر
دأب فى العمل وقيل ترعون امرا خرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما
حصدتم فذروه فى سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
عن العبارة الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن اى يأكلن اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن تغليبا
بين المعتبر والمعتبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى
للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يتبع
على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول لخرجه قال ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وخصهن به ليظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدم الحاسدان يتوسل به الى قبيح امره وفيه دليل على انه
ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت
مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فسأله ما بال النسوة
ولم يقل فسأله ان يفتش عن حالهن تعجيلا على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى

بكيدهن

بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه برئ مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مباركه ليناخ قال الحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم سما او ظهر
من حصحص ضحى اذا استأصله بحيث ظهر بشره راسه وقرئ على البناء للمفعول انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم
قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب
عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان
الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض باهل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته لذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى وما انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما
قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
فى نيلها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى او الا ما رحم الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة
وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وقرأ القالون والبزى
بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى غفور رحيم يغفر بهم النفوس ويرحم
من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه مما استغفره فيرحمه
واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتونى استخلصه لنفسى اجعله خالصا

لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والذكاء قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره
واعوذ بعزتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان
ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال
احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وما كانها على ما رآها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي في تلك الليالي فنصبه منصبه
وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على
خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمل في امره لا محالة آثر ما يعم
فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها
والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجرهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظم ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزر الملك اقام العدل واجتهد
في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام
ونواحيها وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء
منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه عشرة ميرة الى
مصر فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه

لطول العهد

لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد
حاله التي رآه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في علاه من التهيب والاستعظام
لعظمه ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله
والجهاز ما يعد من الاشياء للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به
الملاة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد هو
شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب
احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا
عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا
زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم
الا تروا اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم
وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
اي ولا تقربوني ولا تدخلوا داري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد في طلبه منه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رجل واحد ليعتبر فيه بضاعتهم التي
اشتروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك تفضلا عليهم وترفعا
من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او كي يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا
اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين

فارسل معنا اخانا نكتل برفع المانع من الكيل وبكل ما نحتاج اليه
وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم كيال
الى كيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا
فاتكل عليه وافوض امره اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص حال
والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها
في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ما نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا الا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد
كيل بعير وشيء يسير استصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت
نافية احتمل ذلك ويحتمل ان يكون الجر معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يتعوضوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون
الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه
من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله
معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به
من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا

يقناه

جميعا

جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من
الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعله
فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال واتهة
مشتهرين في مصر بالثروة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيغتالوا ولعله لم يوصهم بذلك في المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان
الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه التسليم في
عوذة الهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من
الله من شيء ما اقضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله
يصيبكم لا محالة عليكم شرا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص مكان الواو والعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم اي يعقوب اتباعهم
من الله من شيء ما قضاه عليهم كما قال يعقوب فتفرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي
ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرارة من ان يعانوا قضاها اظهرها ووقى بها
وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب العلم ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يقل
بتدبيري لكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام وقيل المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي
بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال ليت اخاك هذا من امكم يعني هذا لانا له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك
اخيكما بدل من يوسف قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك

الاتية الحفظة والكم
حفظ الرجل الكم
كوكبة واحدة
ارادة الحفظة والعدد

ان تقضي

حرارة

اخاك

فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يفعلون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا له وقيل كانت
يشرب بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى منادا ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا منه وقيل معناه
انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تذهب فقيل لاصحابها كقوله تعالى واسئل القرية يا خيل الله اركبي وقيل جمع عائر واصلها فعل
كشقف فعل بما فعل بسيد تجوزا به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقده اذا وجده فقيل قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوغ بالفتح والضم
والعين والغين وصواع من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعالة وانا به زعيم كفيل
اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه
معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرة مجيئهم ومداخلتهم
الملك ما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكتمهم الدواب كيلا يتناولوا
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرقة او الصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او جزاؤه
والقاء لتضمنها معنى الشرط والجواب فيها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة
الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين
بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء
اخيه بنيامين تفتيشا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف

علمناه

علمناه اياه واوحيناه اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك بحكم مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله
واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة
منه واحتج به من زعم ان الله تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب
ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم وكان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
البالغ لغة وكانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق
بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة
ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه فشدت المنطقة
على وسطه ثم اظهرت حيازتها فتفحص عنها فوجدت مخرومة عليه فصارت احق به
في حكمهم وقيل كان لابيها صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكتفاء بظهورها
لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بتبرئة النفس وفسرها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي
منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع بما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن والقدر
ذكروا له حالا استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه يتسلى على اخيه الهالك
بك مستأنس بنا انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان اراد ما ان الله
اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف ولجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة

وهو البرى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة التى حركة الهمزة
على الياء على اصله خلصوا تفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر اريد به
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او يهوذا
وهو يتمون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا وميثاقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل هذا ما فرطتم فى
يوسف فتقدر فى شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موقع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وعلى اسمائه وخبره
فى يوسف ومن قبل والرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا
او صلة لا يقطع عن الاضافة لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما فى
قدمتموه فى حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى
ياذن لى فى الرجوع او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاومة
معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله
لتتركنا الصيحة تضع منها الحوامل وقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه
الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعاءه وما كنا للغيب لباطن
الحال حافظين فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او وما كنا للعواقب
عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصيب بيوسف
واسئل القرية التى كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها
والمعنى اسئل اهلها وسكانها عن القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير
التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال بل سولت

اى فلما

اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم اى زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا ارتكبتموه فصبر جميل والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بذنب غيره
فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او صبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا يوسف وبنيامين
واخيهما الذى توقف عصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها وتولى عنهم
واعرض عنهم كراهة لما صادر منهم وقال يا اسفى على يوسف يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزؤه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذ الجامع
قلبه لانكاء وانفا يحبونهما دون حبونه وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله
وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن كظيمة كانه من الحزن كان العبرة تحقت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز الشكاية
التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك
نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال
يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده مساك له قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقول وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقول والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه
واصله كظم البعير جرته ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال
تذكره فحذف لا كما فى قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك
واوصالى لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى حتى
تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذاهب هما او مرض وهو فى الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثى وحزنى اى اشد حزنى لذكره اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فلا تلومونى وشكايتى واعلم من الله

من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملجأ اليه داعيا الله ما لا تعلمون
او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت
في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يجتمع
بهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما
والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اي من رحمته التي تحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في حق من لا
حوالة فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا
واهلنا الضر شدة المجاعة وجئنا بضاعة مزجاة ردية او قليلة تزجى وتدفع رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او المسامحة وقبول
البضاعة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلم
في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى
به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم
عنه وفعلتم افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بمذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قاله ذلك تنبيها
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتشكيهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن
على يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او
لانهم كانوا حينئذ صبيانا طائشين قالوا ايك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حققت ان واللام عليه وقرأ ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله

باخيه

تنبيها

تقدم

حين كلمهم

حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة
تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
واتى ذكره تعريفا لنفسه بتفخيم الشان وادخالا له في قوله قد منّ الله علينا اي بالسلامة
والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك بحسن الصورة وكمال السيرة
وان كنا لخاطئين والحال ان عادتنا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك لا نثريب عليكم
تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالجليد فاستعير للتقريع الذي
يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا
ثرب والمعنى لا اثرب عليكم اليوم الذي هو مظنة فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه مع غير جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا اليك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي وابني من صفوة
ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا وبالتوفي اتم وأتى بأهلكم
اجمعين نسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف وجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه
حين اقبل عليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفند لان نقصان عقلها ذاتي وجواب
لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله
انك لفي ضلالك القديم لفرطك في محبة يوسف

فالا ترى علامة

لقوت

واكفار ذكره والتوقع للقائل فلما ان جاء البشير هو ذا روى انه قال كما اخبرتنا بحل
قميصه الملطخ اليه فارتد بصيرا القاه على وجهه طرح البشير القميص
على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انبعث فيه من القوة
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لابنائه اسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يستغفر
عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى
السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل الهضم
من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه
استقبل القبلة قائما وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبرئيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على توبتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما
دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما تنزيلا منزلة الام منزلة
للعم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق لان يعقوب تزوجها بعد
امه والراتة تدعى ايضا وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واضافة المكان
والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
له كان عندهم يجري مجرى ... وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله
والوالدان لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخر وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمهما
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا

صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب ليلا يكون تهييجا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الراعي الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ
فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقته وعلى وجه تقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام
وخزائنه فلما ادخله خزينة القراطيس قال له ابني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي كل ... فقال امرني جبرئيل قال لا وما تسالك قال انت اعلم مني اليه فسالته
قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد
آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما واتصاله
على انه صفة المنادى ومنادى برأسه انت ولي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفي واوصى ان يدفن في الشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم وعاد وعاش
بعده ثلثا وعشرين سنة ثم راودت نفسه الى الملك الخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا حرزا فيه
ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد
له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما

ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم انك لا تحتى
على تكذيبك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمه منه وانما حدثت هذا الشيء استغناء
بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم
على الكفر وما تسئلهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو
الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاين شيئا
من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض
يمرون على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى
الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل
الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم
الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاستعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن
اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشرك
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نوحي اليهم
النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك وتميز وابدلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل
القرآن ووافقه حمزة والكسائي في حرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة
والكسائي يميلانه على اصلهما هنا وفي النحل والاول من الانبياء من اهل القرى

القصة

عدوهم

عليها

بالنون هنا وفي النحل والاول من سورة الانبياء ع

لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المتعززين
بالدنيا المنهالكين عليها فينقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولمنازل الحال والشاعة او الحيوة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا
انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى يئس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالوعد والوعيد وقيل الاول للرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدهم من النصر وغلط الامر عليهم وما
روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد
بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والا
سبيل التمثيل وقرأ عاصم الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي ظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوه
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا لها اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لايثارهم فيه غيرهم
وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئتين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلال

أفلا

يغرنهم

المشيئتين

ورحمة يا لها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية
الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون ٥ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الم قيل معناه
انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك
هو القرآن كله ومحله الجر عطف على الكتاب عطف العام على الخاص او الرفع على
الاخرى والرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر
وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت
بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الامر يخبر عمدا اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمد كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد بمرئيتهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المشاركة لها
في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من الشرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها
كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادوارها او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الاعادة
والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات يبينها مفصلة او
يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها

وتحققوا

وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على
الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام
وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت
جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة جبال او للمبالغة وانهارا انهرا الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل
الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكون النهار وتعاقبهما
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
وبعضها صالح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر بوقع لافعاله
على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يكون منها
ويعرفها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية مع حيث انها متضاربة متشاركة في
النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع عطفا على جنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة
تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ذا الثمر حلوا
وقذرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاعداد لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد

من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما تقرر عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما ترى دالة على
المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وفعله
المواد لانواع تصرفاته اذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول
له والعامل فيه اذا محذوف دل عليه ءانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بها
لتذلل لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالكم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحذروا ان يحل
مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل للمعاقب
عليه ومنه المثال للقصاص واستمثل الرجل من صاحبه اذا استقصصته منه وقرئ
المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الثاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتنبيه به دليل
جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالشفاعة
الكفرة لمجتنب الكبائر واول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار ولمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما
انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم

وهو الله

وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات لمزيد ذلك
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما
اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله
باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت
لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيره فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما
تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وافتى مدة الحمل اربع سنين عندنا
وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن
حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة
وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطنا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازديادها وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتها لازمين تعين ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا تفضي
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان
المتعال الذي لا يخرج عن علمه شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو
مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأه بالليل وسارب بارز بالنهار يراه كل احد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في الاثنين كقوله لمن سئلت من باب
مخطبا وكانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما
قبلها كما علمه وشموله له لمن اسر ان جهر واستخفى وسرب معقبات ملائكة تعقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب

بعضا ولانهم يعقبون اقوالا وافعالا فيكتبونها واعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او مخففة
على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال
ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار
او يحفظونه من الضار او يراقبون احوال من امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية للمعقبات وقيل المعقبات الحرس والحلاورة
حول السلطان يحفظونه في قومه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من ولي
امر يلي فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم
البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي
ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر
من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف
به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح ما معه بحمده
ملتبسين به فيسبحون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق به السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون
رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما للعطف
الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول

العيم المنسي الغوام

على الجملة

الله صلعم

الله صلعم قاصدين لقتله فاخذ عامر بالمجادلة واربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمي عامر
بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت وهو شديد المحال الماحل والماكر لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى الجدب وقيل فعال
من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة او على غير قياس وبعضهم انه
قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى المقدار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم ساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على ان المراد دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله
وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد انهما وان
كانتا من حيث لم يشعرا بحال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على ان الحق وان
كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول مثل حالهم وتهديدهم باجابة
دعاء الرسول عليهم وبيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي الاصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه
الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل
شبه حالهم في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليستغرف به
وقرئ يدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه
يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة لكرها

على

كرها

حالا للشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده
فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم للتصريف اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرفا لسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الاستداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة
كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر وقوله
اذ قد قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي
امرهما قل افاتخذتم بذلك الاستفهام جواب لهم سواء ولانه البين الذي لا يمكن المراء
فيه او لقنهم الجواب به قل الله قل هو الله ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر
بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا
اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انتفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا
لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المتردد الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والمؤدي
العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي
الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل جعلوا والهمزة للانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم
الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا
العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازمها استحقاقها فنفاه عن سواه ليدل عليه وهو
الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب ومن جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية
انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل الماء

الجاري

الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي
علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رابيا
وفيه الغليان ربا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبرياء ابتغاء حلية طلب حلية او متاع
كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما
توقدون عليه زبد مثل زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واخراجه للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وبقائه بالماء الذي ينزل من السماء ويسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمسيلة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه وينسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الاسلحة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلته نفعه وسرعة زواله
يزبد هباء وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء رميا يرمي به السيل او الفلز المذاب
واتصاله على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز
فيمكث في الارض ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على ان يجعل ضرب المثل للفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل
غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم ومبس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى عن الحق فيستجيب لكن هو اعمى عن القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان يقع من جهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوا العقول
المبرأة عن شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على

من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه ولا يعصون الميثاق
ما وثقوه من الحوائق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك
مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عيانا ويخافون سوء الحساب خشية
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالف الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال علانية لمن عرف
ويدرءون الحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فيمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآلا لها
وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فالخبر فاستبان بذكرها استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ
للفصل بالضمير الآخر ومفعوله معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في سرورهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب القصور والغرف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وغيره
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما وثقوه
من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن

اولئك

اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه
في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا
في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا شيء يتمتع به كجمالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى انهم استروا بما نالوا من الدنيا ولم يرضوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد
ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله
يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل بما ادى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من
او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله اثناء بواعتماد عليه او
رجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على
وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا للضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب
كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحكمهم
انهم يكفرون بالبليغ الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا

للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي وحكمي
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأ او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا
القرآن لكانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار فلما آمنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير
بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح
ان نركبها ونجيء الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو
قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى
على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو مناسب عما اقتضته
لو من معنى النفي اي لله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم
تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم وروي عن علي
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين تفسيرا وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه تبين هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية بهدايتهم
وهو على الاول معلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم على منهم
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او آمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فتقرعون منها
وتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا

برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف من اطرافهم
وعلى هذا يجوز ان يكون خطابا للرسول فانه لما بعثه قريبا من دارهم عاشه
الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ووعد المستهزئين به
والمقترحين عليه والاسلام ان يزل ملاوة من الزمان في دعة وامن ان الله لا يخلف
الميعاد لا يمتنع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملي للذين كفروا
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه من خير وشر لا يخفى عليه شيء من
اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله
شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلوا مفعولا ثانيا وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر موضع الضمير للتنبيه على استحقاق العبادة وقوله قل سموهم تنبيها
على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقون بها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة
وبئسما تحدثونه ام تنبئونه بل انبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في
الارض شركاء يستحقون العبادة لانفسهم او بصفات لهم يستحقون بها الالهية لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول بغير حقيقة
واعتبار معنى لتسميتهم الزيغ كما قرأ وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب يتأدى على
نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خالوها
او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر صدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدا بالتنوين
ومن يضلل الله بخذلانه فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة بالقتل والاسر
وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره
تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر وعلى حذف موصوف اي مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد

المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما
نسخ فى الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا ما لهم ومنتهاهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفى ترتيب الظرفين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن
واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة كالكعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما خالف شرائعهم وما يوافق ما حرفوه
منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهما انى امرت فيما
انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو الحمد الذى لا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه
لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه
مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عداه فلكل شريعة
فيما يختلف بالاعصار والامم فلا مغير لاحكامه المخالفة فيه وكذلك وكمثل هذا الانزال
المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى القضايا والوقائع بما يقتضيه الحكمة
عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه واتصابه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو خطاب لهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى الدين ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما لى لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية تقترح عليه وحكم تلتمس منه الا باذن الله فانه
المالك لذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء بنسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضى حكمة وقيل

يمحو آيات الكتاب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويترك غير مثبت او يثبت ما رآه وجدير فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت
آخرين وقيل يمحو المفاسد ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن
الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال
ارينك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا يشغل بالهم اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا قادرون له وهذا تعليل
اولم يروا انا نأتى الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى
الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا
حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاسر
فى الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد
جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما ينتهى العذاب المعد لهم
وهو فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما فى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفار اى اهله وسيعلم من
اعلم اذا اخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بينى وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة
وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اى وكفى بالذى يستحق العبادة
وبالذى لا يعلم ما فى اللوح الا هو شهيدا بينا فيجزى الكاذب ويؤيد قراءة من قرأ

ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من
الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعدد
يوم القيامة من المؤمنين بعدد الله سورة ابرهيم مكية وهي خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب

اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه
واضافة الصراط الى الله تعالى لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه
لا يذل سائله ولا يخيب سائله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع
وابن عامر مبتدأ وخبر او والله خبر محذوف والذي صفة وعلى قراءة الباقين عطف
بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود بالحق ويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل تقبيح الوأل وهو النجاة
واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار الشيء يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله يعوقون الناس عن الايمان وقرئ ويبغونها
من اصده وهو متعد من صد صدودا اذا تنكب وليس فيه حالان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا وتكوثا عن الحق ليقدحوا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته عامل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم
والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق وتوغلوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال

فوصف به

فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه
الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه ويشرعه
ثم ينقلوه ويتحدوه لغيرهم فانهم اولى الناس بان يدعوهم واحق بان يبذلوا لهم ولذلك
امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاع
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب
القرائح وكد النفس من القربة المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بفتحتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه
لمحمد عليه السلام والله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل
عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فان ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل الا بلغة
العرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو
العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات تمثيل اي اخرج
لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على
الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل نعماه وبلاؤه ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل اراد لكل مؤمن
وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه
اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا
اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذيقونكم ابشعه يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوالا من آل فرعون او من ضمير

المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر
بالذبح والقتل ثم ومعطوف على الذبح ههنا وهو اما جنس العذاب او
استيفادهم واستعمالهم الاعمال الشاقة ويذبحون من حيث انه بما قدر الله بايديهم و
اسكانهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد
بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى آذن كتوعد و
اوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة الكريم الاكرم
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر تاذن على انه يجري مجرى
قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان
الله لغني عن شكركم حميد مستحق الحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمته ذرات
المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها
للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من كلام موسى وكلام مستأنف من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة
وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى
انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل
كقولهم عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه
كمن غلب الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم بالطباق الافواه او اشارة بها الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
تنبيه بمنعهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم والوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا

بما ارسلتم

بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعوننا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذو ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء
قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه
لا في الشك اي اغائب هو كما الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهورها لانها عليه
واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الى الايمان بحقه اياه ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته ليضربني
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان
الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء عن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع
القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب
المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا
بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة دعائكم النبوة كانهم
لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا
مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه
دليل على ان النبوة عطائية وان ترجح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا يستبد باستطاعتنا
حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيختص كل نبي بنوع من الآيات وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فليتوكلوا عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار
بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله
اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي نعرف بها ونعلم ان الامور كلها

بيت وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جوابه
محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل
لنهلكن الظالمين على اضمار القول واجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي
وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مصدر وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فان كلا منهما سأل الرحمان نصر المحق وهلاك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب
كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار غاب متكبر عن الحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او القبيلين كان اوقع
من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا سيوقع اليها في الآخرة
وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا
يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغصه فيطول عذابه والسوغ جوازه
جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب من

الشدائد

الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله
وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبله في كل وقت مثل
اشد ما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة
عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنة النوازل الله عليهم
بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم وقد وعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل استسقائهم
صديد اهل النار صدقه يا اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي
فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة
لبيان حالهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت
الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشد ما تكون الريح ووصف به زمانها للمبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه ما يعملهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها بانها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام بها بطيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم
القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون لها اثرا من الثواب وهو فذلكة
التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم يحسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية
في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة
والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر كما
ترى ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما توقف عليه تخليقهم تركيبهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم
بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يعبد ويخشى
رجاء الثواب وخوفا من عقابه برزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم
القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على الحقيقة فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش

بالحق

الشرك الاكبر

ويظهر انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر
بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى
وانما كتب بالواو على لغة من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا رؤساءهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة وعلى اضمار مضاف
فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شىء من الاولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض شىء هو بعض عذاب الله
والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون
بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضنا كم له لكن سددونا طرق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا
كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ونوده ما رعدا انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر بينكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار خطيبا الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان يحق
او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا
حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعلتنى مخلفا وعده كالاخلاف منه
وما كان لى عليكم من سلطان تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى
اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا

الضعفاء

اى بعض الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكون التبعيض

بتسويلى

فلا

فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد
مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقول اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما
انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثالث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا
لم تكسر وقبلها الف فالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يرى ياء على ياء الاضافة
اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى
كفرت بما اشركتمونى ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم
باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واشركتمونى كقوله يوم القيامة
يكفرون بشرككم وموصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونى به وهو الله بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شرك
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلام ابليس او ابتداء كلام من الله
وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا
عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحية الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب
اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى اغصانها على الاكتفاء بلفظ

من قبل

الجنس لا كتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله وانما
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقتيا الله لا ثمارها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في
ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس مثل كلمة خبيثة كشجرة
كل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها
قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله او
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة
وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد
بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم
وعلم في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وشعيا
وتمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
هم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة روي انه عليه السلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال فيعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي بكفر نعمته كفرا بان وضعوه مكانها وبدلوا النفس
النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها
كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقهم
وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه فكفروا ذلك فتحطموا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم
بدر وصاروا الى النار فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران

فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى الصلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك صح

من قريش

من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فتمتعوا حتى حين واحلوا قومهم قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس
المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع
عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته
جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم وبعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع
بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المحذور به
وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لا محالة
فيه كالمأمور به من امر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تشريفا وتنبيها
على انهم المقبولون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا اقيموا الصلوة وانفقوا لما رزقناهم ليكون ايذانا بانهم لفرط
مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر
بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قول محمد تقد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لاختلاف قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا سقاطين
مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية
او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحسن اعلان الفرض
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره اي فيفدي
نفسه ولا خلال ولا محالة فيشفع له خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بما يعد كالمحالة
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام
الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
تعيشون به ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج

وهو يشتمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه صح

وسخر لكم الفلك تجري في البحر بأمره بمشيته الى حيث توجهتم

في معنى رزق سخر لكم بدونه لجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يتلازمان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لا احتياج السائل سأل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المعرف بعد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجحد ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني وايانا عن ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا ينافي ولا اخافه وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم تحقيقا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر بحيث ما نصبنا حجرا فهو مثله رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت بناء العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر ديني ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدير ان تغفر له وترحمه ايضا او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان الكافر قد يغفر له حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي وذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه

اهل

ان صحت

متضمن

متضمن لاسكانه بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها مجدبة لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او الذي لم يزل معظما متعبدا بها بالجبابرة ومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولود عا بهذا الدعاء او لما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم اتت جرهم راوا طيرا فقالوا ان الطير لا تطير الا على الماء فقصدوه فراوهما عندها عين فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل معك في بناءك فنزلت فنزلوا ربنا ليقيموا الصلوة اللام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل شيء وتمرين الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحم عليهم فارس والروم والحبشة واليهود والنصارى والابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئدة خلف عن هشام بعد الهمزة وقرئ آبدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم الفاعل من ابدت الرجل اذا عجلت يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول سريعا تهوى اليه غيرك وتهوى من هوى يهوي اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واذا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك علم باحوالنا وعصاحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستجلابا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي

جمع

من وجد الفرقة وما تعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء لمبالغة
في التضرع والالجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لان العالم بعلم
ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب
لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل منصوبا الى مفعوله وفاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعاه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة مداوما لها مواظبا عليها ومن
ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم
الماضية في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد
بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه فيما بينهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية
والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة والكل من توهم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين با
بصارهم فلا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل تبقى عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم كفؤاد ذي الحيرة والدهشة

ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء لا رأي فيه ولا قوة قلب من الطائر
جوفه هواء وقيل خالية عن الخير جاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب
يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول
الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا ورددنا
الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك
ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظير لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم
جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه ما لهم من زوال شديدا
واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون
عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقولهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يتعدى
بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما شاهدوه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر
عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعلناه بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكر به جزاء
لمكرهم وابطاله وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال سوي لازالة
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان
الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا بالنبي ما هو
كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفارقة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة

من فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه
لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احد كيف يخلف
رسله ان الله عزيز غالب لا يمانعه قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض
غير الارض بدل من يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر ولا يخلف وعده ولا يجوز ان
ينتصب مخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتغييرها وتبديلها
تغيير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تبدلنا
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه
قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية محتملة لهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس تحشر الناس على ارض بيضاء لم يعمل عليها
احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روي ابي
هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا لله الواحد القهار
لحاسبته ومجازاته وتوصيفه بوصفين للدلالة على ان الامر في غاية
الصعوبة كقولك لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد فلا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض
بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى
رقابهم بالاغلال وهو محتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
في الاسفار متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال السلامة
بن جندل ورد الخيل قد لاقى سفاد ايعض باعدو بعظيم ساق واصل الشد سرابيلهم

قمانهم

قمانهم من قطران وجاء قطران لغتان فيه وهو ما يتحلب من الابهل تطلى به الابل فيحرق الجرب بحدته
وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى جلودهم لتكون طلاء لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتنه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من
الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس والصفر المذاب والآن المتناهي حره
والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتعلاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها
لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة ملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل
بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت وكل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان مجرى الكلام
يبرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة
او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصف من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم
في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا وبهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علم واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد النظر والتامل فيه من الآيات
الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يردي بهم ويتدبروا
بما يخلصهم واعلم انه سبحانه ذكر هذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب كما ارسل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد
الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

واذا كان المراد من الكتاب قرآن مبين السورة فالعطف مثله من قبيل الانسان الاسد والهمام والبحر الكثير في الرجل

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكير للتفخيم
اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت او يوم القيامة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء
وفتحه مع التشديد والتخفيف وتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله
على الفعل وحقها ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري
مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
في الايدان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادهم كالغيبة في قوله حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض قطع الطمع
من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد استغال بالاكل تحته
وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التمتع وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا
ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل الا بتخلها
الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما اشتبهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمائره
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا النبي عليه السلام على التهكم لا تري
الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون وتقرير ذلك قولهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لو ما تاتينا بالملائكة ركب لو مع ما
كما ركب مع لعل لتعليل امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض للملائكة ان كنت من الصادقين
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا والعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة

قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالعجل الذي قدرت واقتضت حكمة ولا حكمة في ان تاتيكم صورة فتشاهدوها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك
اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقصان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او نفي تطرق الخلل اليه في الدهر
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل او قيل الضمير للنبي عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى بثثنا رجالا فيهم وجعلنا هم رسلا
فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام
وما الحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه نثبته في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخرز والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر
في قوله تعالى لا يؤمنون به لا وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم
من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من المجرمين ولا ينافي كون
كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقوي وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفرة قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم
على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستعينين
لما يرونها ويصعدها الملائكة وهم بشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق
انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار السحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حبست

بالياء مسندا الى ضمير اسم الله

اللسان

من الضمير لجواز ان تكون حالا

من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفيه كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو اما خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البديعة
للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل
شيطان فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها
الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سترا خفيا بخطفة يسيرة
من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر والاستدلال من اوضاع الكواكب
حركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات
فلما ولد محمد صلعم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها
اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فلحقه شهاب
مبين ظاهر للجمهور والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما
من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض
او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمة او مستحسن متناسب
من قولهم كلام موزون او ما يوزن اذا وزن في ابواب النعم والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالجر عطفا على الضمير بتنزيل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم
يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفي ذلك الآية الاستدلال بجعل الارض
ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال القدرة وتناهي حكمته والتفرد بالوحدانية
والامتنان على العباد بما انعم عليهم ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا
عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اصناف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة وجهاد

ماخيل

وبقدر

وما ننزله

وما ننزل من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص
بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي تجيء بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كاشبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قول
وقحطنا ما تلقح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على اول الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين اخراجه نفي عنهم ما اثبته
لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم
كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان
طبيعة الماء يقتضي العلو فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد
الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وتبديل بازالتها وقد اول الحيوة بايجاد الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذ فنيت الخلائق كلها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل
على قدرته دليل على علمه وقيل سول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض
القوم ليلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على ان ما سبق من الدلائل على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من طين يابس يتصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا نتن تضعيف صل من حمإ
طين متغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور
من سنة الوجه او مصبوب من سن الماء وصوره كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن
وهو الصب كانه افرغ الماء فصور منها تمثال انسان اجوف يبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير

والسحاب

وبقدر

رتب

كما ان القادر والمتولي لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه

ذلك طور بعد طور حتى خواه ونفخ فيه من روحه او ممتن من سلت الحجر على الحجر اذا
حككته به فان ما يسيل منهما يكون منيا ويسمى سنيا والجان ابا الجن وقيل ابليس
ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادة كان الجنس باسره متشعبا منها واتصافه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل
خلق الانسان من نار السموم من نار الحر السديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحي في
الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب
فيها الجزء الناري فانها اقبل لمزاج التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب وسياق الآية للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدو خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال
ربك واذكر وقت قول الملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه مجرى
النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتخلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية فيصير حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل
تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في النساء فقعوا له ساجدين فاسقطوا له ساجدين
امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة واجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى واستكبر وان جعل متصلا كان استثناء فاعل ابى جوابا لسائل
قال فما سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم
اكن لاسجد اللام تاكيد النفي اي لا يصح مني ولا في حالي ان اسجد لبشر جسما في كثيف وانا
ملك روحاني خلقته من صلصال من حماء مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها
استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها
اي من السماء او الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد

واحدة

كاهو

الحمد لله الذي خلقكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

اقتباس المفهوم

يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة
هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فان منتهى مد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر تنبئ عنه هذه وقيل
وقيل انما حد اللعن بيوم لانه بعد غاية يضرها الانسان الا انه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزائل قال رب فانظرني فاخرني وانظر متعلق بمحذوف دل عليه فانك رجيم فاخرج منها
الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المستوفي اجلك عند الله
او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيامة
واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه تارة بيوم الجزاء لما عرفت وتارة بيوم البعث
اذ يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وتارة بالمعلوم لوقوعه في الكلام وتارة بيوم
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اولا اليوم ويبعث الخلائق في قضاء عيشه وهذه المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعاله تعالى
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي والتسبب له باجرائه اياه بالسجود
لآدم عليه السلام والاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن اسناده الى الله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسلطه على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار اهمال او لم يهمل وان في امهاله تعرضا بمخالفته لاستحقاق من يدا العذاب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاضلنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق ان عبادي
مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه على معناه
طريق علي يؤدي الى الوصول الى من عزا عوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي

الطائفة الاولى من الملائكة

اولا الاخلاص

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه
التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قوله من شرط ان يكون المستثنى اقل من المستثنى
لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين
تاكيد لا يعلم لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وسميتهم ثم لظى لتلظيها الحطمة لشدة السعير لسقر لسقرهم الجحيم لجحيمهم الهاوية ولعل تخصيص
العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم اي فرزا فاعلا للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة
والقاء حركته على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال
منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرا نافع وابو عمرو وحفص
وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما
عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم وفي الجنة بتطييب
نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه الغل

فيها

فيها معنى الاضافة وكذا على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره
لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف
او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة
بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فلكثرة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من تقي الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على ونبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى
اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا
حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه
الحال وكذا قوله فبم تبشرون اي فباي امر تبشرونني او فباي شيء تبشرونني فان البشارة
بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة وكل القرآن على
ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة وما يقطع الذي
لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قوله الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وما خطبكم
قنط بالفتح قال انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي مشركين لاهلاكهم سوى البشارة ولعله

علم ان كان المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى الواحد في بشارة زكريا ومريم ولانهم بشروه في تضاعيف الحال لا ازالة الوجل ولو
كانت تمام المقصود لابتدءوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان
استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين
كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لانهما لنا مجرمين وتنجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استثناء اذا فصل الاستثناء بآل لوط جاز مجرمين ومتصل
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضمير منجوهم وعلى
الاول لا يكون الا من ضمير منجوهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعلوا انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ
حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لنهلكهم وقرأ
ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا يجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قوله
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص به قال انكم قوم منكرون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي
وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي جئناك بما
تنكره لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم
فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
سر من السرى بقطع من الليل وطائفة من الليل وقيل في آخره وليس في الباب والظرف
في النجوم كم علينا من قطع ليلا بهم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم ولا تلتفت
على ما خلفهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احد منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الجهة التي امركم الله بالمضي اليه وهو الشام

او مصر

او مصر فعدى الى حيث وتؤمرون الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي وحي
حينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى
انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه لحمله على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
اهل المدينة سدوم يستبشرون بأضياف لوط طمعا في فعلتهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من آذى الضيف فقد آذاني واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
واحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس واترالهم قال هؤلاء
بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر وما اقول لكم لعمرك قسم بعمره المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل
لوطا وانه لا يكون الا لملائكة لان ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لا يكاد
خفة فيه لانه اكثر الدور على السنتهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم وشدة غلمتهم التي زالت
عقولهم وتميزهم من خطائهم والصواب الذي يشار اليهم يعمهون يتحيرون فكيف تسمعون
نصائحك وقيل الضمير للقرية والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي
قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل وقد سبق من بيان هذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين
المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة
فبعث الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك

وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فان كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما
منبها على الآخر لسالمين بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به القوم ومطمر السبيل لانها
مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد
بين المدينة والشام تسكنه ثمود وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل
على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها وودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لغرة غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين حين اتى وقتهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
الا خلقا ملتبسا بالحق لا بلا استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك اهل
هذه وان اية فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها من كذبك فاصفح
الصفح الجميل ولا تجيل الانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ
بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فهو حقيق بان يكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم ما يصلحكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وانه هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير
ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة وقيل يونس فانها في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل الحواميم وقيل
يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من الثنى
او الثناء فان كلا ذلك مثنى بتكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة
والاعجاز او مثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني
القرآن وكتب الله كلها فيكون من التبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع آيات والسور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات

ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع وهو ان يراد بالمرسلين صالحا

وفي حديث

وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه اوتي باذرعات سبع قوافل لليهود
بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم
سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم
متمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين
انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل
العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لنفس النذير اقيم مقامه والمقتسمون
هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان
بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقولا ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا
اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن من جملة ما يقرؤنه
من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولا الآخر اعرابا
مدح لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا
جعلها اعضاء وقيل اسحارا من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلعم
العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته
صفة المقتسمين او مبتدأ فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم
او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع
صدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل
واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجح محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع
واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقهرهم واهلاكهم

تمدن

اجزاء

نعلة

خبره

وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي
بن قيس والاسود بن عبد يغوث المطلب بالعين في ايذاء النبي والاستهزاء به فقال جبريل
لرسول الله عليهما السلام امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بنصل
سهم فلم يخطه تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص
العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل يطرح رؤسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عنق الاسود بن
المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم
في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن
والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك
ويكشف الغم عنك وفنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن
من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى
فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا
تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم
كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقول فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع
فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنده سبحانه وتعالى عما
يشركون تنزه وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب وعلى ان الخطاب

للمؤمنين

للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع
الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي والقرآن فانه يحيي
به القلوب الميتة بالجهل او بيوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك
اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول انما تحقق موعودهم به ودنوه واراحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه
تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره
ومن اجله على من يشاء من عباده ان ينذره رسولا انذروا بان انذروا اي اعلموا من انذرت
بكذا اذا اعلمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا
اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقولوا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود
وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدر مؤكد موضع الجر بالامر
او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة
الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر
بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها
دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على
وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات
والارض بالحق وجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها
بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على
خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد
لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم يتطيق مناظرا مجادلا
مبين للحجة او خصيم كافر لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى
النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل
والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم

بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها واغاير عنها بالمنافع ليتناول دعوتها ومنها تأكلون اى تأكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى
او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها
من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان
الانسان يتزين بها فى الوقتين ويجلب اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأ البطون حافلة الضروع تربأ وعلى الحظائر رابضة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفة بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم اخالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا
من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها
لانفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هى مفعول له على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل
على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا اجمل
ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم

لنا

لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا وعليه
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه
يقصد الوجهة الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليه القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه
ليس حق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى
القصد والجائر اعتبارا بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين
اى ولو شاء هداية تكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل
من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم منه ماء انزله الله
شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها ايوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان سقاه
العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعنى الشجر الذى يرعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض من شجر قال تعلفها اللحم اذا عز
الشجر والخبل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية وسمتها
صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها توجد بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع
وقرأ ابو بكر بالنون على التعظيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم
ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه يصير
غذا الحيوانات هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة
وترتيبها ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل
ان الحبة تقع فى الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه الشجر
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد
ونسبة الطبائع الفلكية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا
بفعل فاعل مختار مقدر عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية لذلك

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء والمخلق له ايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال
ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب وافضاءها فان ذلك ان سلم فلا يرب
فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل ومسد رجع لاختلاف
النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعيينا للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل لانواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى
استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم فى الارض عطف على الليل اى سخر لكم
ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تختلف باللون غالبا
ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا
بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه غضا
طريا ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل
السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساءكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه
تشق الماء بمقدمها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه

القمر

جعل المهالك

جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى ان
تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال
كانت كرة حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
وان تتحرك باد نى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها فى
توجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق
الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال انهارا وجعل فيها انهارا لا الق فيه معنا وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل بها السالك من جبل وسهل
وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالنجم الجنس
ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا اكثر الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء فى اسفارهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم
النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن
لا يخلق انكار بعد اقامة الادلة المذكورة على كمال قدرته وتناهى حكمته
والتفرد بخلق ما عدد من نعمائه لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوا من جنس المخلوقات والحجرة
شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم او الاصنام واجراؤها مجرى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الآلهة
ان تعلم او لمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده باذنى تذكر

والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة
تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تحصر وان عبادة غيره مقدم ان الله لغفور حيث
تجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتعليل
ترغيب للمشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه
وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انهم انهم لا يخلقون شيئا البتة انهم لا يشاركونه لما اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق
والآلة ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات
حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والآلة ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه
الممات وما يشعرون ايان يبعثون لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم
وقت جزاء على عبادتهم والآلة ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للدعوى بعدا قامة
الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح
الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الخسران
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر
فعل لانه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم والوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير
الاولين اي ما تدعون نزوله والمنزل اساطير الاولين وانما جزموه منزلا على التهكم او على الفرض

والاستدلال

اي على

اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قبلهم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلونهم من لا يعلم
انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يجتنبوا ويتحروا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم
اي رؤساء منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتيها امر من جهة
العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
هم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح بابل ليتسلق به الى السماء
فاهبت الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او
يعذبهم بالنار لقول ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي
اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه
ابن شركائي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون على تشاقي نحو خافني مشاقة المؤمنين كشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين
توفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالتاء بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم نسالموا واختلفوا حين
عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان
يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف

ويجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كانوا
من سوء بأن لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون المراد عليهم هو
الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم منازل
عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ما
ذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب و
اطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قال
واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة كما قالوا في الدنيا
ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم يجوز
ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بلا وقيل الخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله
المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين بشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول
حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار الا ما ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية
اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية

الجزاء

الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه تنبيها اليه
لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبحها عالمهم وبنا بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا ما احله ورد وارسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤد اليه
على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب تقدر له ثم من
ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد هداه وزيادة
الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء النافع فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفسده
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للارشاد ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وبيانه بفعل الله تعالى وارادته من حيث
انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت
عليه الضلالة وقرأ حمزة والكوفيون لا يهدي على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من يمنعهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين اشركوا ايمانا بانهم كما انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده وقدرة الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دل عليه بلى فان بعث موعد من الله عليه انجاز الامتناع الخلف في وعده

انكروا التوحيد

اولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يعثرون
اما لعدم علمهم بانه من موجب الحكمة التي جرت عادة بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف
فيتوهمون امتناعه ثم تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه
وتقرير ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المادة والمدد والا
لزم التسلسل فكما امكن ان يكون الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن ان يكونها اعادة
بعد ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المجوسون المعذبون بمكة بعد
هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعياش وابو جندل
وسهيل وقول عمر رضي الله عنه اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي
المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما
ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لما دواوا اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحل النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم
يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا مثنى فالى الملائكة او الى الانبياء وقد
لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم

فيكون سورة يس

الآية بشر ابو حيان على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان حكمتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار يعلمكم ان كنتم لا تعلمون في الآية دليل على ان النبي لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة

بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا
زيدا بالسوط وصفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بوحي على المفعولية او الحال
من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او لا تعلمون على ان الشرط للتثبت والالزام
وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر بتوسط انزاله اليك ما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان يتعلق
بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا
فيه فينتبهوا للحقائق ام امن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين
اختالوا الحيل لايذاء الانبياء او الذين مكروا برسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء
كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا نزول العذاب
وهم يتخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته
اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال
شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قرفا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعانيه كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استدلالهم
انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته فيؤمنوا
به وما موصولة مبهمة بيانها يتفيأ ظلاله اي ولم ينظروا الى المخلوقات التي
لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأوا بالتاء عن اليمين والشمائل
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانب كل واحد منهما استعارة عن يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا

لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء
كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطأ رأسه
ليركبها وتحدد الحال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منقادة لما قدر لها من التفيؤ واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها
من يعقل وآلات الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو
جانب الشرق لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والطلوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الظلال تقول النهار تبتدأ من المشرق واقعة على الربع الشرقي من الارض وعند
الزوال تبتدأ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض اي ينقاد انقيادا تاما لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه واسند طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب من الحركة
الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبتدأ عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانيات وباحتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة وبيان لما في الارض
والملائكة بكرير لما في السموات تعيين لما جلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما في لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان او لمن اطلاق
من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من
فوقهم او يخافون وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير لا
يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان سياق النهي اليه
او بيان لان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون

نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غيري وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق ان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع نوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون ولا مناص سواه كالا مانع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وانى تؤفكون
فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجأرون فما تضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من البيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون التفريق
على ان يعتبر بعضهم كفورا فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيد وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطف على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام
لام الامر الوارد للتهديد والجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لاصنامهم التي لا علم لها لانها جماد
فيكون الضمير لها او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان العائد الى ما محذوف ولجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم نصيبا
مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز ان يكون
الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار ويجوز ان يكون
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول الثاني واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم
بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتنوين فيه وكظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم

يتخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا أيمسكه محدثا نفسه
متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد
ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد
المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث وئادهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المحدثين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة التاريخ او
الدابة عليها من دابة قط بسوء ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل الواهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى تمام اعمارهم ولعل ابقاءهم كي يتوبوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون بل هلكوا وعذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة
الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما
شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات
والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع
بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء
ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
فاصروا على تباعها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقرين اي قرين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء

اليوم

اليوم بغربهم ويعونهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي الغريب
او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر والحلال
والحرام واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا
المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها نبت فيها انواع النبات بعد
يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة كالاعتبار
يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير وحده
هاهنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه من المفردات المبنية على افعال كالخلاف والكيابير ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحد اوله على المعنى
فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي
المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التي في الفرث وهو الاثفية الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي
البدن لانهما لا يكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما ينضجها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة منها
مائية يميز القوة المميزة لتلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرة والبلغم وترفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض مجاورة لحوبها الغذائية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقاديرها

ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما هو اليق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في
بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي تناول
منه الاشقاء وهو متعلق بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه
موضع العبرة خالصا صافيا لا يستحيي لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى مما يحيي من الرطوبة
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهلا المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او
خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم تتخذون منه وتذكير الضمير على
الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر يصدق
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم فالمعنى
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تثلمت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثماره ان في ذلك لآية لقوم يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بتحقيق ان الثانية بان الخفيفة
ويجوز ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل يذكر
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرشون من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتعسل فيه
بيوتا تشبيها بيوت الانسان لما فيه من حسن الصنعة وحكمة القسمة التي لا يقوى عليها
حذاق المهندسين الا بآلات واقطار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
ترعاها وطوعا فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المشرق
عسلا من اجواف ذواتك فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى
بيوتك سبل ربك ولا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل

يعقلون

اي مذللة

اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل
لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل
في باطنها عسلا ثم تقيؤه وادخار الشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا واذا اجتمع في
بيوتها شيء كثير منها كان العسل فيشربه البطون بالاقواء مختلف الوانه ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما
في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه
مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتبعيض وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او للماء
الذي من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه
يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت
الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت احوال الناس ليس الا
بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير
ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما

طلية

الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على ما
ليكهم فان ما يدرون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء
فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة الاسمية للجملة المنفية او مقررتها
ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيه ويقسم
افبنعمة الله يجحدون تجحدون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم
ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتتناسلوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل
هو خلق آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولادا اولاد اولاد او بنات فان الحفدة هو
المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله انما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض
شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل
عنه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وفيما
قبله لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركون به وتقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تقولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل

في التعظيم

في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جزاتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به المملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج باستناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على استناع التسوية بين الاصنام
التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك
لا يملك والا لظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس
فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله
ايما اوجه الوسعد او يوجه بلفظ الماضي لا يات بخير ينجح وكفاية مهم هل
يستوي هو ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس
على العدل الشامل الجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا وبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كالتابعين لها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه
وبينها والمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه غيره وهو ما غاب
عن علمهم

فانه يعلم كيف يضرب الامثال

فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع النظر من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في
الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ويابعد دفعة كان في آن وأو
للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقراره
ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما ان قدر ان احياهم متدرجا
ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه
لغة او اتباعا لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق
لا تعلمون شيئا جملة حالية مبينة جهلهم الجارية
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
آلة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركون بها ثم تتنبهون بعقولكم
بمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا انعامه عليكم
طورا بعد طور فتشكرونه اولم يروا الى الطير قراءة ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على الخطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
والاسباب الموائمة له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله
فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لآيات لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون
لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعلا بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام الخيام المتخذة
من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث نابتة

على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم واقامتكم ووضعها وضربها وقت الحضر
او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز وانما ذكرها الى غير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتمتع به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة والى حين ما تكم والى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر
والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل قميصا
والكتان والقطن وضربها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية
الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والتبان يعم
كل ما يلبس كذلك كاتمام النعمة التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من الاسلام اي تنقادون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك
البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف
المشركون نعمه التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غيره المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا وانما استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر لان بعضهم لم يعرف
الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر ولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما الانبياء فمقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا
وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار ولا
عذرهم وقيل في الرجوع الى الدنيا ولم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار

لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام لهم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم وحق
بهم ما حيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وثانيهم التي دعوها شركاء او الشياطين
هم الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس ان يتقرر عنابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي جابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله
الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياهم لقوله وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون
من ان آلهتهم تنصرونهم وتشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق
بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا
على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بيانا بليغا
لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى
ورحمة للجميع وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامركم بالعدل
بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات
وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب

ما يحتاجون

متابعة

ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة
القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة
القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة
التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه
الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد
توكيدها توثيقها بذكر الله وسمي الحلف بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك
البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان
والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة من متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها وانتصابها
على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر
اي لا تكونوا مستبهين بامراة هذا شانها متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل
ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان يكون جماعة ازيد عددا واوفر
مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش
فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله
الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى ليظهر اتمسكون بحبل الوفاء

بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
وقيل الضمير للارض وقيل للامر بالوفاء وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه فاجازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء
بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد وذكر للدلالة ان زلة قدم
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله وبيعة رسوله
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش بعثوه لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
رده كاوان ما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي
وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم
اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف
وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون احسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بيّنه بالنون دفعا
للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا بعيش غنيا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة كما وصفه
لئلا يوسوس في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في
كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه

وفي قلوبهم

وفي قلوبهم

واذا قرأت القرآن اذا اردت
قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسأل الله ان يعيذك من م

ايمان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين
يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله وبسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ
يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم تريد ولك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم
بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم وبجوز ان يكون
حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل ونزله تنبيه على انه انما يقدر جاعلا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول الضد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايش غلام خويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ما خوذ

من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي الحدون بفتح الياء لسان اعجمي غير بين وهذا
وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم
وتقريره بمحتملين وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن
عربي تفهمونه باذنه تاتل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يعلم منه
المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقرآن
كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم من فلان
سوقيين سمع منهما بعض اوقات مروره عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
فطعنهم في القرآن باشتمال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق والى سبيل النجاة وقيل الى الجنة
ولهم عذاب اليم في الآخرة هذه ذم على كفرهم بالقرآن بعد مساطة شبههم ورد طعنهم فيه
ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا والى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصدر منهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه اي بدله من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض ومن اولئك
او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دلت عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه
دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا عنقده وطاب به نفسا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا
وسمية على الارتداد فعذبوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا لها اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار ما

ما ارادوا

ما ارادوا وانكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما اتقول في محمد رسول الله قال نعم فقال
اتقول في فقال انت ايضا فقال وقال للآخر اتقول في محمد رسول الله قال نعم فقال اتقول في قال انا
اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اي الكافرين في علمه لما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا
اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اي عذبوا لكفار بالاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا
بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم
جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل
نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها ويسعى في خلاصها لا يهمها
شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فاطرتهم النعمة
فكفروا فاتر الله بهم نقمته اولكانت آمنة مطمئنة لا تزعج اهلها خوف يأتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كالدرع واذرع او جمع نعيم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

استعار الذوق لادراك الضرر والتباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار كقوله كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله
يا زيد عمرو داى عبد عمرو زيدك يا خاعر بن بكر الى السطر الذي ملكت يمنى يديك
فاعتبر منه بنظر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتبر نظرا الى المستعار منه كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وحال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الحرب السديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حلّ بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم
محرما ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الآية ويقتضي سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة
الا ما عم الهادي كالسباع والحمر الاهلية واستصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب بالغة في وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجبولة والسنتهم تصفها وتعرب بها كلامهم هذا ولذلك
عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرى الكذب الجرة

بما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم وبمعنى الحكم
الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اي ما يفترونه كجملة او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم
في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما تكون
للمضرة تكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بسببها وملتبسين بها لعدم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والتسويل الا تراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان امة
كمالا واجتماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احل الله كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل
هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امته اذا قصده واقتدى به وان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له
قائما بما امر به حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة الى دين التوحيد ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا
يزعمون انهم كانوا على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله
واتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة لما سأل بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد ثم اما التعظيم
او التنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة

ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل تارة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد
فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا تهديد للمشركين كذكر القرية
التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة
على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الابين والمعطين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم
الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الثانية
لعامتهم للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن
بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين واتيان الوجه الايسر والمقدمات
التي هي الاشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليها
فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امر بالدعوة وبين طريقها اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل
انه عليه السلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للقصاص ان يماثل الجاني
وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه
الاكد بقوله ولئن صبرتم هو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم سرح خاطر

لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما تعمل بهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل وهو لغتان
كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي
والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل ومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين
هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يومه تلاها او ليلته كان له من الاجر كا
لذ مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا
ليفتنونك الى آخرها ثلاث آيات وحيلة وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم معنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال ذو الرمة قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة
الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده
واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء
ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه
عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل
بالبراق ومن الحرم وسماه مسجدا لحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى الى
انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة
عليها وقال لها سلي لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر قريشا فتعجبوا منه استحالة
وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى
بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقال اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال لقد مر يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل
اورق فجاءوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا

تسعين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف هل كان في المنام او في اليقظة
بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة
ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة وثمانين مرة ثم ان طرفها
الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في ذلك
النبي او فيما يحاله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في ليلة من الليل
مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس ومثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وترك
الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقواله المحمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
تتخذوا بالياء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا
تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امور كم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص
او النداء اي ذرية لا تتخذوا بالتاء او على انه مفعول لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حاله
وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان بركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير
لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب
التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم
افسادتين اولهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد
قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله ولتظلمن الناس

فاذا

فاذا جاء وعد اولاهما وعد عاقبة اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
عاهل الفرس على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل بختاريب من اهل نينوى
اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ
بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالغلبة وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان
القى الله في قلب بختنصر بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف
شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصر وبان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا تأكيدا والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجموعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثواب احسانها وان اسأتم فلها
فان وبالها عليها وانما ذكر اللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ليسوء على التوحيد والضمير فيه
للوعد او البعث او الله وبعضهم قراءة الكسائي بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة
وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما غلبوا واستولوا عليه
او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرز وقيل خردوس فيقال دخل صاحب الجيش مذبح قربانهم
فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لئن صدقتموني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهطل الدم ثم قال لئن لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك

وقرئ ليسوءن بالنون

فاهلكناه باذن الله قبل ان لا ابقى احدا منهم فهذا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى
وان عدتم كرة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على
الباقين هذا لهم فى الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها
ابدا الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدى للتى للحالة او الطريقة التى هى اقوم
اى اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
وقرأ حمزة والكسائى وينشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين بشارتين بثوابهم وعقاب اعدائهم
او على يبشر باثمار الخير ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد لتندم فقال اللهم
انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر والدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير
الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجبه له فضرب عنقه يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين
دليلان على القادر الحكيم تعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اى الآية التى هى الليل بالاحراق والاضافة فيها
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصره فبصر او مبصرا لاهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقديم الكلام وجعلنا نير الليل والنهار آيتين او وجعلنا الليل والنهار
ذوى آيتين ومحو آية الليل هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او تغيير لونها
شيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر

فاسطر ملينا حجارة الآية

القمر

الاشياء

الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحكايتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شىء تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا فصلناه
تفصيلا بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد فى عنقه لزوم الطوق فى
ويخرج له يوم القيامة كتابا هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله
فان الاعمال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه
بانه مفعول ثان لالزمناه او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج وغيره يخرج وقرئ يخرج اى الله يلقاه منشورا كشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلة لانه
بمعنى الحاسب كالضارم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه
كذا او بمعنى الكافى فى موضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى بما اقامه ويذكر على
ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما
يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا يتعداه غيره ولا يؤدى ضلاله
سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر اخرى بل انما تحمل
وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا حتى نبعث رسولا يؤكد الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اوردنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة

والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله
ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان
الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما اطرهم وافضى بهم
الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول سوى كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه
كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا كثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأمورة اي كثير النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب
آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من آمرنا بالمد اماره اي جعلنا امرا
امرا وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى المحاذرة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعني كلمة السابقة بالعذاب بقوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في
المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيدا المعجل
والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يعجل كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد ما يعجل وليعلم ان الامر
بالمشيئة والهمة فضل ولكن يريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى
يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مشاركتهم في الغنائم ونحوها
ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا اشراك معه ولا تكذيب فانه
العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف
اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آتيه مددا لسابقه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا

عطاء ربك من عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا منوعا لا يمنعه
في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق واتصاف
كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة
اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب
للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم تحذ الشفرة حتى قعدت
كانها مرتزة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك
الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا
وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم
لا تعدو الامر له العظمة ونهاية الانعام وهو التفضل بسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان
مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وان تحسنوا او احسنوا بالوالدين احسانا لانهما
السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم
عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح
لحوق النون المؤكدة بالفعل واحدهما فاعل يبلغن وبدل على قراءة حمزة والكسائي من الف
يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان
يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تتضجر
مما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل
الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص
للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرأ به منونا وبالغير
للاتباع كمن منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر الايذاء قياسا بطريق
الاولى وقيل هو كقولك فلان لا يملك الا نقيرا والقطمير ولذلك منع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهي عما يؤذيهما
بعد الامر بالاحسان ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بافظاظ وقيل النهر والنهي
واحد اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا سالما من سآمة فيه

واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد
في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا صبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة
زماما وامره بخفضهما مبالغة واراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين و
اضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك
الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك
عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما
برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما
كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك
للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر ما اتي لي
منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكان تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان
تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا مما فرط منهم
عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب
ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اولا ثم يرويه على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم
وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق
عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول عليه السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا
بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال للسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال ءا في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على
نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر
او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي
انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويتبذرون اموالهم في الشمعة فنهاهم الله
عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما

ينبغي ان لا يطاع وان تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرن له قيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه سبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا
ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله
ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك تمثيلان لمنع التبخيل واسراف المبذر
نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند
الناس لاسرافك وسوء التدبير محسورا نادما ومنقطعا بك الحسير عندك من حسر
السفر اذا بلغ منه وكان جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له
ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظر والصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء يوسعه ويضيقه بمشيته البالغة الحكمة فلين ما يرهقك من الاضاقة
الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى
عليهم ويجوز ان يريد البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر وامتاز
العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة العاقبة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع النسل
وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
خطاء وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ

ابن كثير خِطَاءً بالكسر وهو لغة او مصدر خاطأ وهو ان لم يسمع لكنه جاء مخاطأ
في قوله مخاطأة القناص حتى وجدته وخرطومه في منبع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ
خطأ بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم ولا
بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة ساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق قتل كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره
بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او القصاص
على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا
يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالملام
او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيده الاولى قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره
حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا باعجاب القصاص
او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي
احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه
او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا وجوز
ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوي وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان
العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها
صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن

تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف
اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم تعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج
به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند صالح
كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي والشهادة
الزور يأتي المخرج وكقول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا والسمع والبصر
والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها هنا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذاهب
يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله دمن المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسئولا في تلك الاشياء ضير كلا اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل
صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه للمصدر لا تقف ولصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسندا
الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفؤاد بقلب
الهمزة واوا بغير الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو اعتبار الحكم بلغ وان كان المصدر اكد من صريح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها
خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى لبسرة التذلل كل ذلك اشارة الى خصال الخمسة
والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة
في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة ثمانون ومنها سيئ وقرأ الحجازيان
والبصريان على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به وجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة
تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق

لذاته والخير المعلم ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة
وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشر له في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال
فتلقى في جهنم تلوم نفسك مذحورا مبعدا من رحمة الله افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب لمن
قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى اخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لشهوة زوالها ثم تفضيل
انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلوا الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله
اذ وهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه
ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في
هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو معنى التذكير وما يزيدهم الا نفورا
عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص
بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو بكر في يقولون
في الثانية على ان الاولى بما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية بما نزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء لقولهم والمعنى لطلبوا الى من هو
مالك الملك سبيلا للمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة
لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى
مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته وانما ذا الولد من ادنى مراتبه فانه من
خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان تنزيهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي هو مفتاح

تسبيحهم

تسبيحهم وتجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور
منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مغمور
او مستورا عن الحس وبحجاب آخر لا يفقهون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا
ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلائل المنصوبة في الانفس والآفاق
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها
وتجول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا
لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم
عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لتكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده حال عن مستقر به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال
واصله ذو وحدة ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن
اذ يستمعون اليك نظرون لا علم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ويجوز مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي
اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر فزال عقله وقيل الذي
له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فقالوا تارة
ساحر وتارة كاهن ومجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا للطعن بوجه
فيها فتوه ويخبطون كالمتحير في امر لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا
وحطاما ءانا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين عظاضة الحق وسوء
الرمم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان

لا يعلم فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرة وقد كانت غضة موصوفة
بالحيوة قبلا والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر والظرف
اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اي يوم يبعثكم فتبعثون استعار لهم الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسيرهما
وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين له وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر
على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن
هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ يفسد بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بينهم
تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا تفتروا بانهم من اهل النار فانه يجرم على الشرع ان يختم امر مؤمن غيب لا يعلمه
الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فداهم وسر اصحابك بالاحتمال عنهم روي ان المشركين اوطؤا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهمّ به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن
في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون الفراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى ان شرفه
بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله

وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكير ههنا
وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب والمصدر كالقبول
وبزبره قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والقضيم او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او
بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف ترعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره
كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب
بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانهم لو
ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال الذي هو سنتنا
وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن لم نرسل بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة بينة ذات ابصار
او بصائر وجاء عليهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل
فان لم تخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر
من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة
قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير

بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وعام الحديبية حين
رأى انه دخل مكة وفيه ما يقوي أن الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
الرؤيا التي وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا وما روي انه لما ورد تبوك قال
كأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش
واستخفوا به وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فقال هو حظهم من الدنيا يعطونهم باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس
ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم طاعم
المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما علموا
ان من قدر ان يجعل في النار شجرة لا تحرقها وجعلها في القرآن لعن
طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه اذا بعد مكان من الرحمة
او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابا
جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا
الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو
طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه اياء بعلة الانكار قال أرأيتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول
اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلة عليه والمعنى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي لم امرني بالسجود له لكرامته علي لئن أخرتن الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام
موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته الا قليلا لأستأصلنهم بالاغواء الا قليلا
لا اقدر ان اقاوم سكينتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك

وفيه ان الاذان

النبي

وانما

وانما علم ذلك بتسويل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع
التفرس او تعرفا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب قال اذهب امض لما نصبة
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاءك وجزاءهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا بكلا من قولهم فلصاحبك عرضه وانتصاب جزاء
على المصدر بما دل عليه او على جزاؤكم من معنى فان جزاءكم جزاء موفورا وحال موطئة لقوله موفورا
واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي
والرجل اسم جمع للراجل كالتجب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه
بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم
وقرئ رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كنذس ونذس ومعناه وجمعك الرجل
وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها
على الا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته
عبدا لغير الله والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم الموعد
الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا عتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان
عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم
ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة
منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله
الربح وانواع الاستعانة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه
وتسهل عليكم ما يتعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا تخطرون الا

سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه وضل كل من يعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم
من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل استعظم في كفران النعمة كقول ذي الرمة
عطاء فتى مكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا كان الانسان كفورا تعليل للاعراض
افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره اجحدتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف
وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او ان يقلبه بسببكم وبكم حالا او صلة يخسف
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على
انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل
يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة
اخرى بخلاف ما عسى تجيئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تبقي ولا تصف
اي كسرة فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفركم
او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعتدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام
بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض
والتمكن من الصناعات وانشاء الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود
عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقصر الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل
الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اولها الكثير بالكل وفيه تعسف

يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو وبدعو وبدعو
على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا
النجوى الذين ظلموا وضمه وكسر بدل من الهاء والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن اتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل كتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي تنقطع علقة الانساب ويبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه
بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة
بايتاء الكتاب باليمين يدل على قرأ اوتي كتابه بشماله اذا اطلع عليها فيه غيرهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب
لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال
الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابلد ولذلك لم يجئ
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل اذا صغر كانت الفه في حكم المتوسط في اعمالكم
بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما وكانت معترضة للاماله من حيث انها
تصير ياء في التثنية وقد اماله حمزة والكسائي وابو بكر وقراء ورش بين بين فيهما
وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا تدخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر
بها على العرب لا تعشر ولا تحشر ولا تجبى في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا
علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرم مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر

حتى لم بآلهتنا وتمسها بيدك وذلك هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان
قاربوا بالفتنة ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره عنها اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك باقتنائك وليا لهم مرتاسن ولا يبقى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك
كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما تعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا
يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا
منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه كما في عقب الدار خلافهم كانما بسط الشواطب
بينهن حصير سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة

وهو ان

وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم والسنة الله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلج ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مشتملة عليها
لو فسر القراءة في صلوة الفجر بالامر بها منها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا
ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من
تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر دلوك بالزوال وصلوة
الليل وحدها ان فسر الغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير
للقرآن نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لا
مجرد
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روي عن
ابي هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه ولا شفاعة بان الناس
يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي
فيقيمك مقاما او تضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل
رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث

مخرج صدق اخراجا سالما بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخال النار
واخراجه منه سالما وقيل ادخال فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه سوء ياسته
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا يخص الاسلام على الكفر فاستجاب له
بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهرن على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل
جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة
يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما
يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض
عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وتباعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد
بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر ونافع
ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب وعلى انه بمعنى نهض وقام الكسائي ونأى
بفتحة النون والهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله في ذوات الياء
واذا مسه الشر من مرض وفقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل
يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او على
روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا

وقد فسرت

وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من ابداعياته الكائنة بكن من غير مادة وتوسط
مواد اسلوبا عضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على السؤال من تقدمه وحدوثه
وقيل لما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فيأتيهم فتنتين وابهما اخبر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيء من احواله المعرفة لذاته وهو
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل انتم وانتم قالوا وما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم
من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو الاستقامة
في معلومات الله التي لا نهاية لها فقليل بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب
مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن

على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ويأتون بمثله
وفهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولو لاحرف لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان
اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم
كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في النفس فأبى اكثر الناس الا
كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتوا واقتراحا بعد ما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عبّ الماء اذا زخر
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تكون لك بستان تشتمل
على ذلك وتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء
وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في
جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص
فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول
كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا
كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قولهم من بنا مسجد المدينة نحله فالي وقيل بها الغريب او جماعة
فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد روي به واصله
الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها له

مزان باقي او يحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان
اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن من الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فمانعهم عماية عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او
على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال والتمييز انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يمشون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ اسماعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مشوهين في القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود مطلوبة مستعرة
بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه

اشارة بقوله ذلك جزاؤهم انهم كفروا بآياتنا وقالوا ءانا لفي خلق جديد لان الاشارة اليها تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا
ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن والاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت والقيامة
فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقولك انا لو ذات سوار لطمتني
وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو ان
غيره يشوبه فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن يخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا
وان البخل اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لانه بناء امره على الحاجة والضنة
عما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والفجار الماء من الحجر والطوفان والجبل فوق
الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة
وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في يوم السبت فقبل اليهود يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع ثبت بذلك لا انها ناسخة لها على حال من يتعاطى متعلقها
في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا حكم مستأنف
زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بنو اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سحرت
من فرعون ليرسلهم معك او سألهم من مال بينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأل على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او بسأل
على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم

لخوال

اوعن

او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم ان تعالى الله تعالى الموافق
بما اقترحوا الامر وعلى العناد والمكابرة لكن قبلهم او ليزداد يقينك لان نظام الادلة
يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار اذكر
على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخبار
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا
عن الخير مغلوبا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ثبته
بظنه وشتان ما بين الظنين فان فرعون كذب تحت وظن موسى يحوم حول اليقين
من نظام اماراته وقرئ وان اظنك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر
او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فكنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة اقترب الكرة او الحيق
او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين آباءكم وامهاتكم
ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالمقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به ترغيب البطلان
لما قال الا مبشرا وآخر وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل وقيل فرقنا
فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة مجيئه
فانه نزل في ثلاثين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه اتيسر

للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لما ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم
وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي واما نزل النبوة وكونوا
من المميزين بين المحق والمبطل اذا رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقوله على سبيل التسلية كانه قيل لا تبال بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلام على فترة
من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعده لمفعولا
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون لاختلاف الحالين والسبب فان الاول
للشكر وعند ابتداء الوعد والثاني فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما زيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر ما الله في التوراة فالمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والانتهاء الى المقصود وهذا جواب اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في اياما عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية لا
للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا
تجهر بصلوتك بقراءتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها

لما اقرح

لقوله

ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بل اسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون
له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ويعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه
للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما
عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام اذا اصبح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف

مكية آياتها مائة وعشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف
من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط
فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب
السابقة تشهد بصحتها او انتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له
او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف
فاصلا بين ايفاء المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر

بأسا شديدا اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول لاكتفاء
بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر
باسكان الدال واسكان النون من غير اشمام لبدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا
حسنا هو الجنة ماكثين فيه فى الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهما استعظاما لكفرهم واعلاما بذكر المنذر به
استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد وباتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولون
عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اسلافهم من غير علم بالمعنى الذى اردناه
فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه يعنى التبنى كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى الولد
وتخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاولى
ابلغ واذل تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبرت
ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك قاتلها على آثارهم اذ ولوا عن الايمان شبه لما تداخله من الوجد على توليهم
عن فارقنا اعزته فهو يحسر على آثارهم ويتمنى نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او تأسفا
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال اسم الفاعل
حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها
ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع
منه بما يبلغه بآياته وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها من الجرز

وهو القطع

وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
فى ابقائهم احيوتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم الاضافة الى ما على
الارض من الاجناس والانواع الفائقة للحصر على طبايع متباعدة وهيئات مخالفة تعجب
الناظرين من مادة واحدة تمر وتهابها لا يبلى تعجب مع انه من آيات الله كالنبات الحقير
والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم
او كلبهم قال امية بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم فى الكهف هجود
او لوح نصب حيا وحجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب
الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فآووا الى الكهف
فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته
فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم
فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم زرعته
بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
وقال لى ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال الآخر كان فى فضل
فاصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك
فابت وعادت ثم رجعت ثلثا فذكرت لزوجها فقال اجيبى له واعينى عيالك فاتيت
وسلمت نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله
فقلت لها خفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ما لمستها اللهم ان فعلته
لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى اجراء فهتان وكان لى غنم وكنت
اطعمها واسقيها ثم ارجع الى غنمى فجئتنى ذات يوم غيت فلم ارح حتى امسيت فاتيت
اهلى واخذت حلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على ان اوقظهما
فتوقفت بحالتنا وحلبى على يدى حتى انتبها الصبح فسقيتهما اللهمان فعلته لوجهك

فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية
الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم اراد هرقل دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن والعافية
وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصيبا
راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصلا التهيئة اخذ
هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع عبر عن المنع بالضرب
لان تمكن الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين بجمع التكسير والتقليل فان مدة
لبثهم كبعض يوم عند ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا
لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم
احصى لما لبثوا امدا ضبطا امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض واحصى مفعوله ولما لبثوا ما منه او مفعوله
وقيل ان المفعول والام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه
كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم
فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالثبات وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد
الى دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق
متجاوزا الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار
في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر
فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان تقليد الآباء من الديانات مردود وان
التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ

واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير
المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادة
الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترضين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف يئسطلكم
ويوسع عليكم ربكم من رحمته في الدين ويهيئ لكم من امركم مرفقا
ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لشجاعة يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله
وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع
والمحيض فان قياسه بالفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد
اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا تقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف
كان جنوبيا ولا تاء تعالى ذوات عنها واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون
بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزاور كتحامر وكلها من الزور بمعنى الميل
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم
وتتركهم عنها ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه وهم
في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار
ولا حر الشمس وذلك ان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى بنات نعش في رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مدار السرطان تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها
على جنبتيه ويخلص عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم
ذلك من آيات الله اي ما فعل بهم وايواؤهم الى الكهف كذلك او اخبارهم وقصتهم اذ اووا الى الكهف
وقصها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي اي الذي اتاه
الفلاح والمراد به اما الفتية عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها
من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا

يرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم
رقود نيام وَنُقَلِّبُهُمْ في رقدتهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ كيلا تاكل الارض ما يليها
من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقليبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم وَكَلْبُهُمْ هو كلب مروا به فتبعهم
فطردوه فانطلقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيد قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بِالْوَصِيدِ بفناء الكهف وقيل
الوصيد الباب وقيل العتبة لَوِ اطَّلَعْتَ عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو لَوَلَّيْتَ منهم فِرَارًا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية
والعلة والحال وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لَمُلِئْتَ
بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي رُعْبًا بالتثقيل وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
وكما اعمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ليسأل بعضهم بعضا
فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا بامر البعث
ويشكروا لما انعم به عليهم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كم لبثتم قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا او بعض يوم بناء على غالب
ظنهم لان النائم لا يحس مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا اكثر الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف
غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى
طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه حذوا فيما
بينهم فقالوا فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت

او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسورا لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم اراد ليدل على ان الترود رأى المتوكلين والمدينة
طرسوس فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا اى اهلها أَزْكَى طَعَامًا احل واطيب او اكثر وارخص فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير لاهل المدينة في انهم يَرْجُمُوكُمْ يقتلوكم بالرجم أَوْ يُعِيدُوكُمْ
فِي مِلَّتِهِمْ او يعيدوكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا
وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ان دخلتم في ملتهم وَكَذَلِكَ اعثرنا عليهم وكما اعمناهم
وبعثناهم ليزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم لِيَعْلَمُوا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا وان القيامة لا ريب في امكانها
فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت لم
ارسلها اليها قادرا ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانهم فيردها
عليها إِذْ يَتَنَازَعُونَ ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ
وكان بعضهم يقول يبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعث ابدان معالية تفع الخلاف
ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال آخرون ناموا فنومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس
ويحفظونه قربة وَقَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كتابا لله تعالى فَقَالُوا
ابنوا عليهم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ اعلم بهم قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ
مَسْجِدًا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض تنبيه من الله تعالى على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله تعالى
بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انبائهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى

ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بارجاعه
كنزا فذهبوا به الى ملك المدينة وكان نصرانيا موحدا فقص عليهم القصص فقال
بعضهم رأينا ابانا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر واتبعوهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فضرب على اذانهم فناموا ثم مسجدا
سيقولون اى الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال ربعهم كلبهم في انضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى والعاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم
رجما بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالتبيين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلثة
المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد
الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على
الجملة الواقعة صفة للنكرة تنبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل

الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تماره فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل
في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم
عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته
قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل
الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله والا وقت ان يشاء
الله ان تقوله بمعنى اي باذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير مفيد واعتراضهما دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك
وقل ان شاء الله كاروحانه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك
نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر الا استحباب المتدارك به من القول
السابق بل هو من مقدمة مدلوله عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وعقابه اذا تركت بعض
ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل
عسى ان يهديني ربي لعل ربي يهديني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على نبوتي
من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم كقصص الانبياء المتباعد عنه اياهم
والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة ولاقرب
رشدا واذ في خبر من المسمى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا

يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحتمله ههنا ان علامة الجمع فيه
جبرا لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين
من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال
اهلها فلا يخفى عليه على ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان من
والادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يعجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله تعالى وعلامة الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل
الصيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قولهم
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير الامر وهو كما احد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم من دونه الضمير
لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه وقضائه احدا
منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على
نهي كل احد من الامر لانه لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث
انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ولا يلزم
اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا
او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا
ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهما وفي طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه
ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطلب
ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهما نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى

وقرئ

وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء
المؤمنين ويعلو عينيه عن رياشهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع هواه كامية بن خلف في دعائك الطرد الفقراء
عن مجلسك لاصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه
عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس
لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان في الغباوة والمعتبر لذلك اغاظهم اسناد الاغفال
الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك ونسبته اليه او من اغفل ابله
اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا
على ان المراد ليس ظاهره ذكرا ولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا
باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلا عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان
امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط متقدم للخيل
ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضيا استقلالا العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته
ليست بمشيته انا اعتدنا للظالمين نارا ناركا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه بما يحيط بهم
من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل
كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاغثوا بالصليم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف لمن الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو مقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى مع الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره

من احسن عملا منهما او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك
نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن على الاطلاق
الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار
وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها
من الاحاطة وهو جمع اسورة واسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما
هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ والمرتفق
للكافر والمؤمن مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قبلهما اخوان من بنى
اسرائيل كما فسره قطروس ومؤمن اسمه يهوذا وروبا من ابيهما ثمانية آلاف دينار
فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل
امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل المثل لهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود
بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بيان للمثل
او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرة بها كرومهما
يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيرتفع الرجلان
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامع الافوات
والفواكه متواصل العمارة على اشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم سقيها فانه الاصل ويزيد بغلاتها وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف
وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقرأ عاصم بفتح الثاء

والميم

والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك فى قوله واحيط بثمره
فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا
واعز نفرا جمعا واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته
بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو
ما تمتع به من الدنيا على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون
او لاتصال جنة كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى اوقات واحدة
وهو ظالم لنفسه بكفره وتمادى غفلته واغتراره بمهلته قال ما اظن ان تبيد
هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة
قائمة كائنة ولئن رددت الى ربى بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنة وقرأ
الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك
باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو صحبه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب
اومادة اصلك ثم من نطفة فانها ما دامت القرية ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك فى كمال
قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء الخلق
منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة
بنقل الحركة اودونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية
بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على
الاصل وهو ضمير الشان وهو الجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربى
خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقرئ
لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا
بعد التثنية

اباده